شجون المسجون
وفنون المفتون

كتاب يجمع بين القصة والوعظ والنصيحة والشعر
ترويحًا عن نفوس المسجونين ظلمًا وترغيبًا لهم في الآخرة

تأليف
الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي الطائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

تحقيق
سيد كسروي حسن

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

شجون المسجون

وفنون المفتون

للإمام الهمام العالم العارف محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عربي الحاتمي الطائي المرسي

(٥٦٠ هـ - ٦٣٨هـ)

تحقيق

سيد بن كسروى بن حسن

إهــــــداء

إلى:)**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**(

إلى: الصابرين على ظلم وقع بهم دون جريرة لهم.

إلى المخطئين عساهم أن يتوبوا فكل بن آدم خطاء.

إلى: القائمين على أمر السجون عسى أن تدب الرأفة في قلوبهم.

إلى من يعرف أن أمامه قبر فاغر فاه ينتظره.

أقدم هذا الكتاب

سيد كسروى

فهرس المحتويات

الباب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله.. ثم الحمد لله.. ثم الحمد لله سجن المؤمن بالدنيا وحرره بالآخرة, وحرر الكافر في الدنيا وجعل لكل منهما قبره فجعل قبور الدنيا السجون وجعل قبور الآخرة الرموس واللحود، وجعل لكل منهما زادة فزاد قبور الدنيا الصبر، وزاد قبور الآخرة الإيمان وجعل لكل قبر منهما صاحب فصاحب قبر الدنيا الأمل وصاحب قبر الآخرة العمل، وجعل لكل قبر منهما أجل ونهاية فنهاية قبر الدنيا الموت أو الفرج ونهاية قبر الآخرة الجنة أو النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم العزيز الغفار الودود القهار الحليم الجبار سبحانه يعز ويزل يهدي ويضل يرفع ويخفض يقبض ويبسط ويمنع ويمنح سبحانه جل جلال الله، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نبي ضرب المثل في الصبر والجهاد والجد والجلد ضاق به الحال حتى نادى: اللهم نصرك الذي وعدت، وزلزل حتى قال: متى نصر الله، فلم يرفع يدا لسواه، ولم يقصد يوما غير وجه مولاه، جعل القرآن في الشدة والرخاء سلواه فما زالت يوما خطاه، حتى نال من ربه الرضا.

أما بعد:

إن الحديث عن السجون يثير حقاً الشجون ولا يكفي الحديث عن مثل تلك المحنة في مثل تلك المقدمة، ولكن يجب أن يفرد الكتاب والإصلاحيون الكتب عن أقسى محن الدنيا فأنا أراها أقسى محنة عبر الحياة غير أني أرى أن المرض أشد منها وكثيراً ما كنت أتخذ من المرض وشدته وسيلة للتخفيف عن رفقائي أثناء تلك المحنة فكنت أقول لهم هل تحب أن تخرج منها، وتحجز في مستشفى فيفضل محنة السجن، ولكن المرء يرجو دائما من الله العافية والسلامة والنجاة والمحن والفتن فإن عفوه أوسع وأشمل وأجمل بالمرء من كل شيء، ولكن إذا ابتلي المرء وجب عليه الصبر وسعة الصدر وشد أزر إخوته ونشر الدعابة بينهم حتى تدب فيهم روح الأمل، ولا يفكر في الخروج فإن للخروج وقت محدود عند ربك إذا جاء خرجت كما جاء أوان الدخول قد دخلت، فالنصيحة هي أن لا تشغل بالك لن يقدم ولن يؤخر من المرء شيء، ولكنه يورث في نفسك الوهن ويقتل فيك روح الأمل، فاجعلها مرحلة تعبرها بكل هدوء في مركب الصبر، وهناك عبارة دائماً كنت أرددها عندما جالسني أحد المجاهدين من السجن أقولها له دائماً كنت أقول له: ستكون هذه

الأيام ذكريات، وسبحان الله كثيراً ما لقيني منهم في الحياة بعدها فأقول لهم صارت ذكريات فيضحكون، ويقولون نعم جزاك الله خيراً، وكنا والله نضحك من قولك هذا ونقول إنه مجرد تصبير وشد أزر حتى صار حقاً مجرد ذكريات.

فالله أسأل أن يَمُنَّ على كل سجين بفك أسره، وأن يحفظ لكل حُر حريته، ويديم الأمن على كل مؤمن، وأن يحفظنا ويحفظ بلادنا من كل شر ومن كل سوء، ومن كل عدو غاصب أو ظالم أو جائر اللهم آمين ولله في تصريف الملك شؤون وعلينا التسليم ولله در من قال:

كم من مدخل لومت فيه ... لكنت فيه نكالاً في العشيرة

وقيت السوء والمكروه فيه ... وظفرت بنعمة منه كبيرة

وكم من نعمة لله تمسي ... وتصبح في العيان وفي السريرة

والله أسأل أن يرزقني وإياك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة وأن يرزقني وإياكم وزوجتي حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

التعريف بالكتاب

لما كان ابن عربي مغرماً بالرمزية ضارباً فيها بباع لم يدركه غيره فقد جاء عنوان الكتاب كذلك ليس موافقاً ظاهرًا للموضوع، فالقاصد للكتاب لا يجد فيه بغيته المباشرة حيث أن قاصده يريد الترويح عن نفسه والسلوى والصبر الذي يخفف عنه ما هو فيه، فإن لكل مسجون شجونه وآلامه وآماله وحنينه وشوقه لأمور كثيرة غير أهله وذويه، وإن المسجون يشعر أن الدنيا قد توقفت به عند حدود هذه الجدران، ولا يصدق أن خلفها حياة بعضهم يظن أنه لم يكن قبلها شيئاً، وبعضهم يظن أنه قد مات ويقول هذه ليست قبور أحياء إنما هي قبور حقيقية ليس بعدها إلا الآخرة، المسجون يعيش بين ألم وأمل، أما الألم فهو الأشد، وأما الأمل فهو أضعف شيء يتوقعه إنه لا يظن أن يأتي يوم يجد نفسه فيه بين الناس يلبس ثيابه التي يريد مهما كانت وضعيته إنها تساوي عنده تاج الملك بل تزيد عنه بكثير جداً، إنه لا يتصدق أنه يتحرك وحده متى أراد وأين أراد إنه يظن أن الناس كلهم يمشون ويتحركون مصحوبين بالمراقبين وكأنه لم يكن عاش قبل ذلك حياة الأحرار، إنه يرى بيته المبني بالطوب اللبن والذي لا يسع عشرة أمتار لهو أعظم فخامة من قصر الملك أو الرئاسة المنيف، إن للمسجون شجون وشجون كان يأمل أن يجدها تحت هذا العنوان الذي وضعه المؤلف لكن سوف يطيش أمله كذلك كما طاش في كل شيء من حوله فيظن أن حتى الكتب قد خاصمته هي الأخرى ولم تعد تطيقه ولا تجالسه ولا ترافقه بعد أن كان يقول:

وخير مكانٍ في الدنيا سرجٌ سابحٌ   وخيرُ رفيق في الزمانِ كتابي

إن السجناء ثلاثة: سجين رأي، وسجين جرم، وسجين خطأ أو ظلم، وهذا الثالث قد يكون من النوع الأول أو الثاني غير أنه في كل الحالات مظلوم أو ليس له جريرة سجن من أجلها فلا هو مخالف لسلطان ولا لعقيدة، ولا هو مخالف لقانون سماوي كان أو أرضي وهذا النوع من السجناء أخطر المسجونين فمنهم من يكاد يجن ومنهم من يصمت صمتاً أشبه بصمت القبور.

ويقولون إن السجون لا تغير الأفكار أو الآراء وأقوال السجون إما أن تثبت الأفكار أو الآراء أو تجعل صاحبه يخفيها ويظهر غيرها، وإما أن تجعله يعطي ظهره لها تماماً ويتناساها وهذا الأخير لم يكن يوماً صاحب رأي أو فكر بل هو متبع لصاحب فكر أو رأي ثم عدل عنه عندما وجد قسوة السجون)فإن أصابته فتنة انقلب على عقبيه(وأما أصحاب الآراء أو الأفكار أو العقائد فعلى العكس من ذلك فإنما تزيدهم قوة إلى قوتهم وإصراراً على إصرارهم وثباتاً إلى ثباتهم)الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل(.

أما من ارتكب جرماً فلا يلومن إلا نفسه)ومن يكسب إثماً يكسبه على نفسه(وهذه هي سنة الحياة المستقيمة الطبيعية،)ومن يعمل سوءاً يجزى به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرًا(، و)ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها(وهكذا.

ولكنهم جميعاً سجناء أصحاب رأي أو مجرمون أو مظلومون، السور الذي يضمهم واحد والباب الذي يغلق عليهم كذلك والقهر الذي يتعرضون له وهذا كله يتطلب سلوى وتثبيتاً مادياً ومعنويًّا، فكنت أتمنى أن يجد السجين في هذا الكتاب تثبيته وسلواه.

لكن الكاتب شرد بعيداً عن قارئه وضل طريقه في الوصول إلى قلبه وفقد القارئ الأمل الذي كان يرتجيه من الكتاب نظراً لإغراق ابن عربي في الرمزية، وسأتكلم عن الرمزية عند ابن عربي بعد قليل.

والكتاب يعطينا عظات ومواعظ ونصائح وتجارب كثيرة وطيبة، ولكن للأسف في أغلب الأحيان غير مباشرة، والسجين يريد الوعظ الخفيف ويريد من يربت عليه لا من يقرعه فكفاه بالسجن تقريعاً وقسوة وجفاءً فكان يجب أن يجد في الكتاب تلك اليد الحانية التي تمسح دموعه وتلطف قلبه وتربت على كتفه وتشد من أزره وتعطيه الأمل وتصرف عنه كابوس الفشل وتزرع أمامه زهور بيضاء ناصعة عبقة العطر تجعله يتوق إلى الوصول إليها ليقتطف منها ما يتمناه هكذا يظل يقلب صفحات الكتاب من حين إلى آخر ليجد فيه السلوى والصاحب والناصح والواعظ وشحنة الأمل التي تقتل الخوف واليأس داخله، ولئن طالت بي الحياة لسوف أكتب كتاباً في هذا الموضوع عساه يسد شيئاً من هذا الباب المغلق، فإن من كتبوا عن السجون إنما كتبوا مذكراتهم أو ذكرياتهم أو حكوا ما رأوا كشهود على فترة ما وأغلب تلك الكتب تدور حول إظهار قسوة نظام معين أو بيان عيوبه وإظهار بطولة صاحب القصة التي يروها أو التي تروى لكن قليلون هم الذين تناولوا حياة السجين وما يحب وما يكره وما يتمنى وكيف يواجه السجن، وكيف يعامل السجين السجان لينجو من شره أو ليقلل من قسوته، وكيف يلاقي أهله وكيف يفارقهم وما يجب عمله أو قوله لهم أثناء الزيارة وما يطلب منهم وما لا يطلب منهم وأمور أخرى كثيرة يجب أن تخاض. وكان يجب على المؤلف أن يتناولها أثناء كتابه هذا.

وقد جمع في الكتاب بين القصة والوعظ والنصيحة، وكذلك أعطى الشعر حظًّا وافراً وكذلك للشعر في نفوس بعض السجناء مكانة لكنه ليس له مكانة عند كلهم وهم ككل الناس.

وليس معنى قولي هذا أن الكتاب لا قيمة له بل هو كتاب قيم غير أن عنوانه هو الذي أرى أنه غير مناسب فهو كتاب يصلح لأن يصنف في العقائد أو التوحيد أو الفلسفة أو المنطق لا أن يتناوله

السجناء للترويح والترويض عن أنفسهم المجهدة الكالة المالة المتشائمة التي أصابها السأم.

الرمزية عند ابن عربي

للصوفية مصطلحاتهم الكثيرة وتعبيراتهم الشهيرة وأفكارهم القريبة والبعيدة ما هو مقبول منها وما هو مرفوض ومن ذلك استخدامهم الرموز في التعبير، وقد بالغ في ذلك قوم منهم الحلاج حتى حكم عليه بالإعدام وغيره كذلك، ومنهم من أجاد فن الرمزية بما يوجد له باب من طريق أو آخر حتى يضمن لنفسه خط رجعة، واعتبر أن قوله هذا إلهام من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فهو دائم المحافظة على ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وإظهار عبوديته وتذلّله وتبتله.

والرمزية في الأصل أن يتخذ الشاعر أو المتكلم شيئاً ملموساً محسوساً يقرب به المعنى إلى السامع أو القارئ لما في نفسه حتى يتضح المقال، والمقصود هو تمييز حاله عن حالة مشابهة لها أو ضدها فنبحث لها عن رمز محسوس يميزها تكون له نفس الخصائص أو الصفات والمعاني، ومن هذا الباب كثر استخدام الرمز عند الشعراء والأدباء والصوفية، لأن الشاعر والأديب والمتدين يجد في نفسه خلجات، وأحاسيس لا يقدر على التعبير عنها بالكلمات المتداولة فيلجأ للتعبير عنها إلى الرمز الذي هو أقرب شيء إلى ما في نفسه ليقترب من السامع مما اعتاده سماعاً أو رؤية وغيرهما من الحواس وبقدر ما تكون الموازاة كاملة بين الرمز وبين المرموز إليه يكون الوصول إلى الغرض.

وبمعنى آخر نلجأ إلى الرمز لإظهار حالة باطنة في أنفسنا بالتشبيه لها بشيء ظاهر محسوس مشاهد مألوف فيصير ما بوجداننا قد تحول إلى شيء ظاهر بعد أن كان باطناً، فيفهمنا من نريد أن نخاطبه بالوجدان أو عن الوجدان ويظهر بجلاء في الشعر.

أما عند ابن عربي فقد أغرق في الرمز إلى حد أنه جعل الباطن أبطن من الباطن فتاه السامع، ولم يفهم ما يريد إذ صرفه عما كان يفهمه في حياته وحول له الظاهر إلى باطن فقد أخذ الظاهر ليحوله إلى باطن وهذا ما لم يألفه الناس والناس هم المخاطبون، والناس تخاطب على قدر عقولها والناس تخاطب بما تفهم لا أن تُجهل ما تفهم أو يقال لهم إن ما فهمتموه هو الجهل.

فلقد سار ابن عربي على عكس ما يسير عليه الأدباء والشعراء والمتصوفة، فأراد أن يجعل للظاهر رمزاً باطناً فأوغر في هذه الرمزية وإن كان ليس هذا رأيه غير أنه كان سِمَةً ظاهرة في كلامه جعلت الناس في أيامه لا يفهمونه بسرعة خصوصاً العوام منهم، وكذلك أحجم القراء عن كتبه لصعوبة فهمها وعدم مباشرتها وإكثاره من استخدام مصطلحات خاصة به، وإن كان كثير

منها أخذه ممن سبقوه من المتصوفة فأضاف إلى رمز الصوفية رموزاً وإلى مصطلحاتهم مصطلحات وإلى بواطنهم بواطن.

وقد أسرف في شعره من الغزل حتى لكأنه يغازل فتاة حقيقية حتى يصعب عليك التمييز بين المذكر والمؤنث، وكذلك يصعب جداً أن تميز الرمز والمرموز له وستلاحظ ذلك أثناء مطالعتك للكتاب.

منهج تحقيق الكتاب

-قمت بنسخ المخطوط وتصويب بعض ما جاء فيه من أخطاء إملائية أو سقط وأشرت إلى ذلك في حينه وجعلت ما سقط بين معقوفين.

-وخرَّجت ما ورد فيه من أحاديث وإن كانت الأحاديث والأخبار فيه نادرة جدًّا.

-ترجمت للمؤلف ترجمة موجزة حيث تناولته كتب كثيرة بالنقد والتحليل وأُلفت فيه كتب كثيرة، ولكني ذكرت في ترجمته عدد ما وقفت له على كتب ألفها وقد بلغت أربعمائة وخمسين كتاباً.

-قدمت للكتاب بمقدمة عامة ثم ألحقتها بتعريف بالكتاب ليكون القارئ على معرفة شاملة بالكتاب قبل الدخول فيه.

-عرفت بالمخطوط وصفاً، وأردفت ذلك بصوره حتى يتضح القول. وعرفت بمكان تواجد المخطوط والصورة، وذكرت كافة البيانات عنه تفصيلاً، وذكرت ما ألحق به من تعليقات على الغلاف أو ما جاء بذيل المخطوط من تعليقات ليست من قول المؤلف إتماماً للفائدة.

-علقت على ما أورده المؤلف تعليقاً يوضح مراميه وأهدافه حيث جاء الكتاب على طريقته المعروف من الرمزية البعيدة، ووافقته أحياناً وخالفته أُخرى أثناء التعليق على حسب ما يقتضيه القول أو الحال، وشرحت ما ورد به من أشعار.

-تكلمت عن المؤلف وعن الرمزية عنده حيث بالغ فيها أيما مبالغة حتى أخرجت كثير مما يقول عن حد المألوف؛ وهو ما جعل لمن كفره وجها مقبولا، وإن كنت لا أوافقهم؛ لأن السبب في ذلك إفراط ابن عربي رحمه الله في ذلك.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ترجمة المؤلف([1])

اسمه: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي.

الكنية: أبو عبد الله، أبو بكر.

النسبة: الحاتمي، المرسي، الصوفي، الدمشقي.

اللقب: محيي الدين.

الشهرة: ابن عربي، الشيخ الأكبر.

ميلاده: ولد سنة: 560هـ.

وفاته: توفي رحمنا الله وإياه سنة 638هـ.

اختلف في ابن عربي رحمنا الله وإياه اختلافاً كثيراً بين مادح له مدحاً عظيماً، وبين محقرٍ له تحقيراً مقيتاً، فمنهم من جعله الشيخ الأكبر، ومنهم من جعله إمام الزنادقة، فسبحان الله في أمر هذا الشيخ الذي جمع النقيضين بلا تقارب في أي اتجاه منهما فالمكفر له جاعله أشد كفراً من أبي جهل، والمادح له جعله في مصاف الصحابة، وحقيقة الأمر فيه إلى الله تعالى.

والذي أذهب إليه في أمره أنه شيخ ترك العنان لعقله، وتجرأ على أقرانه وحافظ على قلبه مرتبطاً بإيمانه؛ وهو ما أدهش من لم يتوقع هذه الصراحة أو الحرية في الفكر. وأنا لا أريد أن أطيل الكلام في أمر قد خاض فيه من خاض، وأكتفي بقول الله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ فلا ندري بأي الأعمال ختم أمر هذا الشيخ، وإن كان لا بد من ذكر طرفاً من ترجمته أو نبذة عن حياته فأكتفي بذكر ترجمته عند الذهبي في سير أعلام النبلاء حيث يقول فيه:

العلامة صاحب التواليف الكثيرة، محيي الدين أبو بكر... ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف، وسمع بمكة من زاهر بن رستم، وبدمشق من ابن الخراساني، وببغداد.

وسكن الروم مدة، وكان ذكيًّا كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد، وتفرد، وتعبد، وتوحد، وسافر وتجرد، واتهم وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن أَرْدَأ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله.

وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، وقد حكى العلامة ابن دقيق العبد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول عن ابن عربي: شيخ سوء يقول بقدم العالم. ولا

يحرم فرجاً. قلت: إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز وما ذلك على الله بعزيز.

وله شعر رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيراً من عباراته لها تأويل إلا كتاب «الفصوص».

هذا ما قاله الذهبي في ترجمته، وهذا رأيه فيه وفي كتابه «الفصوص» أو في كتبه فهو مع غيره في فساد عقيدته وآرائه ما لم يكن رجع عنها، وليس على الرجوع دليلا بل هو أمر غيبي، وهو لا يريد أن يصمه بالكفر كما فعل غيره، ولا يريد أن يثني عليه ثناء العلماء الصالحين حتى لا يُتهم بالدفاع عنه فأراد أن يرجع أمره إلى الله تعالى حتى يقف كل من يريد أن يقول شيئاً عند حده الذي حُدّ له.

ويقول الدكتور علي عبد الجليل راضي في كتابه (الروحية عند محيي الدين بن عربي) في ترجمته: من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي يكنى أبا بكر بمحيي الدين ويعرف بالحاتمي وابن عربي لدى بلاد الشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، وعرف بالأندلس بابن سراقة (بابن العربي) لدى المغاربة، وكما يسمي هو نفسه في كتبه.

ولد في بلدة مرسية، وهي مدينة صغيرة بنيت في شرق الأندلس في عصر الأمويين شبيهة بمدينة اشبيلية من حيث كثرة البساتين والمتنزهات... وقيل أنه انتقل إلى أشبيلية سنة 568 حيث دخل كتاباً تعلم فيه القرآن على عميد الفقهاء وقتها ولا نعرف الكثير عن فترة شبابه الأولى.

وقد اختلف علماء المسلمين في شخصية ابن عربي ومراميه أكبر اختلاف، وذلك لغموض أسلوبه، وامتزاج اصطلاحاته...

ومن العجيب أن نرى رجل التصوف والخلوات ينجذب لدوائر الحكام والاجتماعات في كل بلد يمر به، وقيل أن ملك قونية كان يلقبه بالوالد، وملك حلب يخاطبه بالمولى، أما هو فيقول عن نفسه كانت لي كلمة مسموعة عند بعض الملوك وهو الملك الظاهر صاحب مدينة حلب -رحمه الله- غازي ابن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب... ما رفعت إليه حاجة إلا سارع في قضائها لفوره من غير توقف.

... وفي سنة 590هـ وجهت إليه دعوة من والي تونس وقتئذاك، وكان قد سمع عنه كل عجيب فجعله موقعاً للمراسيم ومنشئاً للرسائل، ومربياً لأبناء القصر، وكان ناصح الملك المدعو أبو عبد الله بن المرابط هو الذي لفت نظر الملك لكي يدعوه، ولكن الملك أعاد دعوته بعد بضع سنوات فرجع إليه مطلق اليد في شؤون المملكة إلا أن الوشايات تجددت مرة أخرى فغادر المغرب.

وقيل: إنه عندما توجه إلى مصر في طريقه إلى الحج قابله رجال الدين فيها، وطلبوا من حاكم مصر أن يهدر دمه، ولكن شفع له الشيخ أبو الحسن الجبائي القاضي، وأعجب به الحاكم نفسه، وأراد أن يوليه ما يريد من المناصب إلا أنه أبى واستأذن للحج.

... ويبدو أن ابن عربي كره ما دخل في الدين من بدع السماع والإنشاد فقال: وقد ذم قوماً اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، وهم في هذا الزمان أصحاب السماع أهل الدف والمزمار يعوذ بالله من الخذلان:

ما الدينُ بالدفِّ والمزمارِ واللعبِ   لكنَّما الدينُ بالقرآنِ والأدبِ
لمَّا سمعتُ كتابَ اللهِ حركَنِي   ذاك السماعُ فأدنَانِي منَ الحُجُبِ

... بدأ ابن عربي يكتشف في خلواته الظواهر الروحية المختلفة، ويظهر أنه لم يكن له فيها شيخ ليفسرها له، فبنى هو طريقته في التفسير، ولا نعرف بالضبط متى بدأت عنده الوساطات ولكن الشعراني يقول في كتابه "اليواقيت والجواهر"عنه: كان رضي الله عنه أولاً من الموقعين عند بعض ملوك المغرب، ثم إنه طرق طارق من الله عزّ وجلّ فخرج في البراري على وجهه إلى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة، ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه.

ويتكلم عن رحلاته وأسفاره فيقول: كانت إشبيلية مركز لابن عربي تَنَقَّلَ منها في سياحات بالأندلس وزيارات قصيرة لشمال إفريقيا، ومن الثابت أن ابن عربي زار تونس سنة 590هـ وأنه ألف كتابه: «مواقع النجوم» في المرية ببلاد المغرب سنة 595هـ.

وقيل إنه غادرها سنة 598هـ متوجهاً إلى مكة للحج، ولم يعد بعدها إلى الأندلس، وكانت سنه عندئذ الثامنة والثلاثين.

وبدأت رحلة العمر، مروراً ببلاد شمال إفريقيا، حتى وصل إلى مصر، ثم غادرها إلى الشام والعراق، والأردن ثم الحجاز حيث مكث مدة، ثم قضى بقية حياته في سوريا، وإن كان قد زار تركيا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط...

وعندما انتهت رحلته عند البيت الحرام أخذ يستمع إلى الأحاديث النبوية، ويلقي الدروس ويقرأ الكتب، واختلطت دموعه وأفراحه، ورأى ما رأى من الأرواح التي تطوف بالكعبة، فازداد انفعاله واضطرمت نفسه، وتملكه الإلهام، فأمسك بالقلم ليصف لِوَلِيّ تونس وصحبته هناك مشاهداته وتجاربه والأخبار الروحية الخاصة به، وبالأولياء الذين عاصروه في مختلف البلاد التي مَرّ بها في رحلته الفريدة، فدون كتابه الكبير: «الفتوحات المكية».

ويقول عن مصدر كتبه: كان ابن عربي يقول عن مصدر علمه ومؤلفاته أنه تَلَقَّى من الله أو الرسول، وليس بالاكتساب فكم من مرة قال: أنا أستمد علمي من كلمات الله التي لا تنفد.

وقال أيضاً: فلنقل مخاطباً أولياءنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا إن علومنا غير مقتضبة من الألفاظ ولا من أفواه الرجال، ولا من بطون الدفاتر والطروس، بل علومنا عن تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد، وحالة الفناء بالوجود، فتقوم المعاني مثلاً وغير مثل، على حسب الحضرة التي يقع التنزيل فيها، فمنها ما يقع من باب المحادثة، ومنها ما يقع من باب المسامرة، ومن باب ما يقال، ومن باب ما لا يقال.

... ويعترف بأنه أُلهم بكتاب عن الأحاديث القدسية فوضعه في مكة سنة 599هـ ضمنه أربعين حديثاً قدسيًّا ليست مسندة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويمكن لمن يقرأ كتبه أن يرى أربعة عوامل تعاونت على صنع شخصيته وهي:

اتصالاته بالأرواح، وكثرة قراءاته -مهما قيل إنه لم يقرأ- واستخدم خياله في ترتيب المعلومات التي اكتسبها، واستخدم قوة الخيال عنده.

قلت: هذا طرف مما ذكر صاحب كتاب الروحية عند ابن عربي، وقد ذكر في خلال كتابه ما يمدحه به مدحاً كبيراً، وما يقدح فيه قدحاً طفيفاً وليس بقول ينزله عن درجة العلماء الكبار والشيوخ الفحول بل هو ممن يطالب بعمل تمثال له، لكنه ينتقده نقداً موضوعيًّا على أساس أنه عالم يخطئ ويصيب، وإن كان ذهب إلى كثير من آرائه التي يخالفه فيها الكثير من العلماء إلا أن هذا هو رأيه رحم الله الجميع ورحمنا معهم.

ثم أنا أذكر هنا ما وقف على اسمه من المؤلفات مرتباً على حروف المعجم نقلاً عن تحقيقي لكتاب ديوان الإسلام، وقد بلغ عدد الكتب 450 في حين قد ذكر الدكتور صاحب كتاب الروحية أن له 289 كتابا ورسالة فهذا مبلغ علمه أما ما وقفت عليه فهو:

1 - الآيات العلوية في حفرة الأشهاد العين.

2 - الاتحاد الكوني في حفرة الأشهاد العيني.

3 - الأجوبة العربية الوفية عن المسائل اليوسيفية.

4 - الأجوبة في المسائل المنصورية.

5 - الأحاديث العوالي.

6 - الاحتفال فيما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من سنن الأحوال.

7 - إحدى ومائة حديث.

8 - الأربعين الطوال.

9 - الأربعين المتقابلة.
10 - الاستمساك في شرح الاستدراك.
11 - الإسرا إلى المقام الأسرى.
12 - أسرار الوضوء.
13 - الإشارات المغربية في شرح النصائح اليوسفية.
14 - الإشارات في أسرار الأسماء الإلهية والكنايات.
15 - إشارات القرآن في عالم الإنسان.
16 - اصطلاحات الصوفية العلام بإشارات أهل الإلهام والإفهام.
17 - الإغلاق في مكارم الأخلاق.
18 - الإمام المبين.
19 - أصول المنقول.
20 - الإفادة لمن أراد الاستفادة.
21 - الإفهام في شرح الإعلام.
22 - الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط.
23 - الإنزالات الوجودية من الخزائن الجودية.
24 - إنزال الغيوب على مراتب القلوب.
25 - أنس المنقطعين برب العالمين.
26 - الأنفاس العلوية في المكاتبات.
27 - إنشاء الجداول والدوائر.
28 - أنوار الفجر في معرفة المقامات والعاملين على الأجر وعلى غير الأجر.
29 - النوار فيما يفتح على أهل الخلوة من الأسرار.
30 - إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن.
31 - البادرات العينية في النادرات الغيبية. قصيدة
32 - البحر المحيط الذي لا يسمع لموجه غطيط.
33 - البقية في اختصار كتاب الحلية لأبي نعيم.
34 - أوراد الأيام والليالي.

35 - البيان في حقيقة الإنسان.

36 - الإيجاد الكوني والمشهد العيني بحضرة الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة النورانية.

37 - بروز الثور في غاية الصور.

38 - بلغة الغواص في الأكوان لمعرفة الإخلاص في معرفة الإنسان.

39 - تاج التراجم.

40 - تاج الرسائل ومنهاج الوسائل.

41 - مخاطبات بيني وبين الكعبة المشرفة. وهو سبع رسائل.

42 - التجليات الإلهية في الصورة الإنسانية.

43 - تجلي الإشارة من طريق السر.

44 - تحذير ذوي التنحير.

45 - تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ورتب الإحسان.

46 - تحفة السفرة إلى حضرة البررة.

47 - التحقيق في شأن السر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق.

48 - تحقيق الباء وأسرارها.

49 - التدابير الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية.

50 - تذكرة الخواص في عقيدة أهل الإخلاص.

51 - ترتيب الرحلة.

52 - ترجمان الأشواق.

53 - تفسير القرآن.

54 - تلقيح الأذهان.

55 - التنزلات الموصلية في أسرار الطهارة والصلاة والأيام المقدرة الأصلية.

56 - تنزل الأملاك في حركة الأفلاك.

57 - تنزل روح الأمين بإشراق صبح مبين.

58 - تمهيد التوحيد.

59 - جامع الوصايا. في ستة مجلدات.

60 - جامع الحكام في معرفة الحلال والحرام.

61 - الجداول والدوائر والدقائق والحقائق.

62 - الجذوة المقتبسة والخمرة المختلفة.

63 - الجلا في آداب الملأ الأعلى.

64 - جلاء القلوب في أسرار علوم الغيوب.

65 - الجلال والجمال.

66 - الجمع والتفضيل في أسرار المعاني والتنزيل. وهو تفسير القرآن إلى سورة مريم في ستين جزءاً.

67 - الجواب المستقيم عما سئل عنه الترمذي الحكيم.

68 - الحج الأكبر قصيدة عظيمة.

69 - حافظ اللسان والجنان عما يقدح في صفحة الإيمان.

70 - حزب التوحيد.

71 - الحكم الإلهية.

72 - الحجب المعنوية عن الذات الهوية.

73 - حرب الكلمات وحرف الصلوات.

74 - الحرف والمعنى.

75 - الحزب الأكبر.

76 - حلية الأبد وما يظهر عنها وعليها من المعارف والأحوال.

77 - خوض الحياة.

78 - فروج الشخوص من بروج الخصوص.

79 - خزائن الملية.

80 - الدرة الفاخرة في ذكر من انتقلت به في طريق الآخرة.

81 - الدرة الناصعة من الجفر الجامعة.

82 - الدرة البيضاء في ذكر مقام القلم الأعلى.

83 - دعوة الجلالة.

84 - در الدرف في معرفة العالم الكبرى والصغرى.

85 - ديوان الإلهيات.

86 - الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق.
87 - الرحيق المختوم.
88 - رسالة الأنوار فيما ينصح صاحب الحلوة على ترتيب من الأسرار.
89 - رسالة الغرباء.
90 - رسالة العلوم من عقائد علماء الرسوم.
91 - رسالة الغوشية.
92 - رسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية إلى أسرار الهوية.
93 - رسالة الحدية.
94 - رسالة الأزل.
95 - رسالة الفناء في المشاهدة.
96 - رسالة القلب وتحقيق وجوه المقابلة لحضرة الرب.
97 - رسالة الاستخارة.
98 - رسالة أسرار الوحي.
99 - رسالة التوقيعات.
100 - رسالة الجلالة.
101 - رسالة الحق.
102 - رسالة الخرقة.
103 - رسالة خلق الأفلاك.
104 - رسالة الخلوة.
105 - رسالة رجال الغيب.
106 - رسالة القلب وتحقيق وجوه المقابلة في الحضرات.
107 - رسالة الموقظة.
108 - رسالة الهوى.
109 - رسالة إلى فخر الدين الرازي.
110 - رسالة العبودية في السنن النبوية.
111 - رسالة المهيمنية.

112 - رسالة مقام الغربة.
113 - رسالة المتعلقة بلا يعول عليه.
114 - رسالة الموقظة.
115 - رسالة في آداب طريق القوم.
116 - رسالة في أحوال بعض النقباء.
117 - رسالة في بيان سلوك طريق الحق.
118 - رسالة في بيان مقدار سنة السرمدية.
119 - رسالة في ترتيب التصوف.
120 - رسالة في تصوير آدم على صورة الكمال..
121 - رسالة في طريق التوحيد.
122 - رسالة في الجواب عن سؤال عبد اللطيف.
123 - رسالة في كيفية السلوى.
124 - رسالة القسم الإلهي.
125 - رسالة القطب النقباء.
126 - رشيح الزلال في مصطلحات أرباب الأذواق والأحوال.
127 - رشف المعين في كشف معنى النبوة.
128 - روح القدس في مناصحة النفس.
129 - روح القياس على منوال القشيرية.
130 - روضة العاشقين.
131 - رياح الرسائل ومنهاج الوسائل.
132 - الرياح اللواقح. رياض الفردوسية في الأحاديث القدسية.
133 - رياض الفردوسية في الأحاديث القدسية.
134 - الريح العقيم.
135 - سبحة السوداء.
136 - ست وتسعون في الكلام على الميم والواو والنون.
137 - سجنجل الأرواح ونقوش الألواح.

138 - السر المكشوف في المدخل إلى العمل بالحروف.
139 - السر المكتوم.
140 - سر المحبة.
141 - السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج.
142 - سلم الارتقاء قصيدة تائية.
143 - السهل الممتنع، رسالة.
144 - شجون المسجون وفتون المفتون (وهو كتابنا هذا).
145 - شجرة الكون.
146 - الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية.
147 - شجرة الوجود والبحر المورود.
148 - شرح الأجسام.
149 - شرح أسماء الله الحسنى.
150 - شرح خلع النعلين لابن قسي.
151 - شرح رسالة الاستخارة.
152 - شرح ألفاظ الصوفية.
153 - شرح حزب البحر.
154 - شعب الإيمان.
155 - شفاء العليل في إيضاح السبيل.
156 - شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة.
157 - شموس الفكر المنقذ من ظلمات الجبر والقدر.
158 - شفاء الغليل وبرء العليل.
159 - شق الجيب ورفع حجاب الريب.
160 - شرح حكم الولاية.
161 - المحف الناموسية والسجف الناووسية.
162 - الصلاة الأكبرية.
163 - صيحة البوم في حوادث الروم.

164 - عقائد.
165 - العقد المنظوم والسر المكتوم.
166 - عقلة المستوفر في أحكام المنعة.
167 - عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب.
168 - عين العيان.
169 - علوم الحقائق وحكم الدقائق.
170 - عقلة المستوفين العارفين.
171 - العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر.
172 - الغايات فيما ورد من الغيب في تفسير بعض الآيات.
173 - الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والمكية.
174 - الفتوحات المفيدة.
175 - الفتوحات المصرية.
176 - الفصل والوصل.
177 - فصوص الحكم.
178 - الفلك المشحون.
179 - الفوائد النفسية في الكلمات القدسية.
180 - القربة وفك الكربة.
181 - القسم الإلهي بالاسم الرباني.
182 - القلائد والعلاق تشرح ترجمان الأشواق.
183 - كتاب الأوان.
184 - كتاب الإبداع والاختراع المنون بحرف(ث).
185 - كتاب الأحجار المتفجرة والمتقسفة (شب).
186 - كتاب الأحذية وهو كتاب الألف.
187 - كتاب الإحسان وهو كتاب الشين.
188 - كتاب الأدب.
189 - كتاب الأرواح وهو كتاب (هب).

190 - كتاب الأزل وهو كتاب (التاء).

191 - كتاب الأسفار (رب).

192 - كتاب الأسماء وهو كتاب (فج).

193 - كتاب الاسم والرسم.

194 - كتاب الأسرار.

195 - كتاب الأعراف وهو كتاب (قب).

196 - كتاب الأفراد وذوي الأعداد.

197 - كتاب الألف.

198 - كتاب الأمر والخلق وهو كتاب (الواو).

199 - كتاب الإنسان وهو كتاب (ذ).

200 - كتاب الإنسان الكامل.

201 - كتاب الاسم الأعظم (عد).

202 - كتاب الباة إلى التوليد والتناسل(فا).

203 - كتاب البرزخ (ذب).

204 - كتاب البساتين.

205 - كتاب البعثة.

206 - كتاب البقاء وهو كتاب (قد).

207 - كتاب البها (فج).

208 - كتاب أيام الشان.

209 - كتاب البروج وهو كتاب (ذب).

210 - كتاب البواده والهموم.

211 - كتاب التجريد والتفريد.

212 - كتاب التحفة والطرفة وهو كتاب (سب).

213 - كتاب التحكيم والشرط.

214 - كتاب التحويل وهو كتاب (ثا).

215 - كتاب التحليل والتركيب وهو كتاب (ضا).

216 - كتاب التداني والتدلي.
217 - كتاب التدبير وهو كتاب (ما).
218 - كتاب التسعة عشر وهو كتاب (لد).
219 - كتاب التكوين والتمكين.
220 - كتاب الجامع بتضمن وهو كتاب (القاف).
221 - كتاب معرفة الجلالة (ق).
222 - كتاب التوقيعات.
223 - كتاب الحبال (يب).
224 - كتاب الحسم (مج).
225 - كتاب الجسم والجسد وهو كتاب (مج).
226 - كتاب الجلالة.
227 - كتاب الجنة وهو كتاب (مد).
228 - كتاب الجود والعطاء والوهب والمنح والكرم والسخاء وهو كتاب (الذال).
229 - كتاب الحو والإثبات.
230 - كتاب الحلي في كشف الولي.
231 - كتاب الحال والوقت والأدب.
232 - كتاب الحد والمطلع.
233 - كتاب الحركة وهو كتاب (تج).
234 - كتاب الحروف في علم الموصوف.
235 - كتاب الحشرات وهو كتاب (سب).
236 - كتاب الحق (سا).
237 - كتاب الحق المغلق (بة).
238 - كتاب الحضرة وهو كتاب (نا).
239 - كتاب الحق والباطل وهو كتاب (سا).
240 - كتاب الحكمة والمحبوبة (د).
241 - كتاب الحكم والشرائع الصيحة والسياسة (بة).

242 - كتاب الحلية.

243 - كتاب الحمد وهو كتاب (عا).

244 - كتاب الحياة وهو كتاب (الحاء).

245 - كتاب الحيرة (ث).

246 - كتاب الختم والطبع.

247 - كتاب الخزائن العلمية وهو كتاب (عد) (فو).

248 - كتاب الخصوص والعموم.

249 - كتاب الحضرة (ند).

250 - كتاب الخلوة.

251 - كتاب الخواطر.

252 - كتاب الخوف والرجاء.

253 - كتاب الدعاء والإجابة (فج).

254 - كتاب الديموية من السرمدية والخلود والأبد والبقاء (ك).

255 - كتاب الخيرة وهو كتاب (ثاء).

256 - كتاب الخيال وهو كتاب (تبت).

257 - كتاب الرجفة.

258 - كتاب الرحمة وهو كتاب (قب).

259 - كتاب الرسالة والنبوة والولاية والمعرفة وهو كتاب (كد).

260 - كتاب الرغبة والرهبة.

261 - كتاب الرقم وهو كتاب (ظ).

262 - كتاب الرقية وهو كتاب (عد).

263 - كتاب الرمز والحروف التي في أوائل السور وهو كتاب (عج).

264 - كتاب الروائح والأنفاس وهو كتاب (كب).

265 - كتاب الروح.

266 - كتاب الرياح واللواقح وهو كتاب (قو).

267 - كتاب الرياضة والتجلي.

268 - كتاب الريح العظيم.

269 - كتاب زبدة الكف.

270 - كتاب الزلفة وهو كتاب (تج).

271 - كتاب الزايرجة الكبرى.

272 - كتاب سبب تعشق النفس بالجسم وما يقاسي من الألم عند فراقه بالموت.

273 - كتاب زيادة كبد النون.

274 - كتاب الزمان وهو كتاب (ثج).

275 - كتاب سجود القلب وهو كتاب (دج).

276 - كتاب السر وهو كتاب (ن).

277 - كتاب السر والخلوة.

278 - كتاب الشادن والإقليد.

279 - كتاب الشأن وهو كتاب (ب).

280 - كتاب الشاهد والمشاهد.

281 - كتاب الشواهد.

282 - كتاب الشريعة والحقيقة.

283 - كتاب الصادر والوارد في الموارد والواردات (ز).

284 - كتاب الصحو والسكر.

285 - كتاب الطالب والمجذوب والمقام والموقف.

286 - كتاب الطير وهو كتاب (سبح).

287 - كتاب العبادلة.

288 - كتاب العبادة.

289 - كتاب العبارة والإشارة.

290 - كتاب العبد والرب.

291 - كتاب العدة والاجتهاد.

292 - كتاب العدم (خ).

293 - كتاب العروش.

294 - كتاب اليقين.

295 - كتاب هل للعقيدة اختصاص بين نظر وكشف.

296 - كتاب العين في خصوصية سيد الكونيين.

297 - كتاب العين وهو كتاب (الياء).

298 - كتاب العرش من مراتب الناس اليثف وهو كتاب (ظج).

299 - كتاب العرقة والخرقة وهو كتاب (عب).

300 - كتاب العزة وهو كتاب (م).

301 - كتاب العشق وهو كتاب (رو).

302 - كتاب العظمة من الجلال والكبرياء والجبروت والهيبة وهو كتاب (ع).

303 - كتاب علوم الوهب.

304 - كتاب العين (ما).

305 - كتاب العلم وهو كتاب (الفاء).

306 - كتاب الغايات وهو كتاب (ظد).

307 - كتاب الغوامض والعواصم.

308 - كتاب الغيب وهو كتاب (قة).

309 - كتاب الغيبة والحضور.

310 - كتاب الفتوح والمطالعات.

311 - كتاب النفل (صج).

312 - كتاب الفرش بين الاسم والبعث والصفة.

313 - كتاب الفلك (لج).

314 - كتاب الفلك والسماء وهو كتاب (ل).

315 - كتاب الفناء والبقاء.

316 - كتاب الفناء والمشاهدة.

317 - كتاب الفواشي واللباب.

318 - كتاب الفهوانية وهو كتاب (ظ).

319 - كتاب القبض والبسط.

320 - كتاب القدر وهو كتاب (صا).
321 - كتاب القدرة وهو كتاب (عد).
322 - كتاب القدس وهو كتاب (الراء).
323 - كتاب القدم وهو كتاب (السين).
324 - كتاب القرب والبعد.
325 - كتاب القسطاس وهو كتاب (طب).
326 - كتاب القشرة واللب.
327 - كتاب القلم وهو كتاب (نمج).
328 - كتاب القيومية وهو كتاب (ج).
329 - كتاب الكتب والقرآن والفرقان وهو كتاب (كا).
330 - كتاب الكرسي وهو كتاب (رج).
331 - كتاب الكشف الإلهي لقلب ابن عربي.
332 - كتاب الكن إلى حضرة الأفعال والتكوين وهو كتاب (الفا).
333 - كتاب كلام العبادلة.
334 - كتاب القطب والإعامين والمدلجين.
335 - كتاب الكنة لا بد منه للمريد.
336 - كتاب اللذة والألم وهو كتاب (فا).
337 - كتاب اللطائف والعوارف.
338 - كتاب اللمعة والهمة.
339 - كتاب اللوح وهو كتاب (كج).
340 - كتاب المبدئين والمبادئ وهو كتاب (الغب).
341 - كتاب المجد والبقاء وهو كتاب (الباء).
342 - كتاب المحق والحق.
343 - كتاب المشية والإرادة والشهوة (ض).
344 - كتاب معرفة النصائر وأصناف النفس (ي).
345 - كتاب المعرفة في المسائل الاعتقادية.

346 - كتاب المعراج وهو كتاب (ظا).

347 - كتاب المفاضلة وهو كتاب (شد).

348 - كتاب المعارج.

349 - كتاب المكان وهو كتاب (بج).

350 - كتاب المكر والاصطدام.

351 - كتاب الملامية.

352 - كتاب الملك وهو كتاب (ع).

353 - كتاب الملك والملكوت وهو(لب).

354 - كتاب الملك (لب).

355 - كتاب المناظرة بين الإنسان والحيوان وهو كتاب (سد).

356 - كتاب المؤمن والمسلم والمحسن وهو كتاب (ياء).

357 - كتاب النار وهو كتاب (ضد).

358 - كتاب النجم والشجر (غج).

359 - كتاب النفس.

360 - كتاب النقباء.

361 - كتاب النكاح.

362 - كتاب النمل وهو كتاب (حب).

363 - كتاب النوبة والغيرة.

364 - كتاب النور إلى الضياء والظلمة والإشراق والظهور (شا).

365 - كتاب الوصي وهو كتاب (خا).

366 - كتاب الوقائع.

367 - كتاب الولة.

368 - كتاب الهياكل وهو كتاب (حب).

369 - كتاب الهيبة والأنس.

370 - كتاب الهبا وهو كتاب (خج).

371 - كتاب الباء وهو كتاب (الهو).

372 - كتاب اليقين الموضوع في مسجد اليقين.
373 - كشف الأستار عن خواص الأسرار.
374 - كشف الأسرار وهتك الستار في التفسير على طريق المفسرين.
375 - كشف الران عن وجه البيان.
376 - الكشف الكلي والعلم المدني.
377 - كشف المعنى.
378 - كشف الكنوز.
379 - الأسماء الحسنى.
380 - كشف الغطا لإخوان الصفا.
381 - الكنز المطلسم من السر الأعظم في علم الحروف.
382 - كنز الأبرار فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الدعية والأذكار.
383 - الكوكب الأفل.
384 - كيف أنت وكيف أنا ومن أنت ومن أنا.
385 - كيمياء السعادة لأهل الإرادة.
386 - كيمياء السعادة وبلوغ الإرادة في كلمة الشهادة.
387 - اللمعة النورانية على ترتيب الحروف الأبجدية.
388 - لوامع الأنوار.
389 - اللوامع والطوابع.
390 - اللوائح في شرح النصائح.
391 - ما لا يعول عليه في طريق الله.
392 - مآل العلم.
393 - المبادئ والغايات فيما يحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات.
394 - البشرات للأعلام فيما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأخبار والمنام.
395 - المثلثات الواردة في القرآن مثل قوله تعالى:)لا فارض ولا بكر(.
396 - المجلى في استنزال روحانيات الملأ الأعلى.
397 - محاضر الأبرار ومساعدة الأخيار.

398 - الموجة البيضاء في الحديث. مجلدات.

399 - المحكم في المواعظ والحكم وآداب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

400 - مختصر صحيح البخاري في الحديث.

401 - مختصر صحيح الترمذي.

402 - مختصر صحيح مسلم.

403 - المدخل إلى علم التصوف.

404 - المدخل إلى المقصد.

405 - مرآة العاشقين ومشكاة الصادقين.

406 - مراتب التقوى.

407 - مراتب علوم الوجد.

408 - مرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني.

409 - متابعة القطب (مبايعة القطب) في حضرة القرب.

410 - المسببات الواردة في القرآن.

411 - المشاع.

412 - مشاهدة القرآن الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية.

413 - مشكاة النوار فيما روى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار.

414 - مشكاة العقول المقتبسة من نور المنقول.

415 - المصباح في الجمع بين الصحاح.

416 - مغناطيس القلوب ومفتاح الغيوب.

417 - المعارف الإلهية واللطائف الربانية.

418 - مفاتيح الغيب وهو كتاب (لا).

419 - مفتاح إفهام إلهام الوحيد وإيضاح إشكال أعلام المريد.

420 - مفتاح السعادة في معرفة المدخل إلى طريق الإرادة.

421 - مقام القربة.

422 - المقصد الأسمى في الإشارة.

423 - المقنع في إيضاح السهل الممتنع.

424 - مناصحة النفس.
425 - مناهج الارتقاء إلى انقضاض أبكار البقاء المخدرات بخيمات اللقاء.
426 - المنتخب من مآثر العرب.
427 - منهاج التراجم.
428 - منهج البيان لأهل الرضوان.
429 - المنهج السديد في ترتيب أحوال الإمام البسطامي أبا يزيد.
430 - المولد الجسماني والروحاني.
431 - مواقع النجوم ومطالع أهل الأسرار والعلوم.
432 - الميزان في حقيقة الإنسان.
433 - الموعظة الحسنة.
434 - نتائج الأذكار في اختصار سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم.
435 - نتائج الذكار في المقربين والأبرار.
436 - نتائج الأفكار وحدائق الأزهار.
437 - نتائج التوحيد.
438 - نتيجة الخلق (الحق).
439 - نزول التواب في حكمة الكتاب.
440 - نسخة الحق.
441 - نقش الفصوص في مختصر فصوص الحكم.
442 - النواهي الليلية.
443 - النهج السديد.
444 - الوسائل في الأجوبة عن عيون المسائل.
445 - وسيلة المرام.
446 - الوصايا الأكبرية.
447 - الوعاء المختوم في السر المكتوم في أخبار المهدي.
448 - الهدية الملقبة في عيون الأزل بأمر لم يزل.

ويعد هذا السجال والقيل والقال في أمر ابن عربي أمرًا من مدحه ومن ذمه فقد مضى ابن عربي ومضى ناقدوه ولا يبقى غير ذكر حسن أو معروف ينفعك بين يدي المولى سبحانه وتعالى إن كنت أخلصت في فعله مهما قال القائلون مدحوا أو ذموا فالمادح والممدوح والذام والمذموم كلٌّ إلى زوال لا محال، ولا يبقى سوى العمل الصالح فإنه يترك أثره في الدنيا ثم ينتقل معك وإليك في الآخرة ولله در من قال:

فكرتُ في المالِ وفي جمعِهِ   فكلُّ مَا يبقَى هو الفَانِي

ومَا تصدقْتُ بِه يَا فَتَى   باقٍ وكلُّ ما أبعدْتَه دانِي

فاشكُرْ لما وليتَ من نَعْمةٍ   بفضلِ معروفٍ وإحسانٍ

أبو إسلام

سيد كسروى بن حسن

القاهرة في: يوم الخميس الأول من جماد ثاني عام 1426

من الهجرة 7/7/2005 من الميلاد

وصف المخطوط

اسم المخطوط: شجون المسجون وفنون المفتون.

اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عربي أبو الطائي، الحاتمي، الصوفي، محيي الدين.

تاريخ وفاة المؤلف: (638هـ). **مكان المخطوط:** المكتبة الظاهرية بدمشق.

مكان مصورة المخطوط: معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

رقم تصوير المخطوط: ـــ **رقم الميكروفيلم:** 174.

رقم المخطوط بمعهد المخطوطات: 265 . **نوع الفن:** تصوف.

نوع الخط: نسخ. **عدد الأوراق:** 48 ورقة.

عدد أسطر كل صفحة: 22 سطراً.

عدد الكلمات في السطر: 7:9كلمات.

مقاس الصفحة: 20.5x15سم.

تاريخ التصوير: يوم السبت 4 جمادى الآخرة سنة 1366هـ، الموافق 26 من إبريل سنة 1947م.

اسم الناسخ: عبد الغني بن محمد العنبوسي الشافعي.

تاريخ النسخ: حوالي القرن العاشر.

ملاحظات أخرى: جاء بهامش المخطوط تصويبات وتعليقات بخط الناسخ.

وجاء بنهايته تعليقات بخط دقيق يشبه خط النسخ أثبتها بآخر الكتاب.

وجاء بصفحة الغلاف تعليقات وتملكات الوقف، وأنا أذكرها على التفصيل التالي:

-أما عن الأختام فختم قديم يفيد أنه ختم التمليك للدار القديمة التي كان بها.

-والختم الثاني فهو ختم يبدو وكأنه ختم أحد الدور الحديثة المعنية بالمحافظة على المخطوطات ((إما الله عليه وسلم... محمد سيدنا محمد للهداية وما بيدك من الهداية... بيدي من الفوائد حتى صَدَقَه الناس من صاحب اليسر الذي لطاعة بما تيسر...)).

***

مدكة العبد الفقير محمد بن إبراهيم... غفر الله له وللمسلمين في سنة 1136.

***

نمرة 174 تصوف.

***

هذا آخر ما جاء من تعليقات وتملكات على صفحة الغلاف.

الحكيم الترمذي هو: الإمام العارف العلامة العارف محمد بن علي صاحب نوادر الأصول وهو كتاب يزيد على مجلد، جمع فيه على ما... وله كتاب المسائل التي أجاب عنها الشيخ محيي الدين في فتوحاته وهي من النعوت التي لم يسبق لها، وهذا الإمام ليس هو الإمام الترمذي المحدث المدعو محمد بن عيسى رضي الله عنهم أجمعين.

***

نقل الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والـ... في السؤال الثمانين سأل أيلبس الإحرام... فلما أذن له قيل: أصدقه وخفت به الملائكة... والذلة بين يدي علي بن محمد صلى التي هي بدمشق أو بالقاهرة، ولكنها غير عربية لظهور بعض الحروف الانجليزية بالختم وقد تكون منظمة اليونسكو.

-أما عن التعليقات التي بصفحة الغلاف فأذكر منها ما يظهر لي أو يتبين لي قراءته وما لم أتبينه أجعل موضعه نقط، وهو على النحو التالي:

-قال مؤلفه في مسامراته: أبو الحسن علي بن المسفر له تصانيف منها: منهاج العابدين، وكتاب النفخ والتسوية، الذي يعزى إلى أبي حامد الغزالي، وليس له.

-أبو دجانة ما تبختر إلا لخير.

-دخل في ملك الفقير إلى الله... (جاء موضع الاسم طمس متعمد بتظليل حبر تقيل قصداً واضحاً).

-وفي المسامرات قال: كتبت إلى صاحب لي ببلاد الروم واسمه إسحاق بن محمد من أصحاب السلاطين ممن تخدمه الدولة:

إسحَاق اسمع لوعظٍ من أخِي لغةٍ ولا يغرنَّكَ تقريبُ السَّلاطِينِ

إنَّ الملوكَ قدْ استغنوا بملكهم عنَّا وعمَّا بأيدِينا منَ الدِّينِ

فاستغنْ بِاللهِ عنْ مُلك الملوكِ وعنْ سؤالِ منْ هُو مسكينُ ابن مسكينِ

فاللهُ يكفيكَ يا عينِي ويا وَلَدِي شَرَّ الملوكِ وأشرارَ الشياطينِ

فالبيتُ بالحجرِ بالأرضِ أمثالُهُ باللوحِ بِالْقَلَمِ الأَعْلَى وبالنونِ

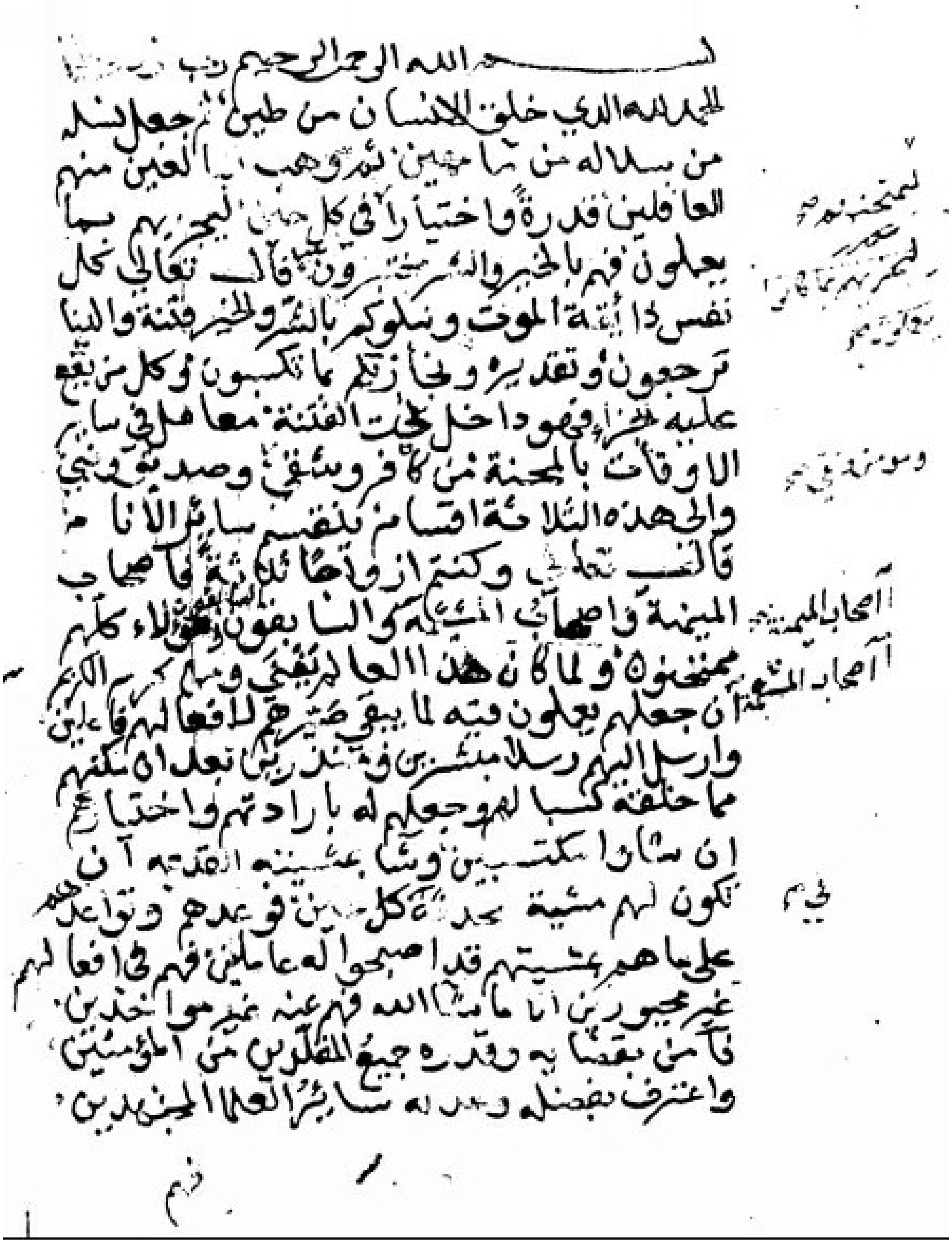
.... وأنت تأمرني ولا يَزال يُناديني ويُسْلِينِي

***

صور المخطوط



صورة غلاف مخطوط: "شجون المسجون"، ويظهر بها اسم الكتاب، واسم المؤلف، وأختام دور الحفظ، وبعض التملكات، وبعض التعليقات وكلها بقلم الناسخ.


بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ثم وهب ... العين منهم
العاقلين قدرة واختيارا في كل حين ليجزيهم بما
يعملون فيهم بالخير والشر ... قال تعالى كل
نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا
ترجعون وتقديره ونجازيكم بما تكسبون وكل من يقع
عليه الجزاء فهو داخل تحت الفتنة معاملة في سائر
الأوقات بالمحنة من كافر وشقي وصديق ونبي
قال تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب
الميمنة ...

صورة الصفحة الأولى ويظهر بها بداية الكتاب ومقدمة المؤلف.

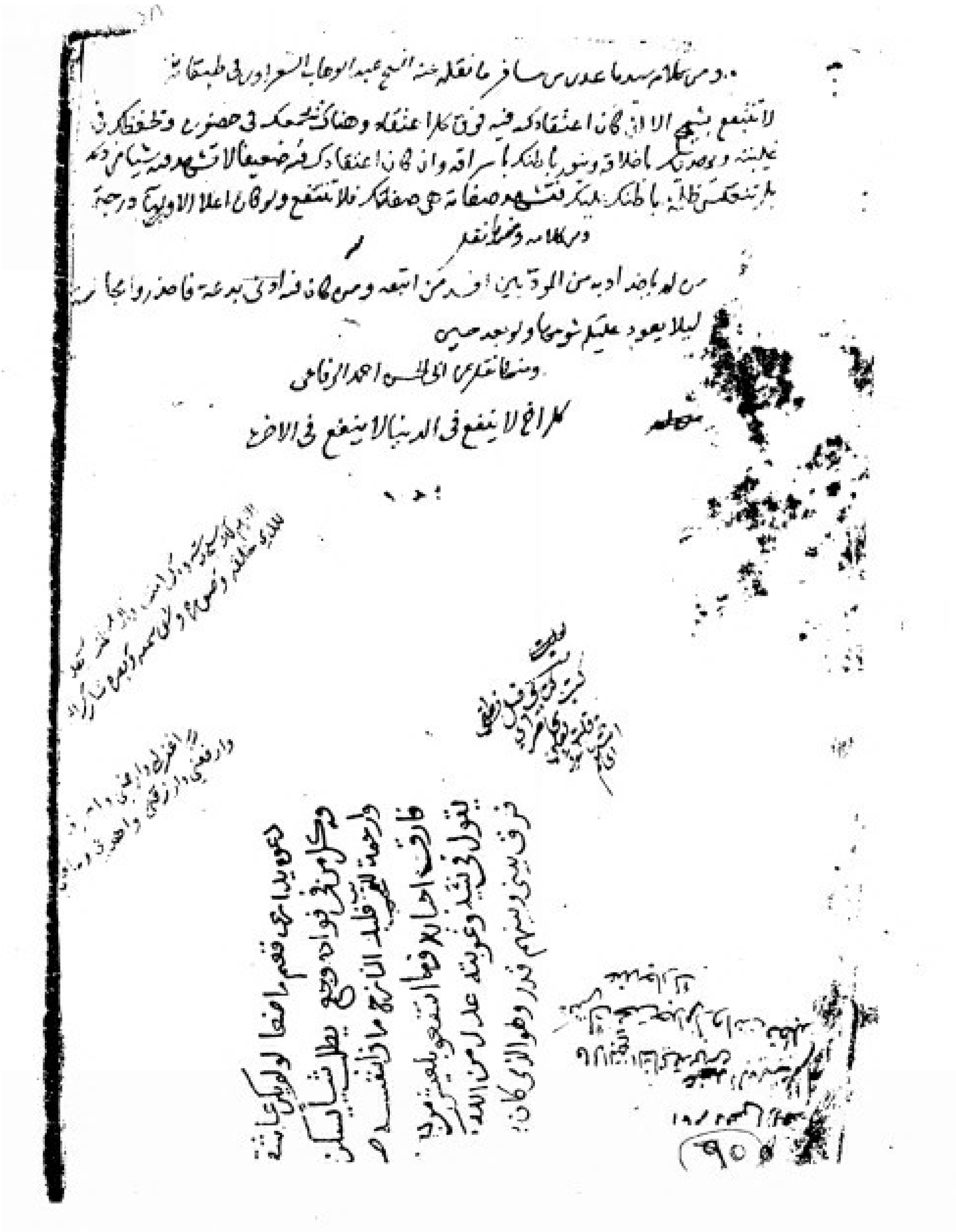
وحيرهم بهم وهديهم اليه • فكل متحير والكل حاير
راوده بما راوده به راوده • فكل باطن والكل ظاهر
وسيرهم بهم عنهم اليه • فكل واقف والكل ساير
واحضرهم وغيبهم عنهم • فكل غايب والكل حاضر
وهذا احدهم والرسم باق • فكل ذاهب والكل ناظر
وان رفع الزمان فلا حدود • فكل اول والكل اخر

تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه اللهم اجعلنا
من العاملين بما فيه والمصدقين والعالمين بما
يحتويه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا
والحمد لله رب العالمين في ١٦ شهر جمادى
الاولى سنة من الهجرة النبوية
على يد العبد الفقير من كسبه
برحمة الله تعالى المعتمد عبد الغني
بن محمد الغنوي الشافعي

عفى الله عنه
ما طالعه سلك الله مرحمة على المصنف وسعادة لصاحبه
واطلب الفاتحة من غير تردد من بعد ذلك غفر الله الكاتبه

نقل الشيخ الشعراوي في الطبقات عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز انه قال من اراد الاخرة فعليه
بالزهد في الدنيا ومن اراد الله تعالى فعليه بالزهد في الاخرة وما دام في القلب شهوة من شهوات الدنيا او لذة من
لذاتها من ماكول او ملبوس او منكوح او ولاية او رياسة او تدقيق في فن من فنون العلم الزايد على
الفرض كرواية الحديث الان وقراءة القرآن بالقراءات السبع وفي النحو واللغة والفصاحة فليس
هذا محب للاخرة انما هو راغب في الدنيا وتابع لهواه انتهى
وقد قال رضي الله عنه في موضع اخر
اذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة فقد خرج منه في الغرض وما استعمل احد منهم الا قطع به

الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط، ويظهر بها نهاية المخطوط وبعض التعليقات التي كتب بنهايته وهي لبعض القراء.


..ومن كلام سيدنا عدي بن مسافر ما نقله عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته
لا تنتفع بشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد وهناك تحتك في حضوره وحفظك في
غيبته ويهذبك بأخلاقه ويتورك بأنواره وإن كان اعتقادك فيه ضعيفا لا تشهد فيه شيئا من ذلك
بل تنعكس عليك بأطنك بحيث تشهد صفاته في صفاتك فلا تنتفع ولو كان أعلى الأولياء درجة
ومن كلامه ومما نقل
من لم يجد أدبه من الورق بين أقدم من اتبعه ومن كان فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته
لئلا يعود عليكم شؤمها ولو بعد حين
ومما نقل عن أبي الحسن أحمد الرفاعي
كل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة

الصفحة الأخيرة من المخطوط، ويظهر بها بقية التعليقات التي لحقت بنهايته.

/بسم الله الرحمن الرحيم [1/أ]

ربِّ زدني علمًا

[مقدمة المؤلف([2])]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم وهب البالغين منهم العاقلين قدرة واختيارًا ليمتحنهم في كل حين ليجزيهم بما يعملون فهم بالخير والشر مختبرون ليجزيهم بما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ([3])﴾ وتقديره ونجازيكم بما تكسبون، وكل من يقع عليه الجزاء فهو داخل تحت الفتنة معامل في سائر الأوقات بالمحنة من كافر وشقي، ومؤمن وتقي، وصديق ونبي، وإلى هذه الثلاثة أقسام ينقسم سائر الأنام، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ([4])﴾.

ولما كان هذا العالم يفنى، وشاء كرم الكريم أن جعلهم يعملون فيه لما يبقى صيرهم لأفعالهم فاعلين، وأرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين بعد أن مكنهم مما خلقه كسبا لهم وجعلهم له بإرادتهم واختيارهم إن شاءوا مكتسبين، وشاء بمشيئة القديمة أن تكون لهم مشيئة محدثة كل حين فوعدهم وتواعدهم على ما هم بمشيئتهم قد أصبحوا له عاملين فهم في أفعالهم غير مجبورين إلا ما شاء الله فهم فيه عنه غير مؤاخذين، فآمن بقضائه وقدره جميع المقلدين من المؤمنين واعترف بفضله وعدله سائر العلماء المجتهدين / فهم أئمة [1/ب] الدين وورثة النبيين والمهتدين الهادون بالكتاب المبين فبينوا للناس ما به يعملون إذا هم عادة في دار الدنيا ممتحنون.

فأصحاب المشأمة: بالخيرات الفانية مختبرون وهم بها مستدرجون من حيث يتألمون وبالشرور الدانية يفتنون لعلهم يتوبون ويتذكرون، قال الله تعالى في حق هؤلاء: **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ([5])﴾**.

وأما أصحاب اليمين: فإنهم مفتتنون بالخيرات ليرغبوا في الأعمال الصالحات، وممتحنون بالشرور المختلفات لتكفير السيئات، وفي حق هؤلاء قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾**.

وأما المقربون: فإنهم مفتتنون بالخيرات ليكونوا من الشاكرين وبالشرور ليعودوا من الصابرين وفي حق هؤلاء قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ**

أَخْبَارَكُمْ([6])﴾.

فشرور أصحاب الشمال: نقم وتنقيص وشرور أصحاب اليمين تكفير وتمحيص وشرور السابقين: نعم وتخليص وخيرات أصحاب الشمال: حجاب وبليال وخيرات أصحاب اليمين: أعانه على الكمال وخيرات السابقين: مواهب وأفضال.

فقال تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا**([7])﴾ خاص بأهل [2/أ] الشمال دون أصحاب اليمين كقوله مخصصا: / ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**([8])﴾، وذلك من باب العقاب لا التكفير، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**([9])﴾.

وأما قوله:﴿**لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**([10])﴾ فخاص بأصحاب اليمين وهو من باب التكفير لا العذاب، وإن كان حكمه حكم العقاب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ([11])﴾ فخاص بالسابقين، وهو من باب تعظيم الثواب والفضل كما لضدهم من باب توفير العذاب للمعذب فمصيبة أصحاب الشمال تخسير وتدمير ومصيبة أصحاب اليمين تطهير وتكفير ومصيبة السابقين توفير وتوقير وقد بين الله تعالى بفرقانه فرقانا بين مصيبة التكفير ومصيبة التوقير في آية يعقلها الخبير، قال الله تعالى ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**([12])﴾، فكل من عند الله بقضاء وقدر وعدل من الله تعالى، ومن يكفر يضل الله قلبه ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ([13])﴾ والمغيرون يغير ما بهم فتنتهم ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن والٍ ([14])﴾، فسائر أفعاله تعالى مع عباده: إما فضل، وإما عدل جزءًا بما يعملون ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ([15])﴾.

فسبحان من خلق الفتن المختلفات من الشرور والخيرات، وامتحن بها عباده في سائر الأوقات، ومكنهم من اجتناب السيئات واكتساب الحسنات [2/ب]/ليفوزوا إن اختاروا وعملوا بالباقيات الصالحات وهداهم بالعقول باطنا إلى أفضل السبل وأرسل إليهم ظاهرًا: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ([16])﴾ فلينظر الآن هذا الإنسان المأخوذ بالافتتان في

كل آن الممكن من الاكتساب في كل مكان، ولينه نفسه عن الهوى ففيه الهلاك وليدع الله في سائر الأحيان راغبا في الجنة والرضوان راهبا من الغضب والنيران.

والحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه في كل زمان من كل إنسان.

[أما بعد([17])]:

فإني لما رأيت العالم بأسرهم مفتنون بكسبهم مثابون ومعاقبون، ورأيت من تمام النعمة عليهم أن فتنوا بكل ما لديهم وفوض أمرهم في الاكتساب إليهم اعتراني دهش في طرب، وعجب في عجب، وكنت على حالة أظن الفراق ولا أجد لدي من راق، وأوصيت من حضرتي فكتبت ما خطر، فليتأمل ذلك من يراه ففيه في بابه عنية لمن شاء الله.

شعر

وممتحنِي في كُلِّ آنٍ وحَالةٍ	يرانِي أسيرُ الصنعَ أو أحسنُ الصُّنْعَا
فهذِي حَياتي كُلَّها لي محنةٌ	فهلْ لذلِّي يومًا مُعَاشَرةُ الأَفْعَى
دعَانِي بأمرٍ منْهُ داعٍ إلى الهَوَى	وداعٍ إلَى التَّقْوى وحذَّرَني شرْعَا
وأوجدَ لي ميلاً إلَى كلِّ واحِدٍ	وقدرَةً يدعِي مقدورٌ قديرٌ إذَا
وقالَ جعلنَا مَا على الأرضِ زينةً	لنبلُوكُم فانظرْ لنفسكَ ما تسْعَى
فهذِي وجوهُ الامتحانِ فكنْ فتًى	بجانبهِ ضرٌّ ويصحبُهُ نفعَا
فَمَا فيهِ إلا مبتلًى وبليةٌ فخذْ بالتَّقَى	عقلاً وعاص الْهَوَى طبعَا
[3/أ] / وذر راحةً تفني وخذ بنصيحتي	وشمرْ لها عزمًا وألقِ لها سمعا
وإنْ ما طلتْ أو إنْ وَنَتْ نفسُكَ	استغثْ بمن عنْ هواهَا يستطيعُ لَهَا منْعَا
وسَلْ باطنًا منه الغني عن غني الورى	فلم يغن من لم يغنِ عنْ ما لهم قنْعَا
ولا تنظرنَّ إلاكَ ممتحنًا بِمَا	لديكَ وجَاءَ الموتُ يقْطَعُهُ قطعَا

ثم بعد ذلك شفاني الله من ذلك المرض فعدت إلى ما أعتقد أنه نهاية الغرض وهو الاجتهاد في فهم معاني كتاب الله من غير عدول إلى تقليد أو ميل عنه إلى شيء سواه فلما كمل ما ظفرت به منه وفهمته عنه طلبني ملك الوقت ببأس شديد على جعل البريد من مسيرة خمسة عشر يوما، فطلب مني علما لا قبل لي به، ثم سجنني عاما بسببه، فجمعت لنفسي تذكرة مما وصل إلي وفتح به علي وسميته:

"شجون المسجون وفنون المفتون"

ولم أقيد الترتيب فيها على وفق الواجب، بل جمعتها جمع الحاطب ليكون كل فصل قائم بنفسه، يستفيد الناظر له بحسن نظره وحدسه، وجعلتها ثلاثة أبواب لأنها زبدة ما فهمته من الكتاب.

فالباب الأول: في العمل

والثاني في: العامل.

والثالث في: المعمول له.

وكل باب فيه مما قبله، وبذلك لك جهدي في كشف ما عندي نصيحة لمن يراه.

وحسبي الله.

الباب الأول
في
العمـــــل

اعلم أن الخواطر تعرض على القلب وتنجلي بسرعة فهي مما يخص القلب مما هو خارج عن قدرة الإنسان.

فالخاطر([18]): هو ما لا يثبت إلا أن يربطه الإنسان.

والراتب([19]): هو من الرواتب التي تلزم / القلب لزومًا راتبًا لا تكاد تقلع [3/أ] عنه.

والعواقب([20]): هي ما تعقب أفعاله من الإنسان([21]).

فالخواطر إذا مدت بالفكر أدت إلى الرواتب، وإذا أمدت بالعزم أدت إلى العقائب، فإن أعرض عن الخواطر مرت كما تمر الريح فلا يكون لها أي تأثير.

والعقائب قد تحدث على سبيل الجزاءات؛ لأنها تحدث بعقب الرواتب التي ربط المفكر، ولقد كانت أولا خواطر وهذا يعطي وجوه ملازمته القلب لأنه باب الهدي والضلال وصاحب الكسب، ﴿**وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ([22])﴾ ولما كان ابتداء كل شيء إنما هو من القلب، وهو من جهة هذا الخاطر المتقلب الذي من أجله سمي القلب قلبا، وأن يضاف ذلك إلى غيره في سبب التسمية فتقول: إن من الخواطر ما يعرض من جهة المزاج مميلا إلى ما يوافق، فهذا إذا تمكن سمى شهوة وضد نفرة([23]).

ومنه([24]): ما يعرض لنيل رتبة، فإذا تمكن سمي همة.

ومنه: ما يعرض باعثا على الفعل، فإذا تمكن سمي مشيئة.

ومنه ما يعرض باستعجال اللقاء فإذا تمكن سمي شوقا.

ومنه: ما يعرض بتثبت حكم أو شيء على ما هو عليه فإذا تمكن سمي علما، وإن كان مترددًا سمي شكا. فإن عرض بذكر ما لا حقيقة له على سبيل الثبات سمي جهلا([25]): ولجميع الأخلاق والخصال خواطر متى تمكنت سميت بأسماء تخصها. واعلم أن منزلة الحق أطر منزلة سماع صوت يفرع سمعك ويمر عنه. فكما لا لزمك من سماع ما يكون / من كذب أو محال إثم، ولا [4/أ] يلحقك لوما ولو كان ذلك بالعكس فإنه لا يفيدك بمجرد سماعك إياه أجرًا إذا لم تقصد لشيء من ذلك فكذلك الحق أطر إذا لم تتبعها بالك، ولم يقدرها الله لا يعقبها شيء.

وإنما يجتهد الصديقون فيما يقوي خواطر الخير ويقطع عنهم خواطر الشر لأنها أذمة([26]) القلوب، وفواتح الأعمال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا**﴾ أي اقتدوا بالذكر، وهو القرآن﴿ **فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ فإذا أبصروا نهو أنفسهم.

والطيف: أول النزعة مثل ما يعرض منه بالطيف الذي هو الخيال الذي يرى في النوم لا حقيقة له فينسب إلى المحبوب صورة ما، فافهم هذا جيدًا.

واعلم:

أن اللمة([27]) من قولهم ألم بمكان كذا إذا نزل على غير إقامة، ولا يقال ذلك لمن مر عليه ذلك فافهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ اللَّمَمَ** ([28])﴾ فليس المراد بالاستثناء، أنهم لا يجتنبون اللمم، بل معناه أنهم يجتنبون الكبائر ولكن إذا نزل أحدهم بصغيرة فإنه لا يقيم عليها، بل يقلع عنها عاجلا.

فالخاطر الذي يجري إلى حديث النفس هو لمة من الشيطان إذ هو بمنزلة النزلة التي لا إقامة فيها ولا يقال ذلك على الخاطر الذي لا يجر إلى حديث النفس لأن ذلك مرور لا نزول، فإذا نزل فهو إلمام([29]).

فإن أقام فهو إغواء لأنه ممد ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**([30])﴾ فقد صار منزلة العاقبة عوقب به صاحبه لربط الخاطر الأول فليس [4/ب] لعاقل أن / يستهين بأول خاطر فينقاد له فإن ذلك يستدرج إلى ذهاب معرفة الله من قلبه ويبقي رقا([31]) للشياطين بشهواته: ﴿**بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** ([32])﴾.

مطلب ثقل عمل الآخرة

وعلامة ذلك أن يثقل عليه عمل الآخرة وإن خف، ويخف عليه عمل الدنيا وإن ثقل. والدنيا عبارة عما يفني فاعرفها، فمن أحسن بشيء من ذلك فعليه بالحمية([33]) من جميع الخواطر كما يحتمي المريض المدنف([34]) وليعد إلى حفظ قلبه وحراسة فكرة ليلا ونهارا حتى يرجع يجد هذه الحراسة دأبا له دوما، ويقظة وتحقق الشفاء كما كان متحقق له ضده. فمتى لم يرفع الخاطر بجهد شديد وحراسة دائمة كان أشد عدو، وهذا أفضل الجهاد وأبلغه([35])، ومن أراد ذلك فليبتدر إلى ثلاث خصال:

الأولى: مبادرة كل خير يخطر بباله، فإنه بمنزلة البدر.

الثانية: منع الشهوات والإسراف في الأكل والشرب والنوم.

الثالثة: مجالسة أهل العلم والذكر.

وأنت إذ اعتمدت ما أوصيتك به من مراقبة الخواطر علمت من هناك، جميع ما تحتاج إليه، واستغنيت عن هذا الكتاب وعن مثله من كل وصية وعلاج، ومن جرب رأي وصدق ومن عز عليه هذا الأمر فعليه بالذكر([36]).

فصل حديث النفس

إن حديث النفس هو ذكر من فعل الإنسان يطابق الخاطر، وإن في القلب ضروبا من الأذكار ليست بمنزلة بل يحتاج الإنسان أن يتكلف لها من الحضور ما يشهد به حاله فيصدق عنه نفسه لأنه يري الكائنات تذكر معه / بذكره [5/أ] إذ يري حاله فيها.

فلا يحسبن الناظر في هذا الكتاب أن مجرى الأذكار كلها مجرى حديث النفس، فيشتبه عليه وجه الصواب، فيكون ذاكرا ناسيا، إذ أن كل عمل الأبدان يتقدمه علم، وأن بابك علم إنما هو القلب، وهو من هذا الخاطر([37]).

وإذ قد فهمت من الجملة المتقدمة أن الخاطر لا يعتد به بل هو يمر أبدًا يحكي شيئا وضده وغيره حتى كان يحكي مرور العوالم من خير وشر، فمتى ربط ذلك الفكر خاطرا ما كان هذا من كسب القلب، ثم صار هذا الخاطر الأول المربوط بالاختيار من الرواتب([38]).

ومن هاهنا إن لم يقع صار مؤديا إلى العقائب فيعاقب به القلب أو يثاب بحسب أن تلحظ ككسبك، فإن كان مما يفنى فهو عليك، وإن كان مما يبقى فهو لك.

ومن عرف الكتاب العزيز عرف به الخواطر فكان بهذا السير على صراط مستقيم لقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**([39])﴾ هو اعتبار أول خاطر يخطر في القلب، فمتى لم يجده راجحًا في العقل بحكم الكتاب رجع عنه، فهذا الرجوع سلوك في الصراط المستقيم؛ لأنه تذكر عند مس طيف الشيطان وهكذا ينبوع الأعمال وأول الكسب وبدأ النور والظلمة، ومنشأ كل خير وشر، وأول الإرادة والاختيار والمشيئة، الذين من أجلهم كنت مكتسبا [5/ب] وبهم ظهرت لولاهم / ما أمرت ولا نهيت. ومن هاهنا ظهرت فضيلة الرسل والكتب ولزم الامتحان.

فكن أبدًا واقفا على صراط مستقيم ملازما حراسه قلبك أن تربط به خاطرا أولا مذموما فتجعله راتبا، فهذا أول كسبك. ومن هاهنا تبدأ العقائب ويستمر الأمر حتى يقع الطبع على القلب بالكسب([40]).

وسمي طبعا لأنه يصير بمنزلة الطباع للإنسان لأن الانتقال عن الطباع عسير جدًا إن أمكن فيكون هذا قد طبع على قلبه بكسبه، ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**([41])﴾، ﴿**بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**([42])﴾ فافهم هذا جيدًا وقف معه ولا تهمله أو تغفله أو تسامح أو تفتي أو تغلط أو تتأول، وكفي بالله حفيظًا. واسأل الله ذلك بالقال والحال في كل آن وحال([43]).

باب الخير والشر وأمر النفع والضر

أصل الأول والآخر وجملة الباطن والظاهر منوط بالفكر من كل إنسان نومًا ويقظة في كل آن فنزهه عن الاشتغال في القول والفعال والقطع والوصال وفي سائر الأحوال ولو في لمحة الخيال، فالدنى الداني هو الأول الفاني، والسخي الباقي هو الآخر الثاني.

ولقد وضع المعاني تعلقها بالمثاني كما رقع المباني تضمنها للمعاني، فمن جد مفكرا عازما صابرا أصاب ومن صار غافلا وانيا ضاجرا فقد خاب، فأصغي لما يوقد نور حسك أن خمدت نار نفسك ذره على قطب حسك مقتنيا بخويصة نفسك تكن ملكا، فلا تؤثر فيك الأحداث، ولا تتعدى إليك الشرور. وهاهنا يقال: نزه الفكر عن محل الفناء إنما الفكر سلم البقاء حيث فكرت أنت في ذلك فأفهم ما الذي فيه فكر الفضلاء([44]).

/موعظة وعلاج

كيف تشهد لطائف المعارف ووجه قلبك متوجه إلى كنائف المآلف؟ وكيف ترحل إلى المواهب والعوارف وأنت مثابر على حضيض العوائد والمتآلف؟ وكيف تجول في ميدان السرائر وفكرك مسجون في سجن الظاهر([45])؟

شعر

اجنحْ إِلَى قلبكَ واعملْ عَلَى　　أنكَ لا تفكرُ في الفانِي
وغُصْ إِلَى الباطنِ عنْ ظَاهرٍ　　لتعرفَ الأولَ بالثَّانِي([46])

إيضاح ووصية

الفكر سلم القلب فإن رقي به إلى الظاهر انقطع لأن حدة الأجسام والفاني وإن رقي به إلى الباطن، فلا حد له بل يستمر في الإدراك والمعاني ويوصله إلى كل أول قطعة الثاني، فإذا بلغت هذا المقام: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**([47])﴾.

شعر

وَوَجِّهِ الفكرَ إِلَى داخلٍ واجْعَلْ　　نصيبَ القلبِ قطعَ النَّصيبِ

ما يبعدُ المعشوقَ منْ عاشِقٍ   وكلُّ قلبٍ فيهِ مأوَى الحبيبِ
فاقطعْ عنِ القلبِ جميعَ الذي   يقْطَعُهُ عنْكَ وأنْتَ القَريبِ([48])

علاج

الشهوة تطفئ نار الفكرة الردية كما تطفئ نور الفكرة الصالحة فاجتنبها داء واستعملها دواءً.

نبأ

الملائكة يشهدون بالذهب ما يشاهده البشر بالفكر أول خاطر كأول نظرة ﴿**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** ([49])﴾.

مضارع

كيف تغيب إذا جعلت ما يغيبك مخطرًا وما ينسيك مذكرا.

حماسة معين

هو الصبر في كل آن قدرك، صبرك صبرك سرك إنما أنت لتصبر.

إذَا مَا حياةُ الْمَرْءِ زيدَ بِهَا الصَّبْرُ   فَقَدْ لَذَّ لِي عُسْرٌ كَمَا لَذَّ لِي يُسْرُ
وعَادَ الرِّضَى في السَّخْطِ والْقُرْبِ   فِي النَّوَى يَشْتَكِي شُكْرُ

وفي المرء خلق والديه([50]).

اختيار

مقدار كل امرئ حديث قلبه فحيث فكرت فأنت ذلك فافقه([51]).

تيقظ

قد يخطر في البال في بعض الأحوال أنك كأحد الرجال بمجرد المقال مع الغفلة عن المحافظة في الأفعال فتظن من أجل معرفتك بما يجب أن تكون عليه من الحال، أنك كامل الأحوال، وهذه حالة الشعراء الذين ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ **([52])﴾.**

وصية مغنية حجة

يا هذا إذا أنت نمت ذهبت عنك هذه الدعاوى كلها، ولا تقدر أن ترى ما تريد، وسلك بك في مسلك بين الكذب والأمثلة أو في حالة عدمية مهملة، فكيف إذا مت وما صار لك من عمرك إلا ما صفا؟**!** وليس مع أخلاط والجماعات صفوة، ولا مع كثرة المال فراغ لا تسمح بأوقاتك المباطلة ولا للباطلين ولو كبرت مرتبتهم إن لم تخل من كل ما شغلهم لم تشرق فيك أنوار الصفا، ليس في هذه الدار موضع خلوة، فاتخذه في نفسك، ليست الشواغل بضارة لك إذا خلوت منها وأنت فيها، وقد تحصل الخلوة في الجمع لمن قواه الله، ولا تفترن ولا تقفن مع مألوف، ولا تهينن بمعروف، ولا تتكلمن على أحد وشى، وانظر إلى كل كأنه عدو لك، ولابد من صداقته و﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**

([53])﴾ وكن واحدًا كاتما غنيا بذاتك لا من خارج واحذر أن يقيدك حال أو قال أو مال أو آل، فإنما تصل بالتجريد عن كل ما تريد([54]).

مطلب رضوان الله

اعلم أن كل مراد كان سوى رضوان الله هو بمنزلة إله، والسابق قد قطع العوائق، وإنما التقرب بالصور شعار المشركين ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**([55])﴾.

ومن تبرأ من هواه شهد أن لا إله إلا الله، وهذا الفخار مصيره إلى الانكسار.

لف مفصح وهوًى مفضح في سوس / النفس عشق كامن، هو يسر [7/أ] باطن، فمتى علقته بمعلوم سلب وجلب حتى غلب، وحجب. فاحذر التقييد بالصور مما بطن وظهر، ولو علا في حسنه وبهر ﴿**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ**([56])﴾.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر إلى منزلة وجنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله من ينظر وجهه

بكرة وعشية([57])».

تحقيق

اعلم أن المتأمل لهذا الحديث من المؤمنين به لا يرضى أن يكون أدنى، وهو يقدر أن يكون أكرم.

وتحقيق أن ذلك إنما هو هناك مبنى على ما هو هنا، فمن كان من المؤمنين هاهنا ناظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وغير ذلك فهو هناك كذلك، ومن كان قلبه مع الله وهو دائم النظر إليه معتمد إرضاءه فيما فرض عليه، فهو أيضًا هناك على مثل ذلك فاختر لنفسك ما شئت فسترد إلى ما رضيت أو تهوى إلى ما هويت.

يَا ممتحنًا بكلِّ مَا بينَ يَدَيْهِ ... والأمرُ مِنَ الأمْرِ قَدْ رُدَّ إِلَيْهِ

مَهْمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ فِي عَالَمِهِ ... هَذَا فَهُنَاكَ يَرْجِعُ الْكَسْبُ عَلِيه([58])

فصل

اعلم أن إنسانا نام عن ورده، فرأى في منامه كأن ولده سقط من علو، فانزعج واستيقظ مبادرًا إلى الحمد والصلاة شكرًا لكون ما أصابه إنما كان في المنام، فضرب له مثال اليقظة بما رآه في الأحلام، وتحقق أن مصائب الدنيا في المال والولد والآل وفي سائر الأحوال إنما / هو جواذب ودواعي، أنعم الله [7/أ] بها على الغافلين ليجيبوا الداعي، وليس الأمر في الحقيقة في يقظته إلا كما رآه في نومته، أيقظه بنعمة أو نقمة كل ذلك ألسن داعية إلى الله، وجواذب إليه عما سواه،

وهذا مما يجب أن يشاهد في كل آن، فهو أنفع ما ولج في سمع إنسان، ولقد تكررت به أمثلة كثيرة في القرآن:

يَا مَنْ شُغِلْتَ بِهِ عنِ الأشْيَاءِ وَحَلَّتْ لِي به في الْهَوى بلوائِي

كلٌّ إليكَ يقودنِي بجواذِبٍ هِيَ منَ السَّراءِ والضَّرائِي

طابَ لِي أنَّها فِي هواكَ ولذَّ لِي جَمْعِي عليكَ بِفُرْقَةِ الأهْوَائي([59])

مثال

اعلم أنه كما تقدم علم الرائي في منامه ما سيقع قبل وقوعه ولم يجز أن يقال أن العلم أوجب وقوع الواقع والواقع تبع تابع للعلم، فكذلك فافهم بهذا المثال أن الموجب لوقوع الواقع من الإنسان ليس هو العلم القديم بل العلم القديم تابع للمعلوم، وأن تقدم كما أن علم الرؤيا تابع للمعلوم، وقد تقدم فاتخذ ذلك ميزانا واجعله لك برهانا([60]).

نصيحة شافية

إذا اشتبه عليك أمر، فأردت أن تعلم هل هو مما يجب أن يرغب فيه أو عنه، فأخطر ببالك حضور باعث الموت إذ لا محيص عنه ولا مهلة، فإن كان ذلك الأمر مما يبقي معك في ذلك الآن فابق معه أو مما يفارقك ففارقه([61]).

يا منْ يقضِي عمرَهُ في ضَلالِ وَيَدَّعِي مَا يَدَّعِيهِ الرِّجَالْ

/يسيرُ سيرَ القَوْمِ فِي زَعْمِهِ وَحَالُهُ غَيْرُ شَكٍّ مُحَالْ [8/أ]

عِنْدِي وَاللهِ الدواءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ الدَّوِيّ العضالْ

افْرِضْ بِأَنَّ الموتَ عَايَنْتَهُ وَقَدْ تَقْضِي مَا قِيلَ وَقَالْ

وَعَادَتْ الدُّنْيَا لِذَاتِها حَقِيقةً بِالموتِ شِبْهَ خيالْ

فكنْ عَلى ذَلكَ واعْمَل له في كل آن وعلى كل حال([62])

تقوية

إن عجزت عن ذلك لضعف أو إلف أو غيره فعليك بالإخلاص في الدعاء إلى الله الذي لا شك أنك تعرفه إذا وقعت في خطب جسيم وهول عظيم وتقطعت بك الأسباب، وغلقت دونك الأبواب أو ما تراك كيف تدعو بحضور لا غلبة فيه وتوجه لا التفات معه ووجه لا شركة فيه، فإنك لا تدعو معدوما: ﴿إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾**([63]).**

مطلب ادعُ الله زيادة

ادعُ الله الذي لا يتناهى في الأوهام بتقدير لا يمثل في الأفكار بتصوير، ولم تستخرجه نتائج العقول بالأفكار فتجعله سبحا محدودًا لا شخصا مشهودًا، ولا وقتته الأوقات فأجرت عليه الأزمنة، ولا أحاطته الجهات فتضمنته الأمكنة بل هو الفاطر أبدًا ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾([64]).

مثل وتفهم

الفكرة كالعبد إن لم تكده مردته البطالة وإنما تنقسم الأفكار بتقسيم المآرب، والموحد بالفكر من جعل الهموم هما واحدًا ففكر فيه.

فأول ذلك: أن يفكر في عيوب نفسه ومساقط هواه وما يحتاج إلى تكملها به، فإن الغرض سلوك سبيل الأنبياء، وسبيلهم سياسة البلدان والسكان، ومن لم يسس نفسه كيف يسوس العباد؟ ومن لم يسس بدنه كيف يسوس البلاد([65])؟

[8/أ] والثاني: / إذا خلا بنفسه بعد معرفتها وإصلاحها فلا يفكر في شيء من أمور الطبيعة وليمت نفسه عن كل رذيلة لتحيا بالفضيلة وليعلم أنه إذا خلا بنفسه وتخلي بسوسه، تحتال الطبيعة في جذبه إليها، وكلما لاح لطائف روحاني باق جذبت بمثله إلى كثيف جسماني قان، فليحذف ولا يطرف، وليعلم المقلوب بكثرة الوساوس والأفكار أنه لا يفيده الهروب منها لأنه إنما يقطعها حينا وتقطعه أحيانا، وإنما يفيد الهروب من المحظوظ فإذا قطعها انقطعت عنه الأفكار، ولا ينال ذلك إلا بحزم وعزم صادق على الموت.

مثال

الصدق له وجهان: أحد وجهيه: ما كسبه بالمجاورة. والآخر: كيفية الأحجار. وكذلك القلب([66]).

تعليم

صور الأمور الدينية كصور المشمومات فلا تحصل من صور المشمومات مهما قدرت، وأنت لا تفرق بين رائحة كل واحدة ورائحة الأخرى، فإن المقصود بالصور الأراييح([67]).

فصل

إن وراء نطاق النطق ما هو أدق من أوتار العنكبوت.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَدْرَ يَنْظُرُ وَجْهُهُ ... بِصَفْوِ غَدِيرٍ وَهْوَ في أُفْقِ السَّمَاءِ([68])

مطلب كشف الأولياء وكشف الأنبياء

مثال

اعلم أن كشف الأولياء بمثل السراج في أحاد البيوت ليلا، وكشف الأنبياء بمنزلة نور الشمس العام على الموجودات نهارًا. والناس بمنزلة الطيور المستعلي بعضها على بعض بحسب القوة المعطاة

لكل واحد منهم من حيث جنسه وخلقته. فشتان بين الناظر بالنور السفلي جزئيا والناظر بالنور العلوي علويا: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ([69])﴾ ومرادنا / بالجعل [9/أ] هاهنا يرجع إلى النور الخارج لا إلى نور البصر لأن نور النار هاهنا هو من جعل البشر، ونور الشمس، من جعل خالق الشمس والقمر([70]).

تهذيب

الأبوة قسمان: أب روحاني، وأب جسماني، فلو كانت السعادة تحصل بالأب الجسماني لسعد بها اليهودي والنصراني. فالأب الروحاني على التمام هو النبي عليه الصلاة والسلام، ونحن في باطن الكون كالجنين، والتكاليف الشرعية تكمل الصورة الروحانية ولهذا جعلت الصلوات الخمس على عدد

الحواس الخمس. فلتحرص على أن تكون الصورة كاملة ليفرح بنا أبونا عند الولادة([71]).

تخصيص

الإنسان لوح تنقش النفس فيه الملكوتية وما تحتها وما فوقها، فالملك جزؤه وله بالجسم ملك آخر هو المتصرف فيه بالاختيار وبالعقل ملك آخر لا تحيط به الأفكار يتصرف به في الجسمانيات، فبهذا سخر له وتفضل به على الروحانيات ولهذا سجدت له، فهو بالذكر ملك، وبالإحاطة لما دون فلك، ولما فات الجسمانيات وفات الروحانيات تخصص بأسماء الصفات، وبهذا شهد للنبي([72])الكريم، إذ ما في الملائكة من اسمه رؤوف رحيم، فسبحان من أبدع هذا البشر وأقدره على التقمص بسائر الصور، ودله عليه بالعيان والخبر، فبطن وظهر، وكشف وستر، وضعف وقهر، ونهي وأمر، وأطلق وأسر، وغاب وحضر، وجحد وأقر وقفا الأثر فعلا وبهر، ودنا واستمر / فانقطع الخبر [9/ب] ([73]).

النبوات

كما أنه تعالى أوحى إلى رسوله الكليات وأحال عليه في بيان الجزئيات كعدد ركعات الصلوات، كذلك ترتيب أصحاب الولايات فيما يأتون به من الكرامات العليا والعمليات وذلك حوالة عليهم من أصحاب النبوات تفضيلا للوقائع والوجوديات، والنسبة والهبات إلى النبوات كنسبة الجزئيات إلى الكليات([74]).

من ملخص مظفرين سنان
في

الرد على الفلاسفة

الفلاسفة قسموا الأمور إلى: واجب، وممكن، وممتنع.

فقالوا: الباري واجب الوجود بذاته.

والعالم ممكن الوجود بذاته، ووجود به بواجب الوجود، والوجوب له كالظل عن الصورة والنهار عن الشمس، وهو على الوجوب الممكن.

والعلة متقدمة على المعلول الذي هو الممكن الواجب الوجود بواجب الوجود كتقدم الصورة على الظل ملازمته له.

وأن الممكن إمكانه بذاته ليس لواجب الوجود قدرة على إمكانه إذ هو ممكن لنفسه، فليس إمكانه مقدورًا له، وإنما وجوبه بواجب الوجود.

وأنكروا أن يكون الله تعالى فاعلا على الاختيار؛ لأنه لو كان كذلك وفعل بعد أن لم يكن فعل اقتضى مرجحا ومدة([75]).

النقيض

نقول لهم: الوجوب / في اصطلاحكم حالة غير حالة الإمكان وهو أمر [10/أ] طارئ على الممكن. والواجب واجب لنفسه. والممكن ممكن لنفسه. وهما قائمان متماثلان، فانتقال الممكن إلى الوجوب يوجب مرجحا لواجب الوجود.

وهذا نقض لما توهمتم، ومعارضة لما أسستم، وانقلبت المطالبة لكم بحالها في الممكن كالمطالبة في المختار، وأنه يوجب المدة كما ادعيتم من أن الاختيار يوجب المدة، والترجيح يقتضي المرجح. فانتقال الممكن إلى الوجوب ألزمتم بما ألزمتم بزعمكم.

وإذا كان الواجب واجبا لنفسه والممكن ممكنا بنفسه، ولا قدرة له على إمكانه؛ لأن له المعية لا التبعية، وادعاؤكم وجوب بعد إمكانه يقتضي التبعية بعد المعية، وهذا تناقض منكم لأن واجب الوجود عنكم علة لا فاعل على الاختيار.

فكيف وجب وجوب الممكن وهو بمعنى المعية حتى صار بمعنى التبعية، والباري سبحانه علة لا فاعل على الاختيار؟ وهذا يؤذن بقدم العالم، وأنه مع واجب الوجود وقولكم بوجوبه بعد إمكانه تلبيس منكم على من قصر فهمة عن وحض تمويهكم. فمن المحال أن ينتقل الممكن إلى الوجوب، والفاعل لا اختيار له في انتقاله.

والواجب الوجود بذاته أعلى ممكن هو ممكن متنقل إلى وجوب فذلك تغيير من ذاته بذاته موجب لوجود ذاته، وهذا خلق وبعد. فإن كان الممكن قديما، فالقديم لا يؤثر في القديم الفاعل على

الاختيار، وبطل الوجوب.

والعجب من المحدث الضعيف / أن يروم القوى بذهنه أن يشرف على [10/ب] قدرة المحدث القديم الحكيم ليدركها بإحاطته القاصرة، وعقله المحجوب

بحجاب الحدث، والعالم يشهد على ذاته بكونه مفعولا لفاعل مختار إذا حوادثه مختارة ظاهرة، وليست حوادثه سابقة لحدوثه ومن لم يكن سابقا للحوادث فهو حادث.

وأيضًا نقول: إن الممكن بذاته في الأذهان لا يخرجه إلى العيان إلا فاعل مختار، فهو في الأذهان واجب الإمكان لا واجب في الوجود العيني ولا الذهني، وواجب الإمكان لا شك إنه معدوم ذهنا وعينا وموجبة يتقدم عليه ويختاره.

ونفي ذلك يلزم وثبوت المعية، والوهم الحامل على تصور كيفية أحداث المحدث محال ممن رامه إذ ليس له وسيلة على الإطلاع على كهنة؛ لأنه فوق طور العقل، وإذا لزم العجز عن كيفية الأحداث فكيف لا يلزم عن كيفية المحدث سبحانه في ذاته وصفاته إلا من طريق الأدلة الموصلة إلى الإقرار بوجوده بدليل صنعه الظاهرة الإحكام المتقن التقدير بغير إحاطة. وكذلك عجزوا عن إدراك محدث بغير مادة ولا مثال، تعالى الله لا إله إلا هو رب العالمين.

شفيعي رسولُ اللهِ والعفْو حَاجَتِي وَلَيْسَ إِلِى ردِّ الشفيعِ سَبيلُ

تعليق

[11/أ] في بحث وقع مع من يدعي / أن الوجود مظاهر الحق سبحانه وتعالى، ويظن أنه قد فهم المراد، وذلك إنما قيل: الإنسان هو المحتجب بالقوة الناطقة لكونها أدل عليه من غيرها من بقية أفعاله، والأدلة على الشيء تبقي حكمه حكم الجائز له فكان المجوز من جهة الدلالة حال فيه كحلول الأرواح في الأجسام، أعنى اللطيفة في الكثيفة، كالهواء في الإناء الفارغ، فعلى العبارة هاهنا أن يقال: هو المحجوة بالقوة الناطقة لدلالة النطق على موجود حي ناطق بالإرادة من غير شك، ولهذا أقسم الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**([76])﴾.

وهذه عبارة إنما جاز على الإنسان من جهة التوفيق الذي اضطررنا إليه ضرورة التعريف ونفس المراد إنما هو غير ذلك.

مطلب [النطق]

فالنطق إنما هو حجاب النفس من جهة أنه أدل عليها لا من جهة حلو لها فيه. إذ النطق صفة لها وهو بها، والشيء لا يحل في صفته أو يقوم بها، فلا يجوز لعاقل أن يفهم من قول القائل الإنسان

هو المحجوب بالقوة الناطقة حلولا بحيث يجعلها جسما لروح وإناء لربح بل يفهم المدلول من جهة أن النطق فعل ظاهر لفاعل بالإرادة.

وكذلك احتجاب فاطر السماوات والأرض تعالى بما برأ، بل مرادنا بهذه العبارة دلالة على الصانع لا الحلول، إذ المحسوسات أظهر للحس وأوقع في النفس وأقرب إلى التعريف، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**([77])﴾ ولم يقل للسماوات وإن جاز أن يقال أنه تعالى في كل شيء من دره أو خطره لكن جواز دلالة على مبدع / وافتقار إلى [11/ب] صانع، إذ كل ذرة باطنة أو ظاهرة شاهدة ذاتها على ذاتها بأن لها صانع، ولا شك أن الكتابة تدل على الكاتب، لكن ليس الكاتب في الكتابة بوجه ولا الكتابة في الكاتب إلا بالقوة التي هي غيب.

هذا مع بعد المثل من الممثل؛ لأنه فوق طور العقل وإذا كانت جزئيات الكليات دالة بأنواع الدلالات على صانع في سائر الحالات، وعلى افتقار مطلق إلى غنى مطلق ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾([78]).

وإنما جاز هذا التمثيل من حيث الدليل لئلا يقضي الأمر من جهة التنزيه إلى التعطيل فسبحان من ضرب بخلقه لخلقه الأمثال. وتعالى عن المثال، وجل الذي جل عن الحلول محتجبا بفعله وهو الذي ليس لمثله، وإذا تنزه عن الاحتجاب بذاته وصفاته عن مخلوق محجوب ضعيف، فكيف لا يتنزه عن مثل ذلك خالق لطيف ﴿**وَللهِ الْمَثَلُ الأعْلَى**([79])﴾ فسبحان الباطن الخفي عن كل ما تلاحظه من الصفات والأسماء، وهو الظاهر بسائر جزئيات ما في الأرض والسماء الذي لا تتسلط عليه أفكار العقلاء ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**([80])﴾.

إيجاز

الكلُّ أبْدَعَ هَاهُنَا منْ أَجْلِنَا   وَهُناكَ وَالدُّنْيَا هِيَ الْمِفْتاحُ
حُجُبٌ تَشِيرُ إِلَى اللطائفِ فاخْتَفَتْ   أَرْوَاحُهَا وَتَبَدَّتْ الأشْبَاحُ
صُورٌ فَفِي أَشْبَاحِنَا أَشْبَاحُها   مثلٌ وفي أرواحِنا الأرواحُ([81])

[12/أ] علاج

/يا ضعيفًا أعمالُهُ حجبتَهُ   بهواهُ عنِ الإلهِ تَعَالى
طَهِّرْ الفكرَ منْ سِواهُ وَقُلْ قَولاً   سَدِيدًا يَصْلُحُ لكَ الأَعْمَال([82])

عاشق

ما أقلقني الشوق إلى إيائي   إلا نظرت في زلال الماء

معناي مولهة على معنائي ما الكون وما وجوده لولائي

دعوى عجيب عشق

أودع فؤادي حرقا أودعي نفسك تودي أنت في أضلعي
واحبس سهام اللحظ أو فارمها([83]) أنت بما ترمي مصاب معي
محلها القلب وأنت الذي ساكنة في ذلك الموضعي

دعوى عجيب

من تخلى ثم استعد رآني قد خرقت الأفلاك بالتحديث
وخلعت الأملاك والملك جمعا والهوى والحظوظ خلع ربقي
وتوحدت بافتقاري غنيًّا وخلعتُ الوجودَ بالتحقيق
وجمعتُ المقالَ والحالَ والفعلَ وما يقتضونَ جمعي ريقي
وتركتُ الجميعَ تحت حذائي في مقامِ الجمعِ والتفريقِ
عبدٌ حقٌّ والربذُ حقٌّ تعالى عن جميع الوجودِ عن تدقيقي
وأنا لا أزالُ حيا عليما حاكمًا بالمجازِ والتحقيق([84])

بيان عجيب

ترى على يقظة ما في المنام ترى أول فما في غد تلقاه في اليوم
هذا وذاك منام أنت ناظره لكن نقلناك من نوم إلى نوم([85])

أصل يجب علمه

إذا نمت ما كنت يقظة تشاهده جهرًا فتشهده سرًّا
كذاك إذا ما مت مغرى بحالة ترد إلى ما كنت حسابه مغري
/فأنت كتاب فيك كل مسطر ألا فامح عنك كل إن شئت أن تقرا [12/ب]
وما ثم إلا أنت فافقه مقالتي فظاهرك الدنيا وباطنك الأخرى([86])

أصل يجب علمه

بيان

القول في أن الله تعالى أراد من العالم ما هم فاعلوه، وهم مع ذلك غير مجبورين فيما يختارونه.

نقول: إن الله تعالى أبدع العالم وأعني به ما سوى الله تعالى، وذلك لحكمة من أجلها كان ما لم يكن، والعالم محل الأضداد من خير وشر وحلو ومر، ومثل ذلك، والكل مراد الله تعالى، فلا يتصور أن يكون ما لا يريد أو أن لا يكون ما يريد كونه.

فإن قيل: اعلم أن الله تعالى إذا أراد شيئا وقع لا بد، فإن الله تعالى لا يريد إلا ما يكون، ولا يكون إلا ما يريد بخلاف العبد.

فإن قيل: قد يريد العبد أمورًا فتكون بإرادة العبد وإن لم يرد الرب وقوعها، ولم يرد أيضًا أن لا وقوع. قلنا: إرادته تعالى أن يكون العبد مريدا في بعض الأمور، وقد علم الله ما يريده العبد فلم يمنع وقوع ذلك الأمر وهو بعينه مراد الله ولكن بإرادة زيد، فزيد غير مجبور عليه، وليس الأمر مفوضا إليه.

واعلم أن أعمال العباد عشرة: اثنان بدنية: وهي الحركة والسكون. وثمانية قلبية: وهي العلم، والظن، والشك، والجهل، والكفر، والكلام، والنية، والاعتقاد.

إيضاح ذلك: أن الكسب عبارة عن اختيار القلب لا عن مطلق الفعل فإن الكافرين أحدهما قلبه مطمئن بالإيمان (لا يؤاخذكم([87]))، لكونه غير مكتسب قوله بقلبه بل اضطرار.

والحالفين أحدهما يؤاخذ لكونه مكتسب قوله بقلبه اختيارًا، ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ([88])﴾ فالكسب عبارة عن الاختيار لأنه / فإن [13/أ] قيل: فإنه تعالى جبر المختار على أنه يختار هذا بعينه، فقد عاد الاختيار جبرا وهو محال شرعا ولغة وعقلا.

بل نقول: أراد الله أن يكون المختار مختارًا، وعلم ماذا يختار، فلم يمنع وقوعه فصار الواقع بعينه مرادًا للرب لكونه علم ولم يمنع وكسبا للعبد لكونه لم يعلم مراد الرب فاختار.

فقد بان أنه متى أراد العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد، فوقع بإرادة من العبد، كان العبد هاهنا مكتسبا، ومتى فعل العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد فوقع بغير إرادة العبد لم يكن مكتسبا بل العبد حينئذ إما مجزى بذلك الفعل الواقع منه لما تقدم أيضًا منه، وإما مجبور عليه لحكمة أرادها الله منه، والمجبور غير مؤاخذ إلا أن يكون ذلك الجبر أيضًا جزاءً كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ وتمامه وتحقق ذلك كله من فهم قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ**([89])﴾ وتمامه.

نظم في ذلك ليحفظ بسهولة

من قبل شاء الله ما شاءه	في الكون من نفع ومن ضر
لحكمة من أجلها أبدع ألا	ضداد من حلو ومن مر
فغير ما قد شاءه لم يكن	ولو كمثقال من الذر
والعبد مختار ولكنه ليس	له شيء من الأمر
ففعل الأمر إذا اختاره	لكونه بالأمر لا يدري

كسب له لابد من كونه ... كصورة الجبر بلا جبر
[13/ب] / فالكسب يختاره قلبه ... مما أراد الله أن يجري
في القول وفي الفعل في ... نفسه أو غيره في السر والجهر
وكلما يصدر من فعله ... بلا اختيار كان في الصدر
لا إثم فيه وهو خير له ... كعابد الأصنام بالقهر
وربما كان جزاء لما ... قدمه في سالف الدهر
فهذه السنة قد أسفرت ... من ظلمة البدعة كالفجر([90])

بيان متشابه في ذلك

قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللهِ**([91])﴾ ثم تلاه قوله: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**([92])﴾.

الثاني مبين للأول، ولكن يجب أولا أن يفهم الفرق بين قوله: ﴿**مَا أَصَابَكَ**﴾ فإنه متعدي، وبين قوله: ما أصبت، فإنه لازم. ثم اعلم أن الإنسان بين مؤمن وكافر، والواقع منهما أو عليهما خيرًا أو شرًا، فالحسنة إذا صدرت من المؤمن لا يجزيه الله عليها في الدنيا بل في الآخرة، والسيئة دون الكبائر إذا صدرت من المؤمن يجزيه الله عليها في الدنيا لا في الآخرة لقوله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**([93])﴾ والكافر بالضد مما ذكرناه. دليل الأول: ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ**([94])﴾. ودليل الثاني: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**([95])﴾.

ويجب أن تعلم أن جميع ما يعذب به الكافر في الدنيا([96]) لا ينقص عنه من عذاب الآخرة شيء، وجميع ما ينعم به المؤمن في الدنيا لا ينقص عنه من نعيم الآخرة شيء ولا شك أنه من علم هذا وصدقه تحقق أنه ما أصابك من حسنة فمن الله([97])، لأن ذلك كله في الدنيا هبة لا جزاء. ﴿**وما أصابك من سيئة / فمن نفسكَ**﴾؛ لأن ذلك جزاء ولا فرق أن يكون ما أصابك بيد الله أو بيد العباد من خير أو شر، وهذا قسم ما أصابك. وبقي قسم ما أصبت، وقد بيناه من قبل نثرًا ونظمًا، والله الموفق.

زيادة فيما اشتبه من الألفاظ

اعلم أن الأمر ينقسم إلى قسمين: أمر ندب يمكن مخالفته: كقوله: لإبليس: أسجد لآدم، ولآدم وحواء: ﴿**وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**([98])﴾. وأمر حتم: كقوله: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا**([99])﴾ فلم يكن له أن يقول:

لم أكن لأخرج كما قال: ﴿لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ([100])﴾، فمن ظن أن كل أمر حتم غلط([101]).

وكذلك الإرادة: ندب وتحسين: كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ([102])﴾.. وإرادة حتم وجبر: كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ([103])﴾. فمتى لم تفهم من الإرادة الجبر في موضع الاشتباه فقد سلمت. ومن قال: إن الكل بقضاء الله تعالى وقدره فهو صحيح لأن الله كتب على نفسه الرحمة فلا يظلم مثقال ذرة، وله أن يعفو أو يجازي، فقضاء الله بالفضل والعدل والحجة الكبرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ([104])﴾.

مناجاة

لك من فؤادي رتبة لا تدرك وسواك مني ذرة لا يملك
ولقد كففت خواطري عن أنها تومي إليك مخافة لا تشرك
وصرفت وجهي عن جنابك غيرة مني عليك فلست نحوك أسلك
ووقفت عند الأمر معترفًا بلا قصد اختيار لي لئلا أهلك
حسبي بأن عرضتني لرضاك لي وهديتني كرما فبان المسلك([105])

مناجاة

/إن كان يونس قد ناداك معترفًا بذنبه حين ما أدخلته الظلما [14/ب]
فالجهلُ كالليلِ والبحر المحيط هو الدنيا وجسمي هو الحوت الذي التقما
في كل حين أنا العاصي المغاضب في بحرا لحظوظ غريقا اشتكى ألما
فها أنا يونس والعفو يؤنسني أدعوك مبتهلا فأمني وجد كرما([106])

مطلب البقاء حل إشكال

لما كان سبحانه دائم البقاء، لا يعر له شيء من الفناء، صار من أجل هذا في جبله الإنسان محبة البقاء وشهوته، وكرهه للفناء وبغضه، لأن في جبلة المعلول توجد بعض صفات العلة دلالة عليه وإرشادًا إليه([107]).

تفصيل التفصيل وتحصيل النصيل

يخاطبني بي في مواقف قربة فأشهدني غيري وإياي أشهد
فقال ولا غيري يقول وإنني مناج مناجا واحدًا متعدد
وما أنا غيري غير أني غيره وأقربني منه وفي القرب أبعد

تعالى وأدناني إليه بوحدة يراه بها إياه والغير يفقد

وما عدمت ذاتي بل وجدت به ترق بلا حد هناك وتخلد

هناك وقف السير من غير وقفه فزاد وزيد قال لا يتزيد

بغير اتحاد قلت إني موحد وإني بما وحدت ذاتي موحد

لأني به غيري إذا لم أكن به بذلك أشقي أو بذلك أسعد

ففي وحدتي بالذات صدان دائما وحدته بالذات لا تتعدد

وتحقيق فصل الحكم بيني وبينه قريب إذا كنت ممن لا يقلد

ففيه مرادي إذ رأيت مراده فما هاهنا إلا المراد المجرد

فعدنا يقينا كفاعلين كواحد مريدين موصوفين والفعل مفرد

فإن قلت فعل الله فالقول صادق وإن قلت فعلى فهو قول مؤيد

إرادته تجري بأيدي عباده فأفعالهم أفعاله وهو يشهد([108])

رمي بيد الرامي فلم يرم إذ رمي سوى الله والرامي هناك محمد

ولا شرك بين الراميين ومن دري حقيقة إيضاحي بأحمد يحمد

كذاك إذا ما لام فيه أقامني فما أنا بل غيري له القول واليد

ألا إن قطب الشأن شأن مراده ينفي إرادات العباد مقيد

فمهما أرادوا لا عن الأمر أشركوا وما قد أرادوه عن الأمر وحد

وليس لعبد أن يريد إرادة ولا ضدها بل يأمر العبد سيد

فمن قام بالأمر استقام وهو المطلب الأعلى الأتم المسدد

/وحين أقيم الأمر أتي عبده تعالى بما قد قاله أتعبد [15/أ]

فدأبي أقيم الأمر حتى يقيمني طريق قريب للجميع ممهد

فقم لحي بالأمر الذي إن أقمته أقامك حيا حين تفني وتوجد

ولا تك مقتولا بوهم خياله ألا إنما سيف الخيال مهند

من هنا الفرج والمخرج([109])

مطمئنة

أشارت به فعلا وبادر مسرعا وأوحت له قولا فقال وأسمعا

وما كان ما أبدت إليه سوى الفنا فقطع ما في وسعه فتقطعا

تجلت فكم موسى يخر وما رأي فثاب وكم طور لديها تصدعا

وكم مدع قد ذاق خمر رضائها ولو ذاق مر الصد صد ما ادعا

نعم فاز من أضحى بها لا بغيرها يرى في حالتيه لها معا

وقامت به في الكل وهو الذي بها يشاهدها قلبا وعينا ومسمعا([110])

غيره

أنت حي ذو فكرة فأدر من أنت وهذه الأجسام كأسمال

فمتى ظل ترى وذو الظل يخفى وهو رب الخطاب خلق الظلال

قائل فاعل لما شاء بالفكرة قبل الأقوال والأفعال

فلئن كنت لا ترى الذنب إلا حين يبدو بالجسم فافقه مقال

أيد الثوب قطعها أم يد السارق يخشى في مذهب العقال؟

ومثال المرء يظهر في المرآة عند الإبصار أم ذو المثال؟

ما على الجسم عار ما منه يبدو بل على من رمي به في الوبال

وإذا ما عصى الخيال كما نعص فلا ذنب عندنا للخيال

وجميع الأمور يقدمها الفكر فثب نحوه بلا إهمال

واتئد واجتهد وجاهد وعامد واحترس وافترس بلا إهمال

هو ينبوع كل قول وفعل فارتبطه في كل آن فحال

/تنجو مما تخاف سرا وجهرا وتنل ما تريده في المآل [15/ب] ([111])

كشف

لا تكن واقفا مع الأجسام فجسوم الأنام غير الأنام

إنما الجسم مركز لاح فيه كل شكل وضده بالتمام

فترى الجسم واحدًا فيه يبدو كل قسم من سائر الأقسام

هو ظل يبدو وذو الظل يخفى بحجاب الأوهام فافقه كلامي

وهو حي ذو فكرة قادر من أنت؟ أنت المخلوق للإكرام

وترى تارة سواك كما أنت وهذا باب من الأوهام

فإذا شئت كنت في كل آن واحدًا	قائما بأعلى مقام
وترى ما تراه حقا على ما	هو في كل يقظة ومقام
فتحفظ وانظر بماذا ترى الكل	وما الكل منك فافقه كلامي([112])

أغلوطة

كما أن الجسم المفروض كليا يجب أن يكون صحيحا من سائر العاهات، ولا توجد الصحة إلا مستقيمة في الأجسام الجزئية، كذلك النفس الكلية يقال بطرق الفرض لذات تامة، ولا يوجد لها تمام في أحد الأنفس الجزئية بل يوجد منقسما مبثوثا فيها. فسبحان من خلق الإنسان وأقامه لكماله متوسطا في الكون بين منائح ومصائب، ومواهب ومكاسب([113]).

الإنسان

يعلو ويسفل كل آن دائما	في الكون بين منائح ومصائب
يرقي ويلقي ما به يبقي	وإن يهوي كذا بمعارف ومعاطب
فهنا يرى وهنا يراه بوصفه	فتراه بين مواهب ومكاسب([114])

مناجاة

أنا مين على خطر	خفي الأمر أو ظهر
[16/أ] /لست من دلست منك	إذا خاطر خطر([115])

تحقيق

ما في العوام ذرة أو خطرة	........([116]) بعثت إليك تعمدا
ليبين كسبك كل آن دائما	وإليك منك يعود عائد ما بدا
فالكل مخلوق لأجلك محنة	وعليك يشهد ما تعامله غدا
ولئن تفق فعليك مطلع يرى	وله تعامل بالعوالم سرمدا([117])

زيادة مقابلة

عود النفس في معاملة الحق	مناها في سائر الأحوال
إنه في غد يعامل إياك	بما اعتدته على كل حال([118])

الخير عادة

ن هنا الفرج والمخ

كن إذا أحببت عبدا للذي تهوى مطيعا

لن تنال الوصال حتى تلزم النفس الخضوعا([119])

تعليم

سؤال:

سألت الله لمنْ قدْ وصلْ يخبرني كيف يكون العمل

في غفلة عمت وفي شهوة تمكنت منا تذل البطل

الجواب:

لو أن إنسان أتاه الأجل وعاين الموت وقطع الأمل

واستيقن الفرقة من عالم الكون وأن يلقى الذي قد فعل

ولم يجد زادًا ولم يرض ما حصله بل ساءه ما حصل

فاستمهل الله ليستدرك الفارط من أقواله والعمل

فأعطى المهلة لكنه لم يدر ما مقدار ذاك المهل

بل عاد من خوفه يراقب الموت كأن قد وصل

فهل سوى الموت له شاغل بل شغله بالموت عما شغل

/كن أنت هذا بهذا الذي استنصحتني جاوبت عما تسل [16/ب] ([120])

وصية

اعلم أن جماع الخير والسعادة في التقوى، والتقوى هي عبارة عن ترك المخالفة فالمتقي من اتقى مخالفته مولاه في أمره ونهيه، ولهذا ضرب الله المثل بإبليس وآدم فأمر إبليس ونهى آدم، فافهم هذا جيدًا وابسط في أذنك هذا المختصر، وطالعه أيام حياتك، واعلم أنه لا تقوى على التقوى إلا بالصبر فعليك به في كل آن واسأل الله إعانتك بالصبر على ما تكرهه وعما سواه **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللهِ**([121])**﴾**.

سبيلُ النجاةِ وأقصى المرام يكونُ بصيرًا على المتعبِ

فأينَ النجاةُ وأينَ المرامُ وكلٌّ يميلُ إلى الطيبِ([122])

وصية مخلص ونصيحة مخلص

أخطر الموت تنج من كل هم وذر الأفكار في كل فان

والزم ما استطعت وخذ بالصدق واصبر في سائر الأحيان

وإذا عز أو تشابه أمر فتمسك بمحكم القرآن([123])

زيادة

من سوس النفس أنك كلما قتلتها بسيف المجاهدة أحياها الله فنازعتك وطلبت منك الشهوات، فتقتلها ثانيا، ثم تعود حية، فيكتب لك الثواب [17/أ] / دائما وهذا هو الجهاد الأكبر وهو معنى قوله عليه السلام:

«الدنيا مزرعة الآخرة، وباب جهادها الجوع، وغاية جهادها مخافة الهوى([124])».

تكملة

شهوة النساء سبب لقيام الوجود ولظهور الأفعال الإنسانية والإلهية إذ لولا وجود الإنسان الموجود الذي له تظهر الموجودات لكان حكمها حكم العدم بالنسبة إلى الإنسان المعدوم فلولا الإنسان الموجود لما ظهر الوجود ولولا الشهوة لما ظهر الإنسان فمن ترك الشهوة ترك الوجود بأثر، وقوي على الوقفة في الوحدة بفكره وأعظم بها صفة لمن تركها لله بقوة دائما ورقي بفكره في معارج التدريج ملاذ ما وحسبنا الله.

[تكملة أخرى([125])]

اعلم أن أعبد الناس من قهر شهوته إلا معروفا أو ضرورة. وأعدل الناس من حكم على نفسه لم ما حكمه على خصمه. واعلم الناس من عرف الأشياء على ما هي عليه. واعقل الناس من لم يدخل قلبه فرح ولا حزن علما بالأمور. واعرف الناس بالله تعالى من اطمأن قلبه بأن الله تعالى كافيه([126]).

وصية

صانوك فلا تتبذل أعزوك فلا تتذلل جدوا بك فلا تكسل، استخدموك فلا تكل، علموك فلا تجهل، آمنوك فلا تخن. اكتحل بالفكر، وحرك على بالك أن يلم به الهوينى والفتور، واملك عنان الفكر كما تملك زمام الذكر، عليك بالعلم المستفاد من النظر في ضمائر القلوب ومواقع الخطرات وما يتصل بكل خطرة وهاجسة، وما ينقدح في القلب من أنوار وصفاء وظلمة وزين، وهذا لا يكاد ينشرح به الصدر إلا عن موهبة الهبة، اللهم إلا أن تنكت من الله تعالى في قلب عبد مؤمن نكتة تفرغه إلى ما هو الأهم فيتفرغ حينئذ إلى النظر فيما راعه حتى يتدرج به إلى أن ينال شرحًا لصدره بعد الجهد الجهيد والتعب الشديد وليس يكاد التعجب ينقضي فيمن يزن بالعقل وينسب إلى العلم ثم لا يغنيه النظر في ضروب ما يعرض في قلبه من الخواطر التي هي فواتح أفعاله

وبواعثها، ثم منازل فكره، ولربما تشد عنائه في تعرف أحوال عينيه التي هي موضع بصره الظاهر، وقد علم أنه يعرض لقلبه ما يعرض لعينه من عوار ضعف أو عمي، وكذلك يعرض لقلبه ما يعرض لسمعه من الآفات، وكيف يرى من يعلمه ما يصلح به ظاهره من العلوم الظاهرة وقلبه جاهل بحاله، ولو عمل على إصلاح سره وإخلاص طويته بمراقبة قلبه لدحض آثار وساوس حدث فيه شرور، واضطرابات إلى أن يقوى وارد الحق الذي لا تردد فيه فيسمى همة، فإن بعث على فعل جزم سمي مشيئة. وللأدعية أثر عظيم ها هنا والله الموفق.

الباب الثاني
في العمل والعامل

يا من هو معي والأقرب إلي مني، يا قاطع كل قاطع تكرمت على بنفسي فبخلت عليك بها وأنت الذي تملكها دوني كأنك من كرمك ذو حاجة إلي وكأني من بخلي ذو غناء عنك، أنت الأكرم، عاود الأبخل. فناجاه في سره: أنا ابتليتك بما يؤنسك ويوشحك متعرفًا به إليك بما نتوب به عليك إن خفتك فما عرفتك، وإن خفت غيرك فقد أشركت بك لكني لا أخاف إلا إياي ولا أؤاخذ إلا بهواي أسألك لعفوك سؤال الآمنين ولذنبي سؤال الخائفين أن تجعلني من الداعين المخلصين لك الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، والحمد لله رب العالمين([127]).

كلام في النفس

وفيما هو من جلة الحكمة في إيجادها مخلوق شريف لشرف موجدها أوجدها على هيئة قابلة لفيضه يمكنها بعرفانه إياه، ولا مطلقا إلا أنها أولا كانت قبله عدما بذاتها ووجودًا في العالم فهي باعتبار ما معاني الصور الظاهرة وصور المعاني الباطنة، وإنما خلقت من عدم لتكون باقية من غير عدم، وإنما تبقى بمعرفتها الواحد الأولى.

فلو أوجدها غير محجوبة بالجسم لحجبها رؤيتها إياها عن رؤيتها لمولاها فتلطف بها بحكمته وحجبها لرحمته وأراها إياها فيما عداها فالتذت بها وتألمت في سواها، ثم أمرها بشرائعه ونهاها، فإذا تركت هنا لذاتها، وتجردت عن إرادتها فذلك أخص حالاتها؛ لأنها إنما تركت لذاتها، فلم تحتجب هناك بها عن رؤية ربها، وذلك هو نهاية المراد وتمام الكلام.

وأن لها في عالم الأجسام حالات لا تحد ومقالات لا تعد في دائرة أبدًا لا ترد، وكلما دارت دورة منها ظهرت لذاتها بذاتها، واختفت عنها لعلو صفاتها، فربما ظنت إياها فاعلا ومفعولا، فلبست من الكبرياء رداء يرد بها ويحجبها بما فيها فيطلع عليها باريها فيهديها ويداويها، ثم يديرها فإذا دارت ثانيا رأت ما رأته باديا لكنه في رتبة أعلى ومحل أجلى وأحلى، فلما علت ودنت قامت في مقامها، وادعت فعاد سبحانه برحمته عليها، وهداها بما لديها، ثم سلم زمامها إليها فلم تزل على هذا المنوال دائرة بهذا الحال، وما ذاك إلا لأن من سوسها أنها متى أما انفصلت عن لذاتها، واتصلت بذاتها، ونزعت إلى / كمالها وبزغت في جمالها، وتحلت بصفاتها [18/أ] وتجلت على ذاتها شاهدت إياها في كل ما سواها، فاستلذت لذة عجيبة لا تحصرها الألسن، ولا تشاهد بالأعين، ومع هذا كله متى لم تكن معصومة بالنبأ العظيم مهدية إلى الصراط المستقيم فإنها على ما هي عليه محجوبة عن معنى المعاني قد اشتبه عليها الأول بالثاني.

ثم إنها دارت بادية، وعادت عادية فدخلت من غير ذلك الباب، ولبست غير تلك الثياب، ثم نظرت فيما قطعت فوجدته الآن جرعة من شرابها بل سيئة من سرابها فتوارت في أحلامها، وقامت كما قامت قبل في مقامها، ولكنها فتنت بأنها تشاهد في سائر الصفات، ومجموع الحالات صورة المثالات مجموعة ومفرقة كلية وجزئية ظاهرة وباطنة تنطق بالأحدية، وتشهد بالأزلية الأولية فلما شهدت شهاداتها في مرآة ذاتها مالت حينئذ إليها ووقفت ذاتها عليها، فتقدمت أسماؤها، وتعالى علاها وأنها في سائر هذه المثالات المضروبة والحالات المحبوبة مطرودة بها محجوبة بسببها، ولا تزال كذلك في سائر المسالك، وكلما علت في الممالك هوت في المهالك إلى أن دخلت من الباب، واعتصمت بالكتاب فهنالك توالجتها المحن وتخالجتها الفتن فإن استقرت في سائر الحالات مستمرة على الثبات ربما عطفها عاطف عنها إليها، ثم أخذها منها وردها عليها، فردها رائد من الشوق، وزادها مما لا يكاد يدرك إلا بالذوق فتغيرت تلك الأغيار، وطمست تلك الآثار /، وحالت الحالات، [18/ب] وانخلعت الصفات والهيئات وهاهنا أيضًا ربما وقفت فانحرفت أو انفصلت فاتصلت، فإن استقرت جاحدة واستمرت شاهدة فهنالك الإيماء إلى ذلك، وقد كادت أن تنقطع دونها عند المسالك وعلى هذا التقدير يجب أن يكون التدبير كلما ظهرت عزة دلت وكلما بهرت كثرة قلت.

وهي أبدًا تخلع ملابس الكبرياء وتتقمص بقميص الفقراء وتتبع مواطن الإسقاط وتسلك سبيل الانحطاط إلى أن تصل إلى الحدود وتحل محل المولود فتكون على فطرة الإسلام فتلك رتبتها والسلام.

وبعد هذا النظام والاعتصام بالإمام فليكن أبدًا قلبك إياها مردودًا عليها وراجعا إليها لئلا تبرز اللطائف في الكثائف والمعارف في المآلف فتشتغل عن وردها منها بما توردها عليها، فإن من المعاني ما لا يدرك بالمباني ومن الباقي ما لا يمثل بالفاني.

نقل عن الروض الآنف

الروح هي النفس باعتبار، وهي العقل باعتبار، فالروح مشتقة من الريح ولهذا قال تعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ ولم يقل من نفسي ومثال ذلك: أن الماء الذي يسري في أفصل الشجرة إنما هو ماء فإذا مازج جسمها صار حامضا، أو حلوا مثلا، وكذلك نفخ الروح في الجنين، فإذا كبر واكتسب سمي بعينه نفسا ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾.

ويعبر بالنفس عن جملة الإنسان تقول: عندي ثلاثة أنفس، ولا تقول: ثلاثة أرواح.

[19/أ] وقد جاء في الكتاب / مما يدل على ذلك، كثير، وكذلك الكلام في العقل إذا ما اتصفت به النفس صارت عقلا يعلم ذلك بالفكر مع الوقوف

على مقتضى الألفاظ لغة([128]).

واشتق عقلٌ منَ العقالِ كما النفسُ مشتقةٌ منَ النفيسِ
فالوصفُ كالذاتِ قدْ أقيمَ كذا الوصفُ مجازًا كالقبسِ والقبيسِ

ومن إملاء الشيخ علاء الدين الوراق:

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها فذلك موت والجسوم قبور
وإن علمت فالحشر فيها محقق وكان لها من بعد ذاك نشور([129])

بيان

ليس العقل شيئًا سوى التصور والتمثل، وإذا عدمته النفس عدمت ذاتها، فهي ميتة([130]).

من رسائل إخوان الصفا

سريان قوى النفس في مفاصل الجسد واختلاف أعضائه كسريان أجناس الملائكة وقبائل الجن والإنس والشياطين في أطباق السماوات والأرضين من أعلى عليين إلى أسفل سافلين. فانظر إلى هذا الهيكل المبني بالحكمة وتأمل هذا الكتاب المملوء من العلوم وتفكر في هذا الصراط المستقيم بين الجنة والنار، وتأمل الميزان الموضوع بالقسط، فكما أن حياة الأبدان بالنفس فكذلك حياة النفوس بالتفكر([131]).

وكما أن النفس لا تسكن في النوم ولا في اليقظة، كذلك النفس في الفكرة والجولان وكما يتصرف في النفس الطبيعي فيجعله إراديا كذلك تتصرف في الفكر. ولما كانت الحركة في جملة العالم لزم أن يكون محدثا للزوم الاختلاف والتعبير، فسبحان الذي لا يتغير ولا يحول.([132])

أمر

ليكن قصدك من الأفعال غاياتها، فإن الزرع لا يطلب للعشب بل لأجل الحب([133]).

[19/ب] إيضاح شريعة لحكمة / رفيعة

إذا فارقت النفس هيكلها بقي لها ما اكتسبته من العلوم الربانية والأعمال الدينية والأخلاق الصالحة الزكية، فلذتها بها مستمرة كلما لاحظت ذاتها امتلأت سرورًا.

وإن كانت بالعكس ورأت جوهرها مظلما فاسدًا امتلأت ترحا وهما وغما، وكيف الفرار لها من ذاتها، فهذا خلود في جحيم، وهذا خلود في نعيم، فاحذر أن تقتصر على هذا فقط لكنه مثال([134]).

ومن رواية قبول ما بعده، وكل قابل إنما يقبل بحسبه ومن جنسه: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ([135])﴾، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا([136])﴾.

نظم

توخَّ سبيلَ الرشد واجنح إلى التقى وخلِّ عن الآثام واجتنب الفحشا

تفرد عن القوم الذين ادَّخرتهم لأنسك واستبدل من الأنس الوحشا

فلست ترى إلا مسر عداوة يعيرك نصحا وهو معتقد غشا

أرى باطن الدنيا سموم أراقم وإن ملأن للعين ظاهرها نقشا([137])

مثال

يجب أن يفقه من خاصية الدنيا أن القلب يميل إليها فمتى قابلها عن قرب جذبته جذب المغناطيس للحديد وشفاؤه في البعد. وكلما بعد أَمن ولا تنفعه شدته وبأسه وكسره تساير الأحجار عند القرب، وذلك لعلة عشقية.

وإنما جعل القلب بهذه المنزلة ليميل بسهولة إلى الروحانيات عن الجسمانيات. وكما أن الحديد إذا لازم المغناطيس زمانا صار فيه قوته فجذب حديدًا آخر كذلك القلب إذا لازم الروحانيات فعل في غيره كفعلها فيه، وكما أن ملازمة الصالح تؤثر الصلاح كذلك ملازمة الفاسد تؤثر الفساد([138]).

شريعة محكمة

النفس كالزجاجة الصافية، وقد ملكها الله تعالى اختيارا وقدرة وإرادة [20/أ] تتمكن بها من الميل إلى الشيء وضده، وهو سبحانه يمدها بما تريد / لقوله: ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ**﴾ والثواب والعقاب إنما يقع على ذاتها من جهة صفاتها([139]).

والشيطان عبارة عن جميع الصفات الرديئة فمتى اتصفت بها عادت كذابة متكبرة جاهلة غلاطة لا تحفظ عهدا، ولا تكتم سرا ميالة أبدا إلى الشهوات، فإذا استمرت غلبت عيها العوائد فألفت الفاني وقيدها حب الراحة والتواني، فصارت هذه الأخلاق لها كالطبع لا تتأثر بوضع ولا شرع، وعلاجها في سائر الأمر بما تكره لتلبس الصبر.

نظم

للنفسِ وجهان لا تنفك قابلةً مما يقالُ منْ عالٍ ومستقلِ

وجه إلى الحق فيه الحق ثم لها وجه إلى الخلقِ لا ينفكُ من زلل

كنحلة طرفاها في مقابلة فيها من اللسع ما فيها من العسل

والعقل يشهدها الأولى فكن أبدا مقابلا قابلا في القول والعمل([140])

من رسائل إخوان الصفا

النفس الكلية تسمى عند الحكماء طبيعة، وعند المتشرعين، هي ملك من ملائكة الله الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون([141]). وكما يثبت النور والحرارة من الشمس التي هي بواسطة

الأفلاك في جميع العالم وتمد كلا بحسبه وبه يحصل التكوين وغير ذلك، كذلك في الإنسان من الحرارة الغريزية المنبثة من قلبه متصلة بجزيئات بدنه. فمن رحل في العالم الأكبر كما من الطحال ومن المريخ كما من المرارة الصفراء، ومنه مالك، ومن المشتري كما من الكبد ومنه رضوان. ومن الزهرة / شهود الملاذ، ومنها روحانية الحوت، ومن عطارد كما من الدماغ، ومن القمر كما من الرئة. ويعاون بعضها بعضا في الأمر الواحد، فتبارك الله أحسن الخالقين.

نظم

فالأرض كالبيت العتيق وحولَه الأفلاكُ والأملاكُ كالطوافِ

وبه الخليفةُ ظاهرًا وفؤادُهُ بيتٌ به ذاكَ الخليفةُ خافِ

ولأجله كانَ الجميعُ لأن هو صاحبُ الأسماءِ والأوصافِ

فاعرفه مخلوقًا تعالى ربه عنه وهذا في العبارة كافِ

حي عليمٌ قادرٌ متكلمٌ يختارُ يبصرُ سامعٌ بتنافِ([142])

موعظة مؤثرة

العالم غير العامل كالحاسب لغير حاصل، والتاجر إنما يفتقر إلى الحساب من أجل أن له المال، وعدم الأعمال أشد ضررا من عدم المال([143]).

تجريد وعلم

إنما طلبته لأجل أن نلاطفك بكل شيء فإذا عرفته قطع عنك كل شيء، فإن لم تر في كل شيء غيره أعطاك كل شيء([144]).

تعريف

قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ النفس ملك بالقوة ممكن أن تكون ملكًا بالفعل وشيطانًا بالقوة، يمكن أن تكون شيطانًا بالفعل وأمرها إليك وزمامها بيديك، فإن أطعتها عصتك، وإن عصيتها أطاعتك([145]).

بيان وافٍ

سائر المحسوسات في العالم الأكبر مثله لما في العالم الأصغر، وهو صاحب الأسماء المسخر له ما في السماوات والأرض الخادم لإياه المخدوم مما عداه، فكثيفة ظهر ولطيفة استتر. وهو المبسوط في العالم الأكبر ليعرفه بما جل والمجموع في العالم الأصغر ليثبته / بما قل ولما بدا في الظاهر أخفى في المظاهر [21/أ] فيظهر في الخارج ويرى ما وجب ظهوره من الباطن بما لا يرى كما تبين للإنسان من الإنسان، أو الحيوان من الحيوان أو معدن أو نبات أو هيئة من الهيئات في سائر الأوقات مما يحبه

أو يكرهه أو يعرفه أو ينكره، إعلامًا له في الظاهر بحالة الكامن في الباطن. وكما أنه يدرك في النوم بحواسه الباطنة صورا في خياله، فلذلك يدرك في اليقظة بحواسه الظاهرة ما ينطق بحاله. ونتيجة المذكورين في هذين المثالين ليظهر لأولي الألباب فضيلة الاكتساب، والأتقى يرقى ﴿**وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى**﴾. فذو الفرقان بذاته ناظر في مرآته مهدي إلى صفاته في سائر أوقاته. فإن نظر إلى سواء لم ير إلا إياه مناله حاذاه، مقاله: ناداه، فعاله: باداه، خياله عاداه، فليرفق بنفسه في عقباه، وليتلطف بإياه في سواه. وجوابه إذ عائد ذلك كله عليه والأمر فيه إليه، والولد، والآل، والمآل والحال فتنة في الخيال.

والقال والفعال والهجران، والوصال والحرام، والحلال والأضداد والأشكال وبقية الأحوال ضربت له بها الأمثال، والحقائق على حالاتها والدقائق على هيئاتها، وما خرج عن كيانه أو تنحى من مكانه، فذلك بحسب آرائه لا لحادث حدث فيه، بل كل حقيقة قائمة بذاتها ثابتة في هيآتها وإنما تظهر لتغير مرآتها تغير في صفاتها، وصاحب الدارين هو المسمى باثنين.

تثنية

أنس إنسان خسائر المعاني / للواحد الثاني ولولا وجود الأول لما أنهى [21/ب] اليسر، ولولا تغير الثاني لما علم الغير([146]).

زيادة

لكل مشاهد في عالم الكون تمثيلات في المعاني في عالم العقل والحقيقة غير زائلة ولا بائدة بزوال المثل، وإنما يصور العقل ذاته في الهيول، ثم ينظر بذاته إلى معاني ذاته فيلتذ بشيء خارج عنه لذة عجيبة سرمدية. ويعني بالعقل هاهنا النفس الفاعلة العاقلة وهذا هو الترجمان الأعظم([147]).

تتمة

كما أن المرآة التي رسخ فيها الصدأ لا يؤثر فيها الصقال إلا أن تعاد إلى النار، كذلك النفس المغمورة التي انطبع فيها حب الدنيا لا تؤثر فيها المواعظ إلا أن ترد إلى المصائب([148]).

نظر تضير

الإنسان ناطق لا يزال فهما ما لم يشغل نطق بالذكر وينطق بالفكر. ومتى لم يقيده العقل جرى في ميدان النفاق والجهل([149]).

مصارع

الإنسان مسخر ومسخر له، فمن لم يستعمل الملائكة استعملته الشياطين([150]).

صحة

إذا قويت النفس على قهر هواها شغلت، بمولاها وهذا مع علاقتها البدنية وضرورتها الدينية فهنالك هي أولى بذلك لتمام التجريد، وانكشاف سر التوحيد([151]).

حالة النفس

النفس ترى ظاهرًا صور معانيها وباطنا معاني صورها. فالوجود بما فيه هو دخول صورها في متصورها([152]).

هدية وكشف([153])

[22/أ] لما كان الباري تعالى غنيا عن أفعال العباد، وقد خلقهم فاعلين مختارين / بقوة وهبهم إياها سبحانه لزم أن يكون عائد أفعالهم عليهم. وإذا كان كذلك لزم أن يعرفهم ما يضرهم وما ينفعهم، ويدلهم على استدراك ما فرط وجلب ما يزيدهم من الخيرات.

فعرفهم سبحانه بالأوامر والنواهي ما يضر وينفع وجعل ذلك بصورة الأمر منه حتى كان كأن العائد يعود عليه، ثم جعل الثواب والعقاب تأكيدًا. ثم علمهم استدراك ما فرط منهم بالتوبة وجلب ما يريد بالدعاء، وربط الأمر بالصبر، وجعل هذا القدر رضاه منهم، ترغيبا لهم فيه. من زعم أنه يطلب الله تعالى، فغايته أن يطلب رضاه فهو الذي عمل على مصلحة في دنياه وأخراه، فما ظهر منها حققه بالعقل في سائر الأبواب، وما خفى قلده بالنقل الصحيح عن الكتاب. ومتى تبرأ العبد من هواه وعمل على نفسه مقتديا بكتاب الله تعالى نفعه، وقد بلغ رضاه، إذ لا يعود النفع على أحد سواه. ومن علم أن إيجاد الوجود لا عن افتقار ولا عبث فقد تحقق ما قلناه([154]).

واعلم

أن الله تعالى خلق الأكوان ووهبه للإنسان وهداه مكنة فيما لديه وجعل اختياره وأعماله عائدها عليه وجعل الأمر في ذلك إليه([155]).

نظم

يا نائمًا عن هواه قط لم ينم	قم واقرع الباب بين العفو الكرم
ما كان كان فلا تفكر به أبدا	إذا ندمت أضعت العمر في الندم([156])

نجاة([157])

جميع الملاذ والمحبوبات بل سائر المحسوسات / والمعقولات موجودة في [22/ب] النفس مضافا بما فيها أيضًا. وإنما رأت في الخارج وأحبت ما هو فيها وإذا فارقته بالموت إنما فارقت علاقتها الصورية ثم وجدت ما شاءت من أهل وولد وغير ذلك أقرب إليها، ولا قرب لأنه لما كان هناك فيعتبر فيه القرب بالنسبة إلي بعد.

ولهذا إنما وسعت الأفهام هاهنا من ذلك ما جاءت به العبادة العليا بقوله تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا**﴾، ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ**﴾، ثم قال ما يدق فهمه عن إدراك البصائر، فيحتاج إلى الإيمان بالغيب وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ولدينا مزيد**﴾ ولا أعظم من هذا. وفي قبالة هؤلاء أبنائنا فيه بقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾ إلا أن جميع ذلك في النفس مركوز مثبوت مشاهد لها فيها حسبما تشاهده في الخارج من جميع الجسيمات، فإذا زالت الحجب الجسمانية رأت ذلك حاضرا. ولهذا مثال مشهور من المثال الصادق وهو هنا للمتفكرين معراج بحسبهم فيه.

موعظة وذكرى

ومن ترقى من هاهنا ذائقا بالعمل مجاهدًا لفكرته عن التقلقل مستقيمًا رافضًا للحواس ملازمًا لحالة عشيقة، ملاحظا للحمد رقي في محل الأنس إلى مقام التوحيد، ومن هنالك يسير إلى الوصول حتى يصل إلى السير فافهم. ولما كانت النفس لا تنال من القرب إلا بحسب تجريدها، ولا تجريد إلا بجهاد قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾.

[23/أ] ولما كانت زبدة الجهاد / المطلق هو الصبر، كان كلم الصابر كحكم من حبس نفسه عن السير في سائر السبل إلا سبيلا واحدًا ومن شأنها سيرًا أبدًا فسرت فيه ضرورة.

ضرورة تقريب

احضر ببالك أنك إذا أدمت النظر في بركة ماء فيها أنواع الحيوان وأشكال على حيطان، ثم أنك حققت النظر وتوغلت في التأمل والفكر، وجدت أن سائر ما شهدته في ماء البركة مع جميع معانيها إنما هو خيال لما في الدار التي أنت جالس فيها، لكنك شغلت بما لديك عن الالتفات إلى ما هو حواليك. فإذا رفضت الفاني وقلبت النظر شاهدت الباقي كلمح البصر، فخل اختلالات الخيال، وأحذو على هذا المثال، وقف حيث وقف الرجال قبل وصل القطع وقطع الوصال([158]).

ترغيب وترهيب

جماع الشرور والأضداد في عالم الكون والفساد لأنه مأوى كل نذر رذيل ومتغير مستحيل وصورة الإنسان هي نسخة الأكوان فهو محل التغييرات، ومقر الآفات والاختلافات، ولهذا أصل القبائح والشرور تنشأ عن الجسيمات، وكلما قويت علاقة النفس بها كان بعدها عن الروحانيات بحسبها، وتستمر العقوبة عليها متواترة في الدنيا والآخرة إلى أن تحق الحقائق، وتنقطع العلائق، فإذا انقطعت عن عالم الأجساد فارقت العوائد والأضداد ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ فمحبوب الأشباح متغير على الأحيان ومحبوب الأرواح ثابت في كل آن، وحيث الغنى يكون المحبوب بحسبه وحيث / البقاء يكون المحبوب بحسب محبه. وقد يضرب المثال بما يصوره الخيال، [23/أ] استحضار صورة لطيفة

عجيبة في الجمال. وإذا وجدت ظاهرها رأيتها كثيفة متغيرة كتغير المواد والأشكال وظلمة الأجساد الموجبة للاختلال.

فمن شاهد المثال زهد في الأهل والمال ولذات الخيال، ومن عمل للمال بلغ الآمال ووجد ما فقد باقيا على أسر حال وأنعم بال. وكما هاهنا محل المتاعب وعدم اللذات الفانيات فهنالك مقر الراحات ودوام الباقيات الصالحات.

علاج

كما أن النفس في الظاهر إذا ضيعت منعت محبوبها ضاقت وغضبت، كذلك في الباطن قد يحجب عنها أمر حق فيجد الإنسان في نفسه انحصار وضيقا لا يعلم له سببا فليبعد عن الفاني تكشف له المعاني([159]).

كشف رداء وسبيل هدى

لا معنى للظلم إلا أن تمنع الغير شيئا يستحقه من الخير. فالذي ظلم نفسه هو الذي منعها حظها من الصلاح بمثله من الفساد، وإنما خلق الإنسان ميال إلى الطرفين ليميل عن الشرور والشهوات إلى الخيرات والعقليات. فمن حث مال إلى الأدنى فقط ظلم نفسه بمنعها من الأشياء فهاهنا هو الإنسان ظالم وهاهنا هو الإنسان عادل، وبهذا يعلم معنى قولهم رضي الله عنهم وعنا بهم: أول مراحلك أن ترحل عنك إليك، ثم ترحل إلى ما به كنت إليك عنك، ثم [24/أ] تسير إلى ما به رحلتك، وهو الذي كان معك في الطريق ولاطفك / في كل حال، وأخبرك عنك بما لم يكن سره وعلانيته إليك، فلما صفاك واصطفاك صافاك ولما صافاك قطع عنك كل ما بينك وبين غيرك، ثم قطع كل ما بينك وبينك، ثم جمع كل ما قطعك به فجعله وصلة لك([160]).

زهد

الشوق إلى الأشباح شوق إلى فاني، والعقل منزه عن ذلك لإيثاره الباقي، وما لا بقاء له فلا فرق بين كثيره وقليله، ومن خداع النفس أنها توهم الشوق إلى الأرواح بواسطة الأشباح فقل لها: إن من الجائز أن يكون المشتاق إليه قد مات أو انقلب عدوا أو حين الاجتماع به شيطانا أو كافرا لقوله تعالى: **﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾**.

فكيف يجوز الشوق إلى من لم يتحقق من حاله سوى صورة الجسم مع جواز عدمه، فلم يبق سوى ظن **﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾**.

وما لا بد من مفارقته، لا فائدة في مواصلته **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** وإذا كان كل ما يفعله العبد مع غيره أو يفعله غيره معه من خيرا وشر ليس له في أثر في الآخرة إلا في فاعله، ولا يناله خيرا

إلا من عمله لقوله تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ فما من الحزم أن تعمل لسواك ولا أن تشتاق إلا إلى إياك([161]).

وصية

اجعل جسدك بيتك، وقلبك خلوة في البيت، واجتهد أن لا تبرح من خلوتك منتظرا لمحبوبك فلعله يزورك فيجدك حاضرا، والمكان خاليا([162]).

تعليم

أعلم أن العمر قيمته ما يكتسب / فيه، فمن كسب الباقي فلا يقوم [24/ب] كسبه، ومن كسب الفاني، فلا قيمة لكسبه، ولا كسب أفضل من علم. فكثير العمر مع الجهل، قليل فان، وقليل مع العلم كثير باق. وطويل فقصير إنما هو بالتجريد، وتقصير طويله وصرفه فيما لا يفيد من استفاد علما ولو في لحظة في نوم أو في يقظة ندم على ما مر من عمره أو فات، واحترس على ما فيه من الآفات، فطالت بالعلم أدقاته وطابت بالطاعات حياته. والمعرضون عن الطاعة ما لبسوا غير ساعة([163]).

الشيطان

اسم مشتق من شاط يشوط شوطًا في الأرض وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن الخاطر، الذي لا يستقر به الفؤاد بل يشوط في الأرض، ويهيم في كل واد والخاطر خاطران: علوي: وهو الملكوت، وينقسم إلى أقسام هي بمنزلة الملائكة، وسفلي: وهو الأرض الذي أهبط من الجنة إلى الأرض. ومعنى الجنة: مأخوذ من الاستتار للطفها وروحانيتها. ومعنى الأرض: الجسمانيات وما يتعلق بها. فما كان من الخاطر علويا فهو روحاني ملكوتي وهو من الجنة. وما كان سفليا فهو جسماني شيطاني فهو من الجنة([164]).

تنبيه

يا عاقلا هو أبى أن يسجد لك سجدة واحدة، وقد أمر، فكيف تسجد له دائما وقد نهيت، حتى لو قدرنا إن إنسانا تحقق أن متاعبه في النوم تتقلب راحاته في اليقظة، وبالضد.

ثم رأى مناما يتضمن المتاعب ويحتوي على الملاعب / والمعاطب مع علمه [25/أ] أنه نائم لما كان يبالي بما يراه من المصائب ولا ييأس على ما فاته من أطايب الأطايب لتيقنه أن ذلك من باب الخيال وتحققه بما يؤول إليه الحال، ومن أبلغ الكلام في هذا المقام قوله عليه الصلاة والسلام. "الناس نيام" ([165]).

لمحة الجنان وملحة الحنان

سرت نسمة فسرت كربًا وسرت قلبًا وجلت هما، وجلت مشاهدة وعلما أن ذوات اللذائذ والطيبات من المنظورات والمسموعات وبقية المحسوسات إذا تجددت منها لذات، وعلت بملكة التجريد منها عليها،

ردت لطائفها عليها، فإن نظرت إلى ما فوقها من العقليات بدت بالهبات العليات.

وإن نظرت إلى ما دونها من الحسيات واللذائذ الجسمانيات شاهدت في ذاتها سائر مطوياتها، واستمرت في الحالتين خالدة في جنتين، وقد تضرب الأمثال بما يتصوره الخيال، وإن جل عن المقال، كالناظر إلى خضرة البستان، ونضارة الأغصان، وجريان الغدران مع سماع ظريف الألحان على لطيف العيدان، من مناظر العيدان من ظرائف الحسان في محل الأمان والأمان. فهذا يجد في ذاته من إدراك لذاته ما لا خطه البنان، ولا ينطق به اللسان حتى لو أغلق عينه فحجب عن السماع أذنيه لبقيت لذته تلك مستمرة عليه، وربما تلطفت في مرآة الفكر فزادت على لذة النظر، فهذه اللذائذ الموجودة مع الأعراض عن المشهود من **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾** موجودتان في كل آن خباء في ذات / الإنسان. فلو [25/ب] غاب لحضر، ولو نسي لذكر، وشهد في ذاته كلمح البصر سائر مطلوباته مما بطن وظهر.

إلحاق الظاهرات المقدسات الروحانيات الواصلات

لم تزل ذاكرات شاهدات حاضرات وإنما شغلك عنها الحسن فظننتها غائبة، ولو قطعت شواغل الأجسام كحالتك في المنام كشف لك سر اللطائف الروحانية في الصور الجسمانية وخوطبت بأسرار الذوات ولسجد لك ما في الأرض وما في السماوات([166]).

إعانة وعلاج

يستعان على النفس بثلاث:

الأول: تمتعها مشتهياته، فإن الحمار إذا منع بعض قضمه انقاد.

الثاني: تحملها أثقال العبادة، فإن الحمار إذا أتعبته تذلل حرانة لثقل ما يحمل عليه.

الثالث: تتضرع إلى الله سبحانه وتعالى من شرها دائما.

ويستعان على الشيطان بثلاث:

[الأول([167])]: تعرف مكائده.

[الثاني([168])]: ترك الاعتناء بوسوسته.

[الثالث([169])]: إدامة الذكر لله تعالى([170]).

أصل

زيد لا يمكن أن يصوم أي مع قدرته على الصوم. زيد لا يمكنه أن يصوم أي لعجزه. فافهم الفرق بين الإمكان والتمكين، فتقول: أبو لهب لا يمكن أن يؤمن ويمكنه أن يؤمن فأمره الله تعالى ولزمته الحجة

من جهة التمكن، ولا يكون مجبورا لأجل انتقاء الإمكان لأن انتقاءه إنما وقع باختياره لنفسه مع قدرته، فعلمه الله تعالى من قبل([171]).

تهذيب

إنما يؤجر الأجير على قلع ما ينبت من الشوك في روضة الملك، فكلما تكر رعود الشوك عادة الأجر للأجير. ونفسك روضة أنت أجيرها، فهل تحزن بما يجب أن يفرح به؟ بل الكسلان يحرم الأجرة([172]).

معراج

القرآن فهرست الكلم فاستعرض مهما أمكن بقرآن الفجر مترقبا ما يوحي إلى فكرك من المعاني بالمباني، فإذا فالق برق فكرة في معراج / فاحفظ [26/أ] أولى نهارك بالفكر فيما بدأت به يحفظ لك معراجك كله([173]).

كشف

كما أن مادة الحيوان الاستُقُصَّات، كذلك العالم السفلي مادته العالم العلوي، ومتى تشبه المفعول بالفاعل صاروا سفله بذاته، كذلك في تدبير العالم وإيجاد ما يحبس وجوده فيه، كذلك بعد المفارقة، وله قبلها إيجاد التشبه بالصفات إيجادًا تأليفي في الجسيمات وإبداع في بعض الروحانيات، والإنسان عالم سفلي وسائر الأشياء قشوره، والجسم أرض والنفس بيت تراه في أرض الجسم يلحقها من نور الحق كما يلحق النواة من الأرض صارت نخلة، ورأت العالم وعجائبه واطلعت عليه كفاحًا ولما كان النوم بعض الموت وقد رأينا النفس تدرك نيلا من الغيب ما لا تدركه في اليقظة علمنا أنها في الموت أشد في ذلك إدراكا فلا مطلوب أبلغ من الموت وكل طريق ورياضة وتجريد لا يؤدي إليه فليس له ثمرة.

شعر

سعت تؤم الموت أقدام — قصدًا له جد وإقدام
الموت باب الله لو لم يكن — ما فاز بالمطلوب أقوام
فراقب الموت ترى واحدًا — وكل ما في الكون أصنام
فالكون للإنسان بدء — إلى غايته والموت إتمام([174])

ومثله

إذا أردت أن تحيا فمت عن علائق — ومن الحس خمس ثم عن مدركاتها
وقابل بعين النفسِ مرآة عقلها — فتلك حياة النفس بعد مماتها([175])

كمال

الكامل من الرجال من كان طريقا لجريان النعوت الإلهية وهو / يعلم [26/ب] الفرق بينهما وبين العلم بها، مضارع للفناء للعارفين والفقر للمحققين الكمل من الرجال([176]).

نفس

للنفس مواطن فهي في كل موطن بحسبه وهي غيرها في كل موطن، ومع ذلك هي هي ومواطنها لا تحصى، وحالاتها وأسماؤها لا تستقصى، فهذا حالها مع وجود موجودات سواها، وواجب سواها. فإذا استقامت في موطن صدق وقامت على قدم عشق في باطل أو حق، تجلت لها ذاتها وقد تحلت بصفاتها، فخاطبها معناها أنه سواها، فظهرت في صورة جسمانية كثيفة، أو معان روحانية لطيفة، فتراها في منامها، وتخاطبها في أحلامها، بأنواع الغرائب، وتخبرها عن الغائب، وإذا قويت عوائدها، وأثمرت فوائدها سمعت المخاطبات يقظة من الصور الإنسانية وغيرها جهرة([177])، فتارة يناطقها غيرها من الناس بما تفهم، والناطق لها لا يعلم كما أخبر المستيقظ لأمر له عرض تفهم من خطابه ما لها فيه الغرض كما نبه عن ضيعة العمر أرباب القلوب.

[ابن([178])] الثلاج ينادي: ارحموا من رأس ماله يذوب، فاضطربوا وصاحوا، وتباكوا، وراحوا. وتارة يخاطبها الطفل الصغير يخاطب العاقل الكبير كما أخبرني عاهد ونكث أن الطفل أكذبه وفي وجهه نفث فكان يسأله عن ذلك ويلاعبه والطفل لا يلوي عليه ولا يقاربه.

وتارة يخاطبها بعض أولى العقول وهو غافل لا يدري ما يقول كما أخبر السائل عقيب قول القائل: لماذا نطقت / وماذا أردت؟ فأجاب: تالله إني غبت [27/أ]الآن عن فلا أعلم أني نطقت حتى أذكرتني ذلك فأفقت لكني لا أعلم بحال ولم أدر ماذا كان مقالي. وتارة يخاطبها العالم العارف فيكون لها كالمكاشف. وتارة تتخلى عن الظواهر وهذا هو نصيبها الوافر وتتجلى في السرائر فيناهدها الرجل الحاضر ويكلمها بها على الخاطر.

وهذا بحرها الزاخر وهي في سائر هذه الأحوال المذكورة والأقوال المسطورة تناجي إياها، وتناطقها في سواها. وذلك من أعجب العجائب أن يكون المجيب هو المجاب، وهاهنا ظن أن الملحد هو الموحد. ولما لم ير شيئا سواه وأعماه هواه وظن أنه الله فأبطل فضيلة الإنسان والقرآن وحجة الرحمن ونسب القباح كلها إليه وأحال فعل الطاعات عليه فلزمه أن يكون الباري تعالى محتاجا إلى المخلوقات لأنها مظاهرة فهي في استحالة دائمة يخلع صورة ويلبس أخرى. فلو فكر هذا البشر فيما له خطر لعلم أن هذا أيضًا موطن من مواطن النفس أداه إليه النظر فتنحي حينئذ عن الخطر، وما غلق عنه باب الصواب إلا لعدم فهم الكتاب فظن أنه وصل للتوحيد فأطلق نفسه فيما يريد، وكلما قاده هواه قال:هذا مراد الله وهل من فاعل سواه، فأصبح عطلا أعوجا لا يستوي، وغافلا جاهلا لا يرعوي، واعتقد أن

الجميع من باب القسيمات والمواهب فترك المكاسب وخرج عن الواجب، وله بعد هذا المقام غلطات / وأوهام. ولقد اعذر سبحانه وأنذر بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم [27/ب] مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، ﴿**مَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾([179]).

نبأ عجيب ووعظ غريب

المحصور في سجن شهواته إذا مات سجن فيها بعد الموت أبدًا بصورة العطشان الذي كلما عطش شرب، وكلما شرب عطش، فاستمر أبدًا في سجنه سرمديا، وإنما كان في الآخرة كذلك، لأنه لما كان في الدنيا قد حبسه عن استمرار تناوله من تلك الشهوات ضعفت الآلة، كمن توجعه أسنانه من المضغ مع وجود الشهوة، فلو فرضنا أن الآلة تكل لما تصور النزوع، فكيف والآلة تزداد قوة ومضغا؟ والقاطعون الشهوات في الدنيا يستمرون في الآخرة بمثل هذه الآلة لا تكل فهم الخارجون من كل سجن الداخلون في أمن. فهذا حالهم أبدًا، ولهم ملكة الترقي سرمديا في من جعل قلبه بيتا لشياطين شهواته وهو يمدهم بما يطلبون منه حتى متى تعبد الجن؟ ومتى تخرج من السجن([180])؟

شعر

السجن سجن الشهوات التي   قدْ أوقعتْ في الهمِّ والحزنِ
فكلُّ من يخرجُ منْ سجنها   يخرجُ لا شكَّ من السجنِ
والجنُّ محجوبون فينالهم   أغذية في الخوف والأمن
من شهواتِ النفسِ ذات الهوى   فقل لمنْ يفهم ما أعنى
من كان موقوفا على شهوة   فذاك عندي عابد الجن([181])

خلق الله

خلق الله العالم وشرع ترك الشهوات وترك / الوقوف مع الجسمانيات [28/أ] إلا ما لا بد منه وهو الطريق الموصل إلى الغرض باللذيذ لا عين.

فمن قويت نفسه هاهنا على ترك المنهي عنه كله قويت هنالك على قطع مثله، فقطعت وسارت وهذا السير هو جنة النفس والمألوفات جناتها الشهوات التي وقفت معها فمن لم تحتجب هنا لم تحتجب في الآخرة ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾([182]). فقد بان لك أن الناس تحب الشهوات، وأن تكون مترقية أبدًا إذا مطلوبها ليس له آخر، وإن الشهوات حجاب، وظهر سر من أسرار الشريعة.

غاية ما في الباب
لمن عنده علم الكتاب

صفتك الحقيقية التي أمرت بها وهي ما أراد بك لك وسماه له كسر ما عليك، وذلك هو المبثوث في الكتاب إليك بحسب الكتاب لا بحسب فهمك من الخطاب وإلى هذا يشار بقول القائل: لله، وبالله، والله أكبر. فافهم فمتى قمت به في الحال من أقوال وأفعال ولم يبق شيء من هواك لم يبق إلا إياك، وهذا غاية مناك، ومتى عدت إليك فقد رجعت عند إلى الذي هو بك. وكذلك فانظر في الكل مثاله مخاطب خاطب غيره بحكم الكتاب فقامت حقيقة المخاطب في ذات المخاطب صورة تعطي ولا تحظى.

فمتى مال المخاطب درة عن حقيقة إياه تغيرت فيه حقيقة سواه فظهر الخطاب منحرفا عن الكتاب فوقع عليه الإنكار في الجواب، فحصل الخلاف، [28/ب] وسقط في القول والعمل لتغير الحقيقة بين المطلوبتين / ما الاثنين التي هي غاية المخاطبين، فانحرف الثاني لانحراف المقدم فإنه تكافؤ في الانحراف سقط الاتصاف.

والذي ترك هواه عاد إلى إياه فارتفع الخلاف بالخلاف، وتلاقي غيره فأنقذه من التلاف وأدنى الغضب خروج عن الآداب، والخروج عن الآداب سبيل إلى العطب وعلامة الوسواس تغير الأنفاس، وغضب الأصوات فرض في المناجاة. وكما أن رفع الأصوات يمنع الأذن من السماع الظاهر، فكذلك يمنع القلب من النظر في الباطن، وإنباء الله في الباطن هي العقول: ﴿**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾([183]).

بيان

الإنسان مفضل على سائر المخلوقات فليتفقد أفعاله دائما وينسبها، فمهما استمر على فعل ورضي به فهو من قبيل صاحب ذلك الفعل، كالشهوة للخنزير والفساد للشيطان والتسبيح للملائكة وما شاكل ذلك، وهو معنى قول موسى عليه السلام: ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾([184]).

موعظة وتعليم

يا من ابتلي بكل ما لديه، وطولب بالصبر في حالية وكل ما عجز عن حمل حمله زاد عليه يطلب الباقي بالإيماء إليه، ويتمسك بالفاني بكلتا يديه وإذا دعي تصامم، وإذا بصر غمض عينيه([185]).

شعر

مكنت من أمر عظيم عجيب ... قال لك الله ادعني أستجيب
وصفتك تجري كن كما ترضى ... غير أغير إذن إني قريب
لك اختيار ثم لي قدرة ... محدثة عندك منها نصيب
ومنزلي فيه شفاء الورى ... والعقل يهديك به كالطبيب([186])

بيان /[29/أ]

فيك العوالم كلها موجودة والكل حولك مستكن ثابت
ولأجل كونك كان كل مكون والحي أنت وكل شيء ميت
والجن فيك مقامهم وقيامهم وكذا الملائكة ناطق أو صامت
فإذا غفلت فعالم متباين وإذا عقلت فما هناك تفاوت
وإذا حضرت فكل شيء حاضر أو غبت عنك فكل شيء فائت
وتغاير الرأي يريك تغاير المرء وهو على الحقيقة ثابت([187])

زيادة

في روحك الأرواح والعوالم ألا ترى ذاك وأنت نائم
ففيك كل حاضر في غيبة والكل أنت عالم وعالم([188])

جهل

لما غدت جملة الأفعال عائد عليك من كل فعل أنت فاعله
ظننت إذ أنت معبود لذاتك أن الله أنت فأنت الآن جاهله([189])

إفصاح

ومحجوبة فيها الملاحة كلها وقد زاد وهنا طيفها في وجي الحجب
لها الحسن سربال ومعنى جمالها تجلى في المعشوق العاشق الصب
حكت كلما في الكون والكون كله حكاها فأضحت للدوائر كالقطب

مظاهرها حجب لها ولغيرها هدى فتريه البعد في غاية القرب
إذا قطعت سبيل المظاهر وانثنت إلى ذاتها بالصدق في موطن الحب
أشاهدها في سمعي وبناظري وفي سر سري الروح مني وفي لبي
وتشهدني من بعد ذا أحدية يخر لها ما في السماوات والترب
لهذا ترقت في المظاهر واختفت وعادت بأنواع العجائب العجب
[29/ب]/ومن سوسها ضدان في واحد له يقول وعنه القول في الغدر والعتب
فعاشقة معشوقة ذاتها لها محب ومحبوب على البعد والقرب
هي العبد عبد الله جبريل عالم أخاطبها غيري وأعني بها قلبي
إذا أعدمتني كنت معني وجودها وإن لم أكنها قد رجعت بلا رب([190])

إيضاح

النفس خفية تنمو في كل آن فهي غيرها لتغيرها مع الأحيان ولها تصور يمثل ما يكون ويحفظ ما كان. ودوار سير الفلك يعطي أن لا وقفة لزمان، فإذا تصورت ذاتها في الماضي والآتي من الأزمان فإن كانت واحدة، فالمخاطب والمخاطب اثنان([191]).

نظم

هي النفس تنمو دائما ونموها	دليل حدوث العالم المتجدد
زيادتها عن أمس دلت حقيقة	على أنها في اليوم أنقص من غد
فنقصانها بالذات أصبح شاهدًا	لرب براها بالكمال المؤيد([192])

تنبيه

إنما ترى الأشياء بحسب نظرك فيقال إنك الرائي والمرئي وليس إلا اتحاد الحقيقتين.

واعلم أن المرئيات كلها لها اعتباران أحدهما من جهة الرائي والآخر من جهة المرئي في ذاته فالمرئي في ذاته له حقيقة غير حقيقته الحاصلة له وصفا من حيث الرائي، فمن قطع إياه رأى الأشياء على حقائقها من جهة ذواتها لا بحسب نظره. وهذا محل نظر الأنبياء عليهم السلام، وأما غيرهم من سائر الخلق، فإنما يرى ما يراه باطنا وظاهرا نوما ويقظة بحسب نظره لا بحسب الرأي في ذاته([193]). فدرجة العوام رؤية الواحد كثيرًا، ودرجة الخواص رؤية الكثير واحدًا، وأعني بالخواص هنا المنفردين عن الأنبياء، وكلاهما مرض.

إذ يعرض للبصيرة / ما يعرض للبصر من تغيير الرائي لتغير لون [30/أ] الجلدية([194])، فتارة يتغير لتغير الألوان والمرئي واحد في لونه وهو مثال درجة العوام فتارة يثبت التغير على لون واحد فيثبت المرئي ضرورة وهو مثال درجة الخواص، ومن هنا قالوا: أن الكل واحد. وقد علمت من تغير لون الجلدية عينة إلى الصفرة فإن هذا الأصفر أصفر لا يقال إنه صحيح النظر لكونه وافق لون المنظور إليه في ذاته لون الناظر في صفاته إلا عند غير الحكيم المعتبر. فقد علمت أن مرض أرباب الدوجتين هو من قبيل واحد وهو فساد النظر ولا صحة إلا مع الأنبياء عليهم السلام واتباعهم الذين تركوا أهواءهم إذ نظروا إلى اختلاف الأشياء في ذواتها، وهو الاختلاف الذاتي للمنظور لا الاختلاف العرض للناظر([195]).

ورأوا للجميع فاطر واحد ولـم يروا الكل واحد بل عني واحد([196]).

ولهذا قال ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ([197])﴾ واكتفى بذكرهما عن ذكر ما فيهما.

صنفان

واعلم أن درجة العوام أشبه بدرجة الأنبياء عليهم السلام من درجة الخواص بزعمهم، وإن كانوا خواصا بالنسبة للعوام فلاختصاصهم بمرض واحد عظم دون أمراض شتى أسلم([198]).

وهم

رب عابد هواه رأى خياله في المرآة، وحسبه إياه فترك ما عداه، ولم يتعداه ظنا منه [30/ب] أن ذاته مولاه إذ لم ير شيئا سواه، وقامت / بشبهه شكوكه ودعواه فأعمته عما عماه، فقال: أنا الله. وإذا نام هذا المصاب تقطعت به الأسباب فكيف به عند الانتباه يوم يكشف الغطاء ويزول الاشتباه([199])؟

ورب عبد بايع مولاه على ترك ما سواه والرضا برضاه، ورأى الإيمان بالغيب أولى من كشف الحجاب فقطع الأسباب، ولم يطرق الباب، ومن أراد غير الله فقد عبد هواه، ومن أراد رضاه لم يعبد إلا إياه([200]).

وإقدام ذوي الإقدام على المقام بهذا المقام قامت على قمة الاصطبار وعلت على متن الجنة والنار([201]).

نظم

تحببت وقتا إذ تحيرت منزلا	كتهيئة المصباح والزيت أولا
وبالغت في حجب الهوى محدقا	إليه زمانا ما بصدقها شغلا([202])

تعريف

إن من كشف له عن الجمال لمحة الخيال جدير به أن يهيم به طربًا ويتقطع أربا ولعله تبرقع بالأكوان وتمزق في كل آن لما وفي حق لمحته ولا غني بقدر بشأنه.

وهذا حجب بكشفه فوقف لضعفه ينحت له من ذاته آلهة من دون الله أو ليتخذ معه إله سواه؛ لأنه يشهد بقدر ذاته ويربي بمقدار مرآته والذي تحقق قصده تقدم وخده فهو الصبار السيار من وراء الأستار في غيب الأسرار لا يختار إلا أن يختار حتى يطلع النهار وتستقر به الدار.

شعر

أحبك والأستار تحجب بيننا	فكم مرة عنى تسترت بالكشف
وإنك فوق من كل	فانظر فما دونك ما أبديه عنك وما أخفى([203])

تنبيه ووصية

اعلم أن الله تعالى جبل في جبلة الإنسان سائر الأشياء فمن ذلك ما يستخرجه الإنسان من ذاته بالفكر والتعقل والتصور والاستنباط([204]). ومنه ما يلقى إليه وحيا من ذاته أما بأمثال وإما على صورته وذلك إما نوما أو يقظة عند ركود الحواس وقطع العلائق والعوائق الطبيعية، وإما يقظة متى أدته

الرياضة إلى مثل ذلك بعينه([205]). والفرق بين الأنبياء عليهم السلام وغيرهم: إن الأنبياء يوحى إليهم من ربهم، وغيرهم من أنفسهم أعنى على قدر استحقاقها يلقي عليها([206]).

شعر

مرت لوليات بتلك الأربع   بين النقا والمنحنى ولعلع
أطوف ليلي ونهاري هائما   ما بين بانات اللوى والأجرع
حتى سمعت بالحمى مناديا   كان به قلبي يناجي مسمعي
فعدت على تلك الطلول   معلنا أن الذي أطلب من غيري معي
ثم انثنيت بعد ذاك زاهدا   في لأن مبدع لمبدع([207])

نظم

خرجت من حصر حبسي   من حين فارقت حسي
فكنت أشهد ذاتي   في كل جن وإنس
حتى بدالي حجاب   فلاح لي كشف لبسي
فعدت أنفر مني   من بعد ما كان أنسي
فصرت أنفي علومي   عني وانظر حدسي
رجعت عبدا ولكن   قد كنت ربا وبسي
فغاية الكون كوني   في الكون أعرف نفسي
ولا أرَى لي علوًّا   إلا الدنو لرمسي([208])

رضى

ولما أن جفاني بعد وصل   وباعد كل محبوب قريب
رصيت رضاه حتى عاد بعدي   بمنزلة الوصال من الحبيب
فصار نصيبه مني رضاه   وصار البعد لي منه نصيبي([209])

نظم

لذ البلاء له إلى أن ذاقه   منح النعيم أني بغير حساب([210])

وفي المعنى

كيف أشكو ضر نفسي وبالصبر عليها   أعدو عليك كريما
كلما ازددت من شقاء شقاء   زدت في حالة النعيم نعيما([211])

ومثله مسوال

ألقيتني في بحار الخوف والهجران وحدي ومنك بلائي غاية الإحسان
زدني إليك صبابات مع الأحيان ولا أقول أقلني كان مهما كان([212])

ذوق

العاشق اشترى رضا معشوقه بكل الأشياء فمن الأشياء يملكه وما لا يملكه، ما يملكه فإنه يحزن عليه، وكيف يحزن المشترى على ما بدل في بضاعته وهو أربح الرابحين في تجارته، فمهما خطر في السر والعلن قال: وهذا من جملة الثمن وعلامة صدق هذه الدعوى عدم الشكوى وليس الغدر من شيم الكرام ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**([213])﴾.

فطرة

لما كان الطفل لا يعرف عند الولادة شيئا كان على الفطرة. وإن وصل الكبير إلى حد / أن يعرف أنه لا يعرف عاد إلى الفطرة([214]). [32/ب]

تجريد

ثب هاربا من كل مؤذ فما يؤذيك إلا كل ما تعرف
وفارق المحبوب من كل ما يوصف فالمحبة لا توصف([215])

في المعنى

يا جاذبي عني إليه بكل ما لي عنه جاذب
أنت الحجاب عن الحجاب فكشف حجب الكشف حجاب([216])

إشارة

إني نظرت لآيات على عدد الأنفاس محتجبا في سائر الصواب
والكل غيري ولا غيري يعاملني خاطرت إن كنت من غيري على خطر
أين غيري ولو أني نظرت إلى إياي غيري فإني فاسد النظر
ناجيت سرى ناجاني فما شهدت بصيرتي غير ما شاهدت بالبصر
والأمر بالعكس أيضًا إن فطنت له فهاك يا أنا لغربي وادر ما خبر

مثل هذا يقول العبد العارف وهو صادق، ومثله يقول الغالط، فيقال له:

هذه نهاية من رام النهاية في العرفان ثم أثنى من سائر البشر
فظن لا غير إذ لا غير شاهد فظل يهدر بالتوحيد في القدر

والحق من بعد فوق الفوق — لم يره إلا النبي ومن يقفوه في الأثر([217])

فدقق الفكر يأت العقل معترفا — بالجهل فالجهل هادي العقل بالفكر

إلى الذي فطر الأشياء فاعترفت — به وإن ضل عنه سائر بالصور

فانهض وسر عنك يا من لا سواه — إلى سواك بالغيب إيمانا على الغير

فالكل منك وأنت العبد مقتدرا — بالكسب قد جئت بين الجبر والقدر

ملتحق به

أخفي وأبدي: — والكل عندي

فأين غيري — وأنا في الكون وحدي

كلي لكلي ناظر — بكل طرف أبدي

لآيات أنا حينا — وأخفي ذاتي لذاتي

خاطبت بكل حرف — آيات قصدي بغير صد

ولي وصالي — ولي غرامي بي ووجدي([218])

صاحب الوقت

من صحب الوقت فذاك الذي — من كل محذور له الأمن

فالحزن في الماضي والخوف ما يأتي — فلا خوف ولا حزن([219])

وفي المعنى

الحزن تحسر القلب وشغله بالفكر والتأسف على ما فات من الدنيا. وقيل: هو شغل القلب وفكرته فيما يخاف ويرجى في المستقبل من غنى أو فقر وغير ذلك من الحوادث الطارئة المتوقعة. وقيل: الحزن والهم بمعنى واحد. وقيل: الحزن على ما فات والهم على ما هو آت([220]).

اطلاع

عد إلى سرك عند حدوث الحادثات متخليا عن سائر الموجودات مقابلا بذاته ذات الذات، ثم قف هنيهة تجد هيئة تدلك على ما سيكون في الكائنات([221]).

معراج وغاية

إن خير الدارين في الفكر — فالفكر إلى كل غاية معراج

فاخرس الفكر ذا كذا — وأرصد المطلوب تظفر بكل ما تحتاج([222])

عقل

العقل الغريزي كالسراج، والكسب كالدهن بمده([223]).

مثال

لو أن ملكا من ملوك الدنيا وأعدك أن يحضرك في بعض الأيام، كنت ليلك لا تنام، بل تهجر الأنام، وقد علمت أن الموت آتيك، وبكل حال يناديك، فاجعل فكرك فيك، وخذ مما تحب ما يكفيك، فإن الملك داعيك، وأعمالك تلاقيك، فتأمل هذا المثال، واعمل للمآل، قبل أن يبعثك قاطع الآمال([224]).

موعظة

كن في حبسك كميت في قبره، لا يؤنسه إلا عمله، ولا يوحشه إلا ما قدمه، وإنما تشاهد في رمسك ما تشاهده الآن في نفسك، وخذ به في كل حال.

فانصرف بفكرك إلى ما يؤنسك في قبرك فإنك وحدك ساكن لحدك، فإن اشتبهت عليك المعاني، فأعرفك بميلك إلى الفاني، فإنما لك ممالك من حالك ما يصحبك / بعد ارتحالك([225]). [33/ب]

معراج

يا أيها الشاعر المجيد	إني لك الناصح المفيد
دع كل واد تهيم فيه	وهم إلى ما به المزيد
ففيك مثال يريك	ما لا ترى ونحو الحمى يقود
كأنه قال فيك حالا	يكفيك ما منك تستفيد
معراجك الفكر فاصغ	واصعد فهاهنا الوجود
من هاهنا علم كل شيء	فاطلب من الله ما تريد([226])

ما الإنسان

أنت حي ذو فكرة قادر من أنت	وهذه الأجسام كالأشكال
فهي ظل يرى وذو الظل يخفى	وهو رب الخطاب خلف الظلال
قائل فاعل لما شاء بالفكرة قبل	الأحوال والأفعال
فلئن كنت لا تدري الذنب إلا	حين يبدو بالجسم فافقه مقال
أيدي الثواب قطعها أم يد السارق	قال يحتز في مذهب العقال
ومثال المرء يظهر في المرآة	عند الإبصار أم ذو المثال
ما على الأجسام عار ما منه يبدو	بل على من رضي به في الوبال
وإذا ما عصى الخيال كما تعصى	فلا ذنب عندنا للخيال
وجميع لأمور يقدمها الفكر	فثب نحوه بلا إهمال
وانتدب واجتهد جاهدًا	وعاهد واحتز وافترس بلا إهمال
هو ينبوع كل قول وفعل	فارتبطه في كل آن وحال
تنج مما تخاف سرًا وجهرا	وتنل ما تريده في المال([227])

دقيقة فرقان في حياة إنسان

عبد ومولى أرادا كون كائنة كل أراد لمقصود وأوطار
/ولكن العبد لا يدري إرادة مولاه بدون وقوع الواقع الطاري [34/أ]
فإن هما اختلفا تجري إرادة مولاه يكون المراد الكائن الجاري
وإن هما اتفقا كان المراد لكل منهما وحده من غير إخبار
وينسب الفعل من أجل الإرادة للمولى وللعبد تحقيقا بإقرار
فالفعل من ذوا ومن ذا واحد وإذا نسبته كان هذا فعل مختار
وليس للعبد إلا ما يريد وبإرادة العبد ذو الفعل وآثار
يجري المراد لعبد قد أراد إذا ما وافق القدر الجاري بمقدار
وقد يريد ولا يجري المراد وقد يجري وإن لم يريد بل محض أقدار
إرادة العبد كسب فهو ما كسبت قلوبكم وعليه يؤاخذ الباري
فبالإرادة عاد العبد منقلبا يجري إلى جنة إما إلى النار([228])

[نصيحة([229])]

قل لمن أكل حشيشة الفقراء من أم مرامه بالوسائط من المركبات والبسائط فقد أخطأ الصواب ودخل من غير الباب، ومن كانت غايته جلاء مرآته وتكميل ذاته فهو الاسم والطلسم في الحال والمآل، وهو صاحب الأقوال والأفعال البالغ غاية المآل محدود وغير محدود([230]).

العقول

العقول لها حد تقف عنده من حيث هي مفكرة لا من حيث هي قابلة، وليس لها حد من جهة القبول إلى ما هو فوق طور العقول([231]).

شعر

قد خفت من موتى على غرة فلم أخف إلا من الفوت
حتى لقد أوقفني دائما خوفي من الموت على الموت([232])

بيان

الذات تشهد لا تعلم، فالعقل من جهة العلم دونها، والمعرفة بالسلب غير المعرفة بالإثبات فلم يبق غير الإيمان بالغيب والشهادة كما تقدم. والشهادة لا تكون في هذه الدار([233]).

غلطة

[34/ب]/ الجبرية ظنوا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ وما تشاءون إلا أن يشاء الله فافهم([234]).

نظم

أبدع مخلوقاته فمنهم خلائق بينهم الخلق نشا

قالوا له مشيئة سابقة فينا ونحن لنا ما نشاء
قلنا صحيح سبقت مشيئته وكلما شاءه فينا يشا
فشاء ما شاء على ما شاءه وشاء أن يخلق مخلوقا يشا([235])

القلوب

بمنزلة الأرض تنبت ألوانا من العقائد والقرآن بمنزلة الماء، يمد الكل فافهم جيدًا([236]).

تحقيق

ما أنت به أنت هو، وهو بما هو به هو أنت إلا أن إحدى الغايتين في الأخرى مدرجة مدمجة، من حاول تمييزها منها حاول عسيرا ومن شعر بالوجه منها بقي حسيرا، وكل بشر نال هذه الحالة فقد برئ مما كان به منقوصا ورقي إلى ما صار به مخصوصا([237]).

نبأ

إنما أنت ما ميلت إليه كما أنه لا سبيل للجنين أن يدرك ما في هذا العالم كذلك لا سبيل للمتعلقين بالأجسام أن يدركوا ما في ذلك العالم ولما غمض الأمر بالإيمان بالغيب إذا كان الترقي مستمرا في الكلام من عدم إلى وجود ونسبة الثاني إلى الثالث كنسبة الأول إلى الثاني، فكيف يدرك المعدوم وجوده قبل أن يوجد فيه([238]). وهل إلا ضرب المثل، فبهذا جاء الكتاب المنزل من إبداع ما يفني هو غاية تبقي. ومن رام أن يطلع على الغاية الباقية في الدانية الفانية فقد خرج عن الطريق، إذ سر الدنيا يعلمه في الآخرة فكيف يعلم سر [35/أ] الآخرة في الدنيا / **﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**([239]).

وليست السعادة هي اللذات بل اللذات تابعة للسعادة، وإنما السعادة اللقاء وليس اللقاء حقيقة المعرفة، بل أن يتلاقى في حقيقة الصفة، ومن اتصف فهو الذي عرف([240]).

وصية

اجعل دأبك احتمال الأثقال، وارتكاب الأهوال في كل آن وحال فمهما أنت كذلك فأنت سالك، ومتى جنحت إلى اللذائذ والراحات والفتاوى والمسامحات فأنت مستدرج([241]).

نظم

خلقت نفسه لحمل المشقات فليتذ حينما تعتريه
وإذا ما خلا من الهم حين يرى أنه لا شك فيه
ويري المتعبات فيها من الراحات للقلب كلما يرتجيه
ذا لمن رام مثل وصلك في دنياه يا مفرد بغير شبيه
قد رأى الصعب في المحبة سهلا وأمر الأشياء حلوا بفيه([242])

كما قال سيد المحققين أبو الفضائل والمفاخر الشيخ عدي بن مسافر([243]) قدس الله سره:

اعلم أيدك الله سبحانه وإيانا بروح منه أعلام تنبيه إلى أعلام تعلم أن من خواص الشخص الظاهرة عليه في سلوكه وفي كماله أن تكون حياته موته وحركته بعثته ونشاطه متواصل، وامتحاض قوى باطنة بالفكر أبدا متزايد، ووزنه في الأمور مع الأنفاس متواتر وتفقد أحوال نفسه وأحوال العالم في كل حين، مصطحب مطلق البصيرة أبدًا في الأمور كلها غير ملتذ بالمدارك الجسمانية ولا راكن إلى الغرض الأدنى، فهو روح حي متحرك عالي بلا حجاب فلا يرى إلا نهارا سرمدا لا ليل فيه ولا ظلمة كخليل الملائكة في علو العالم فهل ترى ذلك يبقى له دقيقة من الفضل إلا ليطلع عليها أو شائبة من خبائث النفس إلا تتقي عنه فحينئذ يشرب بكأس قدسه ويستمع بحضرة أنسه([244]).

وله في ذلك

سقت حيا الحياربة الحدق ليلا صحابي شربناها فلم نفق
ولاح صبح المعاني في ضيا فلق وأشرقت نور شمس من ورا شفق
فغاب لبس وجودي عندما طلعت شمس الحقيقة من ذاتي على أفق
فتقت رتق المعاني عن سما فكري تصدعت أرض جسمي من هدي فرق
ولاح لي بطريق الكشف معرفة مني غنيت بها عن رؤية الحدق
ففهمت مني معان طال ما خفيت عني وكنت بلبس النفس في غسق([245])

فسكر

الفكر السيال المبتدر، هجما في كل واد، هو جاسوس الفؤاد الآخذ بصاحبه إلى الإلحاد، وهذا هو الأولى بالجهاد من سائر الأضداد فانفه عن [36/أ] البلاد، واحذر منه التزداد / فإن عاد فقف له بالمرصاد، حتى تبلع منه المراد، وإن عجزت عن طرده فاشغله وإلا شغلك، واقتله وإلا قتلك([246]).

نصيحة وتعليم

كل شيء يؤذيك فهو رحمة عليك لأنه منبه لك من رقده الجهالة والغفلة أم تر من رحمته العجاب في لدغ البراغيث وقرص الذباب فما ينسب النائم([247])، هو أولى أن ينبه اليقظان فكم هذه السنة بالانتباه وطلب الهداية بالاشتباه، وكم هذا النسيان بما يذكر والغنم بما يفقر والصحة بما يعمل والعز بما يذل، والري بما يظمي والنظر بما يعمي، اقلب النظر قبل أن ينقلب إليك البصر إذا أحببت الخروج من السجن فقد أحببت الدخول إليه وإذا كرهت الموت فقد كرهت الحياة. فيا عجبا من عقل مقلوب يحب المكروه ويكره المحبوب([248]).

موعظة

اخترط لك الحق لسانًا لا يمر بصدع إلا شعبه ولا يقرع بابا إلا فتحه، فاعمله في الدعاء فما كل وقت يحال على الماء والطين([249]).

وعليك بصحبة من تخف برؤيته عن العالم السفلي إلى العالم العلوي، ويحلو بصحبته الحنظل([250]).

قرآن

تقرؤه، وتعلم غريبه، وإعرابه، وتأويله، وتفصيله، ومتشابهه، ومحكمه، فلا تجد درة إلا تدلك على صفاء حالك، وإدراك كمالك، فعلكم لفظ، وعملك رفض، ووعظك خديعة، وعبادتك عناء، وكلك([251]).

فما أسخاك بحياتك؟! وأقل رحمتك لروحك؟! فالرحيل عن هذه العرصة التي قد تجرعت فيها أنواع الغصص. أما بك حاجة إليك؟ أما بك شفقة عليك؟ إلى متى ما تعرف إياك؟ أولا تحن إلى مأواك؟ أما تدري إلى من تنتسب؟ أما تعي ما هو أولك وآخرك؟

/ فكم هذا الأنس بالوحشة؟ والمقام بالغربة؟ كم تكذب نفسك وتغضب [36/أ] إن كذبك غيرك كم تخالف العقل، وأنت تحتج به على سواك؟ كم تغر بهواك؟ كم تذل لشهواتك؟ هل لك خير عنك فيما أريد بك؟ يا مسلوب الإخلاص في العبادة ويا قليل النشاط إلى اقتفاء أثر السادة إنما السعادة عمرك يوم لا تعصي الله فيه، وإنما مطالبك معاطبك ومآلفك متألفك.

فقم للطبيعة عاصيا، مجيبا مستجيبا داعيا: إلهي حل بيني وبين ما يحول بيني وبينك، وأعذني مني وأعني علي([252]).

وصية

يجب أن تكون تغذيتك للبدن كعلف الدابة إنما تطعمها لتحملك لا لتقضي شهواتها([253]).

تحذير

النفس خزانة إبليس فيها سائر أمتعته([254]).

يا هذا

أخطر ببالك كأنك تشاهد ذاتك مجردة خالصة في أمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر يليه، وقوة لا ضعف يخالطها، وقدرة لا عجز يمازجها، وعزلا ذل معه، وبقاء لا موت يقطعه، وكمال لا نقص يعيبه، وجمال لا شين يشوبه في ساحة لا أفق لها، وراحة لا نصب بها وهي ملتذة بذاتها لذاتها تنظر بنور لازم وسرور دائم، وشهود مستمر، ونعيم مقيم، وأمن عظيم، فكيف ترضى بعد هذا بالمقام في دار الآلام، وتقنع بظل زائل ولهو عاجل وتستلذ بسم قاتل. في عيش باطل مع صحبة الأموات وعشرة

الأضداد والتقيد بالفانيات، والانهماك في الفساد فعد عن هواك فما غيرك يرضيك ولا فرصة [37/أ] لك / إلا فيك([255]).

نبأ

ذاتك فيك غيب عنك وذاته منك غيب فيك فهو معك أينما كنت، وبرهانه عليك عجزك عنك فإن لم يشهدك السرائر، فاشهدها بالنواظر([256]).

نظم

ذاتك غيب فيك والحق عينها ... وتأثير غيب الغيب في الغيب ظاهرا
فإن لم تر التأثير بالغيب باطنا ... فبرهانه ما أشهدتك النواظر
إدراك غيب فيك للبين ممكن ... وأنت مع الأهواء والجسم حاضر([257])

نسبية

إذا كان للذكر بنعمة لذيذة فله في النفس أثركما للصورة الحسنة في النظر([258]).

حكاية

في الثالث شيئان لا يكونا واحد من كل جهة، إذ لا بد من التميز، ونفي المميز نفي الإثنينية([259]).

وصية([260])

صانوك فلا تتبذل، أعزوك فلا تذلل، جدوا بك فلا تكسل استخدموك فلا تكل،علموك فلا تجهل، آمنوك فلا تخن. اكتحل بالفكر وحرم على بالك الهوينا والفتور وأملك عنان الفكر كما تملك زمام الذكر وعليك بالعلم المستفاد من النظر في ضمائر القلوب، ومواقع الخطرات وما يتصل بكل خطر وجاه وما ينقدح في القلب من نور وصفاء وظلمة وزين وهذا مما لا يكاد ينشرح به صدر إلا عن موهبة، اللهم إلا أن تنكت من الله تعالى في قلب عبده نكت تفرغه لما هو الأهم، فيفرغ إلى النظر فيما راعه حتى يتدرج بذلك الحال إلى أن ينال شرحا لصدر بعد الجهد الجهيد والتعب الشديد.

وليس يكاد التعجب ينقض، فمن يزن بالعقل وينسب إلى العلم، ثم لا يغنيه النظر في ضروب ما يعرض في قلبه من الخواطر التي هي فواتح أفعاله وبواعثها، ثم في منازل فكره ولربما تشذ عنايته في تعرف أفعال عينيه التي هي موضع بصره الظاهر. وقد علم أنه يعرض لقلبه ما يعرض لعينه من عوارض أو ضعف أو عمى.

وكذلك يعرض لقلبه لسمعه من الأوقات وكيف يرى تعلم ما يصلح به باطنه من العلوم الظاهرة وقلبه جاهل بحاله ولو عمل على إصلاح سره وإخلاص طويت بمراقبة قلب لدحض وساوس تحدث فيه يتردد واضطراب إلا أن يقوى خاطر حق لا تردد فيه فإن بعض على جزم ضمن مشيئة وللأدعية أثر عظيم والله الممد بكرمه([261]).

حكاية

قال بعضهم:

حسبت مرة بصورة من البهتان قد خلت السجن، وقوتي وحالي علي فكنت أدعو، فأجاب، وأتصرف فيما اختار على عادتي وأنسى خارج السجن باطنا وظاهرًا. فلما أردت الخروج أخرجت، ولم أعلم أني كنت مفتونا بذلك كله. ثم حبست بعد ذلك بسنين مرة ثانية بمثل ذلك بعينه، فلم أجد لي حالا ولا وقتا ولا قلبا، بل أفلست من كل ما أعرفه من قولي وحالي. فنظرت إلى ما كان من كسبي فعلمت أنه قد ران على قلبي وعلمت أن حالي في السجن الأول كان فتنة وحجابا مازجه لطف لضعفي أولا عن حمل ما حملته ثانيا لأنني في الثاني رأيت أنه حبس مع آمالي وأعمالي والتفكر في حالي ومآلي، فاجتمع علي همي بقدر تقسيم فكري وعن علي صبري حتى بقيت في سجن باطن فآسيت منه ساعة أحسبها من النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فلم أجد إلا أن حملت على قلبي وسقا من ذنبي وتوجهت به إلى عفو [37/ب] ربي، فتلقتني من كرمه سبحانه وتعالى رحمة قبل الوصول اطمأنت بها / نفسي، وقوى بها قلبي، وكان ذلك ليلا، فأصبحت وقد فرج عني من السجن الظاهر إلى حبس أنا فيه أروح من الأول حتى كأني لم أبق فيه محبوسا.

ثم ألهمت أن لا أخرج بأفكاري لئلا أكون مخالفا وكذلك لا أتوهم الخلاص ولا أفكر فيه ولا في أسبابه. وأن أقف مع الوقت ظاهرًا وباطنًا، وأن لا أكتب فيه بأفكاري ولا بأقوالي وأفعالي إلا ما أحب أن اقرأه. فلما لزمت هذه الحالة ورأيت السجن معينا لي عليها كنت أخاف أن أخرج قبل أن تصير لي ملكة، فعاد المرهوب منه مرغوبا فيه([262]).

معراج([263])

رأس مال المعرفة حفظك حالك التي لا تقسمك شكر رؤية النعم بنفس النقم شاغل بالشكر عن الصبر. فالعالم رأى العدل في العسر الذي وقع فيه ومعه اليسر فضلا من باريه فاشتغل بالشكل على اليسير فضلا عن النظر إلى الصبر على العسر عدلا. واعلم أن الصبر صبران: أحسنهما صبرك على ما ترجو عاقبته. والحلم حلمان: أشرفهما حلمك عمن جرت رتبة. والصدق صدقان: أعظمهما صدقك فيما خفت معيبه.

والوفاء وفاءان: اسناهما وفاؤك لمن لا ترجو منفعته ولا تخشى صريرته([264]).

نظم

فالصبر في مرتبة فوقها رتبة عبد مبتلى شاكر([265])

وفيه أيضًا

شغلت بالشكر عن الصبر لرؤية اليسر مع العسر

والعسر عدل من الإله لما | قدمت من معصية الأمر
[38/أ] / واليسر فضلا منه سبحانه | قابله العالم بالشكر
ومن رأى في العسر إصلاحه | فشكره في العسر كاليسر([266])

غيره

وأجاد بنظامه على حسب مقامه:

أنت الغيور على قلبي تقلبه | كما تشاء وهذا ميسمي أبدا
جعلت غيرك في قلبي لأجعله | وسيلة لي إلى حبك مجتهدًا
وأنت أقرب منه فاطلعت على | قصدي فساعدت قلبي نحو ما قصدي
نزعت كل حبيب فيك نازعني | فيه فلم يبق فيه منهم أحدًا
وقلت بالحال وصلي في مقاطعة | الجمع والروح أيضًا تهجر الجسدا
ومن رأى بعده في كل وسعة | قربا......([267]). ففي فقدانه وجدا

مثله

يا واصلي بقطعة يا قاطعي عن قاطعي | إليك فرقتني عني وأنت بالفراق جامع
جعلتني أحدوثة في سمع كل سامعي | إن ذاع سري بينهم سرك غير ذائع
كل يروم صنعة لكن ربي صانعي | فحبه وديعتي وذكره ودائعي([268])

عمل تحذير

إذا رأيت من قطع العلائق وخلا من العوائق وأصلح العقائد وقهر العوائد، وهو قوي النفس غزير العقل صحيح الدين، ثابت اليقين، وأحببت أن تزيده لتقيده، فتوجه مدة إليه ثم بعد ذلك حله عليك واحذر أن تدخل في هذا بهواك فإنك لا تقدر من منامك على شيء بل ربما أهلكت أخاك وإن كان صادقا في ذاته هلكت بنجاته([269]).

فاحذر جيدًا أول الأعداء أن تريه ما فيه من أنه يقدر أن يستحضر المعلوم نظرا بخاطره وسمعا بقلبه كما قد يغمض عينيه ويستحضر صورة والده أو [38/ب] صورتك مثلا، وكما يستحضر في قلبه سماع لفظ قلته له، ثم يؤمر / بالذكر باسم أنت تراه الأولى به في وقته وحاله وكما ستعلم([270]). فإذا رأى أو سمع يحكي لك فإذا حكى عرفت توجهه وأمددته من قبله وحاققته على الزيادة فيما يرى فإنها تفسد عليه وللسر صدق منكما لابد إذا اجتمع ولد العجب من ذلك.

إنه متى صدقت نفسه وصح توجهه إليك تصورت أنت إياك في صورة أو ملبوس ووقفت بفكرك فيه أو صورت بفكرك في نفسك شيئا كالفيل مثلا رآه فأخبرته بما رآه([271]).

وإن كان ضعيفا استدرجته بالكلام كما في المندل تحدثه بما يحب أن يراه ثم تتركه فيرى حية بغير حديث([272]). فإن صح في انجماعه، وتوجه إليك إنهه عنك وأمره أن يسلك الطريق بعينه مع الله تعالى فقد عرفه بحاله، وأوصه أن يتحفظ في الغفلة في أقواله وأفعاله.

فبذلك يبلغ نهاية آماله([273]).

ومن الضروري له إذا وصل أن يمحو من نفسه موضعك الذي حصل، فإن لم يفعل فقد طرقت له بابا وصرت له بعد ذلك حجابا. والسلام([274]).

خاتمة

قد علمت أن للنفس حالات لا تحصى وهيئات لا تستقصي، فمنها ما يشبه حال بعض الحيوانات، والمعاون، والنبات. كالخنزير في الشهوة. والطاووس في التزين. والثعلب في الحيلة. وغير ذلك كالحشاش بين المرة والحلوة والترياقية. والأحجار ذوات الخاصية.

[39/ب] وكذلك لها حالة / ملك وحالة شيطان ولها ما فوق ذلك وما تحته مما يعلم وما لا يعلم فمتى غلب عليها حال من سائر الأحوال ألحقت بما غلب عليها فتعود النفس بذاتها ملكا أو شيطانا أو حيوانا أو نباتا ومعدنا أو غير ذلك مما علا ودنا وكما أن لكل موجود في الكون أثر يحسبه في الوجود على قدر قوته وضعفه كذلك لكل حالة في النفس أثر متى اتصفت النفس بتلك الحالة تعود مخاطبة لإياها بصورة ذلك الحيوان أو الإنسان أو الملك أو الشيطان أو ترى ما يوجب لها من الهيئات([275]).

وفي التنزيل في كثير من المواضع أسماء لحالات نفسانية قد سميت كل حالة باسم وكذلك ما جاء ظاهرا في الوجود إنما ضرب لها به مثال والمراد تلك الحالات لتستقر في النفس بالأشكال كما في قصة آدم عيه السلام وإبليس وغير ذلك([276]). والمراد، وما يستقر في النفس من المثل لا نفس المثل، فالكل في الدارين أمثال أسماء لحالاتها وتبنيه على الاتصاف بأفضل صفاتها.

وإذا قد استقر هذا فاعلم أنه كانت أجزاء الإنسان مبثوثة في العناصر ولها نفس تخصها ثم انتقلت في الأطوار من فئة إلى هاهنا، فلما كلمت البنية وقفت ولم تقف النفس فهي أبدًا كما كانت تخلع وتلبس صورا تخصها كما كان القلب من حين العدم المطلق إلى أن وقف، وكما أنه في كل طور يملك ما كان قبله ويزيده على المقدم تاليا، فكذلك النفس ولا تزال حتى تملك سائر [39/ب] الموجودات من الصور والهيئات وسائر ما يعبر به / في المعقولات والمنقولات، ثم تخلع ما في وسطها ووسعها أن تخلعه من المعقولات، وتعود قابلة ما يرد عليها من الواحد الأول كفاحا.

وهي أيضًا تخلع وتلبس مترقية فقيرة إلى ورد الاستقبال غنية عن الماضي والحال.

ومن هنا جد السفر ومجيء الأثر، وانقطع الخبر والحمد لله وحده.

الباب الثالث
في المعمول وفيه مما قبله

سبحان من أوجد من العدم موجودًا باقيا وأبدع له عالما يعبر عنه فانيا لينقله من [الفناء([277])] إلى عالم البقاء ثانيا، وجعله من أول الإبداع مترقيا في العالمين دائما ساريا([278]).

وزينه بالعقل فصار به مهديا وهاديا، وجعل له سبحانه وتعالى الحواس الخمس مؤدية إلى النفس، فعاد بها الخفي عنها باديا([279]). وضرب له بكل أمثال، فجعل الكتاب العزيز أقوالا والمبين أفعالا ليظهر له بهما ما كان عنه خافيا. وجعل هذا العالم الأول المدركة معشوقاته مثلا فانيا، وصير معشوقات العالم الثاني مثلا أعلى مضاهيا، فهنالك أمثال معشوقات هذه اللطائف أشبهها هنا معشوقات كثائف، فصار هذا لذلك محاذيا، ومن لدن الأول سبحانه فيض مشهود في ظل مبدعاته قد أصبح حاديا حجب به المترقي مرا في الأذكار في سلم الأفكار، فانقلب إليه البصر خاسئا وجذب به كليم الأسرار [40/أ] إلى نور الأنوار، فلما قال أرني خر صعقا متلاشيا فسبحان / من احتجب بمعشوقات العالمين وجعلها أمثالا وصير كلا إليه داعيا، وتعالى في غيبه وتفرد بالوحدانية فهو على صراط مستقيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فسبحانه وتعالى على كل شيء عاليا، وصلى الله على الرسول المعظم والحبيب المكرم سيدنا محمد صلاة دائمة وسلاما وافيا([280]).

أصل

لا يجوز على الواحد الأول لفظ البسيط ولا الانحصار في مثله لان ذلك إنما ظهر في الوجود. والله تعالى قبل الوجود وقبل البسيط، فهو الواجب بضرورة العقل لزوما. وأما العبارات فيه صارت([281]). وكذلك كل ملحوظ لأنه تعالى تقدم الملحوظ واللاملحوظ واللحوظ والداخل والخارج. فحدق واجمع أنوارك وانظر ممن تطلب حاجاتك عند الاضطرار، فإنك لا تطلبها من معدوم([282]).

أصل

شيئان لا يكونان واحدًا من كل وجه إذ لا بد من التميز، ونفي المميز نفي الإثنينة([283]).

تدريج

من لم تمت في صدره العوالم فهو محجوب، فإن وصل إلى هنا فهو حر، والعبودية فوق هذا المقام فهي التلقي مما هو فوق العوالم([284]).

إيجاز

كل ما يبديه العلم فهو تحت العقل فهو من العوالم([285]).

تفهيم

النفس معبودة للجسم، فإذا اتصف بصفاتها فهو هي من غير اتحاد. والعقل معبود للنفس، فإذا اتصفت بصفاته فهي هو من غير اتحاد. والحق معبود للعقل فإذا اتصف بصفاته فهو هو في غير اتحاد([286]).

[.......]([287])

عالم الصفا حجاب لأنه يكون الكشف وهذا يشاركنا فيه الرهبان، وإنما نفضل عليهم بالترقي([288]).

أصنام

كما أن الخلق لا يكون في زمن كذلك الإبداع هو لا يكون في زمن. فالعقل فوق الحسن فلا يدرك إلا مخلوقا، فإذا الإبداع فوق العقل فعادت مدركات العقل كلها أصنام([289]).

[نظم]([290])

ميل القلوب إلى سواك حرام ... ما كان غيرك كله أصنام

هذي المواهب ظاهرا أو باطنا ... فتن لديك وكلها أحلام

والعلم بالمعلوم جهل شاغل ... عما يرام به فكيف يرام

سجدت لك الأملاك والأكوان ... الأزمان والأفنان والأزهان والأفهام

أنت الذي وإليك كل إشارة ... وعلى الجميع تحية وسلام([291])

رجعة

إذا لحظ رجع إلى العقل فقام بالشريعة، وإذا رقي خرج عن الحس فرقع عنه القلم كالنائم حتى ينتبه([292]).

مثال

إذا كان التطهير هو المراد من الماء فما دام الطهر حاصلا فالغني عن الماء حاصل ولا يقال بطلت فضيلة الماء عند من حصل له الطهر بل هو الذي لم يفارق الماء وإن فارقه الماء معه فلا يحتاج إليه إلا أن يرجع إلى الحدث وكذلك الشريعة([293]).

خيال

ربما أخطر العلم بهذه الرتبة في بال العقل خيالا شبه له بذاته فدنا لها وسقط عنه التكليف فإذا حقق زيادة وجد في تلك الحالة مكلفا والتكليف حيث كان هو من الشريعة([294]).

سلامة

/ما دام للعقل وجود مع المحسوس لا يسقط عنه التكليف الشرعي، ولهذا لا [41/أ] يسقط عنه من حيث هو في النوم وإن سقط من حيث الشارع، وإن سقط عن الميت([295]).

مخادعة

إذا قال العقل قد صح أنه إنما تنال الحياة في الموت بالموت في الحياة، وهذه رتبتي.

فليقال له: إنما حد العقل السماء، فما فوق السماء، فإما أن يعرف أنه قد مات، وإما أنه ممن لم تفتح له أبواب السماء([296]).

تحديد

من لم يملك ملكة الموت عن المحسوس من كل متعقل ظاهرًا وباطنًا لا يقال له مجرد بذاته([297]).

بداية

من أراد ذلك فليبدأ بالموت عن الحظوظ فإنه ما دام حيا بها فأما هاربًا أو عاطب([298]).

صبر

من مات عن حظوظه فصحبها حينا آمنا آنفا كمن أراد أن يركب درياقا من لحوم الأفاعي، فإنه أمن من لسعها ويأنف من مباشرتها([299]).

وصول

الواصل من تساوى عنده رؤية الصندين، وكان واحدًا في الحالين. وهذه العبارة لا تقع عليه من حيث هو بل من حيثنا لنعرفه بها([300]).

نظم

رجاك إن وصفتهم	فبي عن وصفهم لكنه
هم الأحرار حين رأوا	سوى محبوبهم فتنة
متى عرفوا فما عرفوا	وهذا عندهم سنه
معارفهم مع الجنات	عادت عندهم جنة
وعاد الموت بينهم	وبين حبيبهم جنة([301])

[..........]([302])

/[41/أ] قد بشيء لكان مصنوعا من شيء، ولو كان مستقرا في قطر لبان منه قطر، ولو حل في محل لوجد في قرار، ولو عرف له حيث لوجد له أين، ولو فقد في معنى لوجد في معنى، ولو حكاه مثال للزمه محال، هيهات ولأصحاب ولا مقال. السؤال عنه شائع، والخبر عنه ضائع والتفوه باسمه سهل، والتحقيق بذاته وعر، والإصابة متعذرة، والطريق قاصر والمراد صعب، والذكر هين.

تحصيل

ما أعجب الشيء توجده فتحرمه قد كنت أحب لأن قد ملأت يدي([303])

جل

جل سبحانه قبل أن يجل وعز قبل أن يعز، وتقدس قبل أن يقدس وتمجد قبل أن يمجد وتوحد قبل أن يوحد فعند ذلك غنى المادحون وعن مدحهم لجلال وصفة([304]). أن تقع عليه الإشارة بالحسيات([305]).

النفس

ليست بجسم، فهي تدرك ذاتها وما دونها، ولا تدرك الباري تعالى. ولما تفطن بعضهم أنها غير جسم ظن أنها الباري فجعلها رهن الشهوات، فحكم عليها بالحركات السماوات والخواص الأرضيات، وكيف يمتاز بعضها عن بعض في الأزل وهي واحدة في لا محل([306]).

نظم

إليك إشاراتي بنفي الإشارة وعنك عباراتي بنفي العبارة

وكل مقام أو مقال ومشهد إليك وإن أومي فدون الإمارة([307])

أسماء الله الحسنى

﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وإن من الأسماء ما عبر به مجازا عن طريق [42/أ] الاستعارة ليفهم به المقصود بصيغة من العبارة خطابا / للناس على قدر عقولهم، كما عبر باليدين والعين، وغير ذلك، كالمعية والأين. ومن نورت بصيرته وطهرت من رؤية الأغيار سريرته، وصفت مرآته واتحدت ذاته رأى سائر الصفات كذلك، ونزه عما هاهنا ما هنالك([308]).

تحقيق

لما كانت ذاته تعالى لا تمثل ولا تعلم صفاته لوازم ذاته لزم أيضًا أن صفاته لا تمثل ونحن لا نعرف ما نعرف إلا بالأمثال ولا مثل لصفة من صفاته فنحن إذا عارضنا إنما نعارض من صفاتنا، فنظن أننا قد عارضنا صفاته وكذلك أن عرفنا. ولا شك أن لنا قدرة وعلما وسمعا وبصرا

وصفاتا كلها مخلوقة فنظن بمشاركة الاسمية أنا فهمنا أنه سميع بصير عليم قادر، وعلمنا كذلك وليس كذلك إنما علمنا صفاتنا وهو العلي العظيم([309]).

نظم عظيم في بيان هذه المسألة

ما قلته قلت عني فلا أرى القول يغني
هيهات أدرك ذاتا إلى أقرب مني
لما دنا وتعالى أصبحت عنه أكني
بغيره ولهذا أقول لي عنه أني
ولا سواي وهذا حقيقة المتمني
فالصمت أولى ومهما نطقت إياي أعني([310])

فصل ما قبله

يا من تخاطبه حقيقة ذاته من ذاته لكنه لا يعلم
وهو المخاطب ذاته من غيره فهو المكلم عنه والمتكلم
مرآتك الأكوان عنها صادرها تستحق فنير أو مظلم
كن كيف شئت فلا سواك معامل ومعامل ومعلم ومعلم
[42/ب] / أو ما تراك بما تقول محدثا عنا وأنت مكلم ومكلم
وإليك عنك يعود ما أبديته عنا ونحن حقيقة لا نعلم

سر

السر لا يكون أبدًا إلا سرًّا، فلو أمكن علمه لم يكن سرًا، وكذلك الغيب والجنة ونحن إذا عظمنا أمرًا استعرنا له من هذه الأسماء مجازًا([311]).

[.............([312])]

الأبرار يتقون الجهل، والمقربون يتقون العلم([313]).

[.........([314])]

ظلك محجوب بك فكيف يدرك النور الذي يظهره وهو محبوس في ظلمة كونه([315]).

تعريف

أعرفك بالصفات الافتقارية فليس لها محل غيرك فاعرف من أنت عبده بالاقتدار النافد فيك([316]).

رأي

إذا وقف سر العبد مع من لا تظهر عليه الحركة والانتقال لم تظهر منه كرامة أصلا، وصار الأمر باطنًا، ففي باطنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا يذهب الأنس

والوحشة من قلبه([317]).

عبد

إذا كوشف العبد بالأمر فذلك العلم، وإذا ثبت عليه من غير أن يتخيله عقله، فذلك اليقين، وإذا حكم عليه وأثر فيه آثرت النفس التصرف على حكم ذلك الأثر فهو طمأنينة([318]).

ظن

حاجة الكون إلى الله سبحانه ذاتية فلا تعين إليه حاجة، فأي عبد عين حاجة إلى الله تعالى فقضاها له زالت عبوديته وفقره إليه من حيث تلك الحاجة ومن علم بأنه تعالى أعلم بما له فيه الخيرة منه لم يبق له إليه حاجة سواه([319]).

مثال

ليس للشمس في مقابلة شيء من الأجسام كمال بل هي في إشراقها كاملة، ومقابلها له من إشراقها نصيب بحسبه وحسبه إليه لأنه في هذا المثال [43/أ] إنسان([320]). / وهذا مثال كاف ومقال شاق. ومن كان في باطنه التوجه إلى ما هو فوق طور العقل، فلو أفيضت عليه المعقولات كلها جملة واحدة لم تشف له غليلا، بل ذلك كما لا يسكن الجوع بالماء ولا العطش بالخبز([321]).

[..........]([322])

اعلم أن إظهار الفاعلية غير إظهار الفعل وإن دل عليها فاظهر الله تعالى الفعل بإظهار الوجود وأظهر الفاعلية بإظهار فاعل مختار. ونضرب مثلا بالشمس والقمر الذي نوره من نورها([323]).

بيان

نور القمر من نور الشمس والحركتان مختلفتان. وكذلك فاعلية العبد من فاعلية الحق لكن حركته غير حركتها، فهو بحركته التي لو كانت إرادية له كحركة الإنسان لأوجد النور حيث شاء وإن كان من غيره([324]).

تنزيه

دل على وجوده مصنوعاته وتعزز في ذاته الأعلى ذاته فهو منزه عن الكمال الذي يمكن إدراكه الخلق، فلما تقطعت دون إدراك حقيقته الأسباب علم أنه هو بهذا الحجاب([325]).

نظم

عقلت لك العقلاء عنك عقولها	بعثت إليك منك فهي رسولها
وتحققت منها القصور فأصبحت	وقصورها عما تروم دليلها
ومتى رأتك لها رأت فوصولها	عين الحجاب وفي الحجاب وصولها([326])

في الدعاء

الداعي يجب أن يشهد ويسمى داعيا وهذا غير مسماه الحي بالنسبة إلى الأموات والقديم لا اضطرار له إلى عالم المحدثات، فالمسمى ليس فيه شيء من ذلك([327]).

بيان

الصفات عين الذات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي الذات. وهي غير الذات [43/ب] إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي / انقسام الوجود إلى الأقسام

المتعددة([328]).

ولهذا أمثال: أن العشرة قائمة بنفسها، فهي بالنسبة للثلاثين ثلثها، والأربعين ربعها، مع أن العشرة واحدة. فالعز والذل مثلا إنما هو لنا بنسبة شيء إلى شيء إذا المغاير كله للمحدثات فإذا نسب إليه سبحانه أهل العز يسمى معزًّا، أو أهل الذل يسمى مذلا([329]).

وإذ اعتبرنا ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استعير له لفظ الأزلية وإلى الاستقبال استعير له لفظ الأبدية فهو الموصوف بكمالاته، وهو الأحد المتعالي بذاته عن أسمائه وصفاته فافهم كذلك سائر الصفات([330]). واعلم أن الذات النقاصة يكملها الصفات، والذات الكاملة تكمل غيرها بالصفات، فمن حيث هو تعالى مكمل لنا بالصفات صارت عندنا أسماء له. وأما من حيث ذاته سبحانه فهو المتغاير بين ما نسميه له علما وإرادة وقدرة.

فذاته كافية للكل في الكل، وهي بالنسبة إلى المعلومات علم، وإلى المقدورات قدرة، وهي الموصوفة بالأحدية. ولا مغايرة هنالك بل كمال لا يحتاج في شيء إلى شيء، وإطلاق هذه الأسماء عليه إنما هو من حيث الاصطلاح دون المألوف المعروف عندنا المبني عن ذات مبدعها قائما، ولولا قوله لنا عنه تبارك وتعالى لما جاز لنا ذلك بل عز عن قولنا وتعالى. واعلم أنه يمحق العقول دون الوصول إلى إدراك أثر من آثار مبدعها. وكيف لا وعلمه تعالى الأول كان موجودًا قبل الزمان كما هو الآن؟

لكنها تدرك عجزها عن ذل كما يدرك الوهم عجزه عن إدراك حقيقة موجودة لا يكون داخل العالم، ولا خارجا عنه، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه. ولا يمكن أن يعبر عن حقيقة / العالم الأزلي إلا بهذه العبارة.[44/أ]

ولذلك تشوش العقول دون إدراك ذلك، فهذا معتقد قوم اعتقدوا بضع سنين في العلم القديم ما يعتقدوه من الضلال حتى هدوا فضلا من الله تعالى، والله تعال يزيدهم معرفة بعجز

عقولهم([331]). فمن طمع أن يحيط علمه وعقله بحقيقة علم من كان موجودًا قبل الكون وقبل القبل فقد طلب بيض الأنوق، وقد طمع في تناول العيوق([332]). وانخلع بالحقيقة عن غزيرة العقل، والحري أن يعد أمثاله من المجانين.

فعقولنا أعجز عن إدراك العلم الأزلي من النمل بل من الجماد عن إدراك علمنا بدرجات كثيرة ونسبة علمه سبحانه إلى علمنا كنسبة قدرته إلى قدرتنا التي هي بالحقيقة عاجزة عن إبداع شيء فضلا عن إبداع السماوات والأرض من لا شيء([333])، ولما كان العقل يدرك الفرق بين القدرتين لا يدرك الفرق بين العلمين من أول وهلة تاه في الحكم ووقع في هذه الأغلوطة فسبحان من أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فهذه إشارة صريحة إلى علمه بالجزئيات مبينة بأن كل موجود له نسبة ما إلى وجهة سبحانه وتعالى، ولولا تلك البينة لما وجد، فكل شيء يعاينه كان وجهه إليه فافهم.

نظم

يا من تعالى عن الأفكار معنى — لكن أشارت إليه وهي تخشاه
ناجيت فكري فناجاني به فغدا — مطهرا عن سواه فهو مأواه
أنا أمثل في فكري أخاطبه — خلقا وفي الخلق ما خطبت إلا هو([334])

حال

/هامت بحبك أنفس وعقول — وتولهت بك أربع وطلول[44/ب]
وتوجهتك الكائنات فأصبحت — تصبوا إليك بكلها وتميل
فيك الوجود متيم وجميعه — لجميعه عني وعنك يقول
لولا جمالك ما تهتك عاشق — بل كل معشوق عليك دليل([335])

تعليم

الوجود يراد به هاهنا ما سوى الله تعالى. والقبلية والبعدية من حوادث الوجود، فلا يقال: قبل إيجاد قبل ولا بعد حتى يقال لم يوجد قبل فإن القبل والبعد عارضان من عوارض الزمان، كما فوق وتحت من عوارض المكان.

[...............([336])]

وما سوى الله مبدع له وهو من جهة المبدع لا نسبة له إليه وهذا معنى.

[...............([337])]

قال صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان([338])». فأزليته حاضرة مع بدايته وحيث سلطانه، فلا موجود غيره وسبقه للوجود الماضي كسبقه للوجود المستقبل من غير فرق، بل هما كسبقه لما في هذا الطرس ونسبة الأزلية كنسبة العلوم إلى الأمكنة، إذ لا توصف العلوم بأنها قريبة من مكان بعيدة من آخر بل نسبتها واحدة إلى كل مكان ومع ذلك قد خلي عنها كل مكانز، ومن زعم أن كلا واحد، فليس الأمر كذلك إذ لا إبداع إلا لما يكون والمبدع فقير، فالإنسان أبدع له قدرة على الكلام والسكون، وتكون القدرة موجودة مع عدم الكلام إذ كلي ذلك مغدوق بالمشيئة والمشيئة من الإنسان مغدوقة بالغرض، ولما كان ذو الغرض وهو الإنسان فقير إلى غرضه، وقف العقل وانحط عن إدراك مشيئة من فاعل قادر لا عبثا وهو غني إذ ذلك فوق قوة العقل، وليس في قوته أن يدرك / ما ليس [45/أ] في قدرته.

ومن هاهنا تقدم الأنبياء عليهم السلام على العقول.........([339]) العقل هاهنا ويسجد.

مثال

كما أن البصر عاجز عن إدراك كثير من الموجودات كالمسموعات والمشمومات مع قدرته على ما خلق [له] قادر عليه من المبصرات من حيث هوهو فيه. كذلك العقل يعجز عن إدراك كثير من الموجودات مع قدرته على ما خلق قادر على إدراكه من حيث هوهو فلا تغتر فإن العقل مجبول على التحلي.......([340]) كمال من منع التعري عنه فلا يعترف بالعجز بل يخوض فيما يجوز وفيما لا يجوز له الخوض فيه([341]).

[...........([342])]

على ما تقدم العقل عاجز عن إدراك عجزه الحقيقي، وأين هذا من إدراك العلم الأزلي([343]).

زيادة

اعلم أن جميع الموجودات ذرة بالإضافة للعرش بل والذرة بالإضافة إلى العرش شيء ما والموجودات كلها بالإضافة إلى العلم ليست شيء أصلا فما للعميان والسؤال عن حقائق الأكوان([344]).

[.........([345])]

قد علمت أن كلما يدرك العقل بالألفاظ المشار بها إلى الصفات الذاتية فذلك بعيد عن حقائقها وأي بعد، وإنما لولا هذه العبارات لتاه العقل وانقطع لأنه أسر الزمان، وما لم يخلع صورته لا تخرج من ذلك الأسر، فجاءت الأنبياء عليهم السلام بما هو فوق طور العقل فكأن من تبعهم قد خلع

صورته في بعض الأمر وخرج من الأسر ولا يتم له ذلك إلا بالإيمان بالغيب، وهذا هو المراد لأن شجرة المعرفة هي التي أكل منها آدم عليه السلام، وذلك لأنه مال إلى العقل عن الشرع، والذي أغواه بها هواه، أكل منها قبله إذ خالف الأمر بما ظن أنه حق في العقل فافهم جيدًا([346]).

مطلب

واعلم أنه لما كانت المعاني جواهر والألفاظ أصدافها / والحكم معاني [45/ب] والقلوب أصدافها وجب على كل من فتحت اليقظة عين بصيرته وجلت المواعظ عين سريرته أن يتبع من الكلام معانيه ومن الحكم ما يبلغ به أمانيه ولا يقنع من المعدن بدون كنزه ولا من لفظ إلا بفهم رمزه([347]).

موعظة

كما أن السراج يتبدل في كل طرفة عين لأنه قائم بالمادة، وكل ذرة منها غير الأخرى، فكذلك تبدل الوجود، وغير العارف يظن أنه هو، والناظرون بعين العقل يرون للموجودات في ذواتها ترتيبا، ويرون بعضها أقرب من بعض، بل يرون هويته([348]) تعالى مع كل موجود مساوقة له حسب مساوقته للوجود الأول في نظر العلماء من غير فرق وهذا لأن للعلماء جاءوا من خارج ومن أسفل والعارفون من داخل ومن أعلى([349]).

فاجعل العلوم بدرا ثمارها المعارف، فالمعارف من العلوم كالمعاني من الألفاظ، فمتى صارت العبارات إشارات، فهذا باب المقصود.

قد قال عين القضاة رحمه الله: إن كلما كرر مرة أو أكثر علمه غيرك فهو علم، وما لهم يفهم جهة من جهة الألفاظ وهو معرفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لدنية، فمن كان علمه من الكتب والمعلمين فليس هو من ورثة الأنبياء، ومن اختص بغير ذلك فله من الوراثة بحسبه([350]).

وهذا هو الذي لا يحصل إلا بالتقوى، ومن لوازمها الصبر، ولا تهمل أمر [46/أ] العلم والمعلم لكن لا تقتصر عليهما، فليس في قوتها / الإرشاد إلى سبيل الموردة فإذا عرفت فسر ورد، ومن ظن أنه سبيل إلى هذا من غير جهاد فهو ضحكة صارت محامد للشيطان([351]).

نظم

إذا كملت فيك المكاره وانتهت إلى ... أن تراك العين صرت مكابدًا

وإن بلغت منا الصبابة جهدها ... وأدنت إلى روباك صارت فوائدا

وما سفرات أدنت إليك بعيدة ... ولو أفنت الأيام من كان قاصدا

[...........([352])]

اعلم أن الإيمان بالنبوة إيمان بالغيب فإن شبه العقل هذا الغيب بشيء من الحاضر فليس هو هو، فإن حصل كل مثل هذا الإيمان وإلا فاحظر عليك أن تأكل أو تشرب أو تنام حتى تعرفه([353]).

تحذير

أحذر أن تفهم القول بأن الأول سبحانه وتعالى وجوده مساوق لكل مبدع أنه يلزمه أن يكون شيئا مساوقا لوجوده بل هو مع الكل وليس معه شيء بل مساوقته لما لم يوجد كمساوقته للموجود من غير فرق. وهاهنا يكمل العقل عن إدراك أنه مع كل شيء وأنه قبل كل شيء بقبلية لا تتناهى مع كونه يسلم أنه لا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه([354]).

نظم

طيف ألم بقلبي أين مفداكا	ها قد حللت فتلك الروح مأواكا
منى المنا قد حللنا لا براح	سؤلي وسؤلك تهواني وأهواكا
ناطقتني بلسان فاستمعت له	فاللفظ لفظ ومعنى القلب معناكا
أقول لي في مقام القرب ها أنا ذا	فخل غيري ورد واحد رواياكا
إني أحدثني عمن أحدثه	إياي ناجيتني ناجيت إياكا
بيني وبينك ذاتي عنك تخبرني	أني تملكت أملاكا وأفلاكا
فالكل لي وأنا المقصود عن كثب	وأنت اعل عن الأفهام إدراكا([355])

/[46/ب] ومن رآك بعين الكل متحدا فقد توسط أشراكا وإشراكا.

وصية

إذا تجردت عن الصور والجهات ووقعت معه بالذات، وأحضرك حالك لديه، وغيبك عن سواه إليه، فأصبحت مجاب الدعاء، ومكاشفا بغيب الأرض والسماء، مخاطبا بسائر الأسماء، فلا تدع إلا إياك لديه ولا تستدل بغيره عليه([356]).

نظم

كن حاضرا في كل آن دائما	مستحضرا إياك بين يديه
متجردًا على سواه داعيا	إياك عنك وعن سواك إليه([357])

احتجاج

لو جمع بين الواجب والممكن من وجه لجاز عليه العثور والاضمحلال من ذلك الوجه لأن الإحاطة بالمعلوم تقتضي تناهيه، والتناهي على الحق محال، فالإحاطة محال.

ومن علم أمر من وجه ما لا من جميع الوجوه فما أحاط به، ولا يمكن أن ينسب إلى الذوات صفات إلا بعد معرفة الذوات، وحينئذ تعرف كيفية النسب. فلهذا لا يجوز أن يوصف سبحانه بما لا يصف به نفسه كما يقال القديم وإن جاز عقلا([358]). اعلم أن الممكن لا يعلم موجده إلا من حيث هو لا غير، فنفسه علم، وأما من حيث هو معلول فغير ذلك.

ولا يصح أن تكون هذه العلة مداومة لمعلولها؛ لأن العلم بالشيء مؤذن بالإحاطة به والفراغ منه كما تقدم([359]). وهذا في ذلك الجناب محال ولا يصح أن يعلم منه لأنه لا يتبعض فلم يبق العلم إلا بما يكون منه وهو أنت، فأنت العالم والمعلوم هاهنا. فإن قيل: علمنا بليس هو كذا علم به.

قلنا: هي نعوتك جردته عنها فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك حيث ما هي معلومة وما تميزت لك هي، وذلك لعدم الصفات النبوية التي لها [47/أ] في نفسها فافهم ما علمت و﴿**قُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو له لا لك وأنت أنت وله لك.

فأنت مرتبط به، وما هو مرتبط بك، والوجود هو الخير المحض، وقابليته العدم وهو الشيء المحض وله وحده إطلاق الوجود لا لسواه، والضدان لا يجتمعان([360]).

شرح وتعليم

أنت معنى الكون كله، وأول القرب من الكون بعدك من الكون([361]).

[نظم([362])]

أخفيت إذ أظهرت معنى كائنا	ما لم يكن فحظيت في الأغلال
فإذا أردت ظهور ما أخفيته	فاخف الذي أظهرته فتران([363])

موعظة

يا آخر الكل فيك الكل مندرج	وقول الكل كاف إن تكن فطنا
وأنت جزؤك وجزء الوجود كما	تكون عينا إذا ما شئت أو أذنا
فالكل والجزء وما فوقه أبدًا	أضحى بقصدك مغروقا ومرتهنا
إن غبت غاب وإن تحضر تجدك له	ذاتا تراها لما حاولته وطنا
فإن تكن فلكا أو أن تكن ملكا	أو كنت روحا لروح الكل أو بدنا
أخطأت قصدك فالمقصود كونك	إنسانا وعبدا ومفتونا وممتحنا
هذا مقام رسول الله كن أبدًا	به تكن أمنا في الكل مؤتمنا([364])

غيره

متى أغتني عن ذاك التنفس والنفس   ويبدل لي خوفي وأخرج من حبسي
ويطلق هذا الطير من قفص البلا   إلى مطلق في مطلق النور والأنس
فدعني من سعدي وليلي وزينب   فكم وحشة تلقاك في الأنس بالأنس
ودع فلكا يجري ودع ملكا علا   على قمة العليا في عالم القدس
ودع جنة المأوى مع الدرة التي هي   المنتهى في عالم العقل والحس([365])

[نظم]([366])

/[47/ب] حيرهم بهم وهدى إليه   فكل مهتد والكل حائر
رأوه بما رأوه به رأوه   فكل باطن والكل ظاهر
سيرهم بهم عنهم إليه   فكل واقف والكل سائر
وأضرهم وغابوا عن سواه   فكل غائب والكل حاضر
وهذا حدهم والرسم باق   فكل ذاهب والكل ناظر
وإن رفع الزمان فلا حدود   فكل أول والكل آخر([367])

تم بعون الله وحسن توفيقه..

اللهم اجعلنا من العاملين بما فيه والمصدقين بما يحويه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا.

والحمد لله رب العالمين

في 16 شهر جمادى الأولى سنة 1013 من الهجرة النبوية على يد الضعيف من كنهه لنعمة سائلا الله تعالى المغفرة عبد المغني بن محمد العنبوسي الشافعي غفر الله له آمين([368]).

تعليقات بآخر الكتاب
ليست من أقوال المؤلف

يا نظرًا فيه سل الله مرحمة   على المصنف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من خير تزدد به   من بعد ذلك غفرانا لكاتبه

* * *

نقل الشيخ الشعراني في الطبقات عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز، أنه قال: من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، ومن أراد الله تعالى فعليه بالزهد في الآخرة وما دام في القلب شهوة من شهوات الدنيا أو لذة من لذاتها من مأكول أو ملبوس أو منكوح أو ولاية أو رئاسة أو تدقيق في فن من فنون العلم الزائد على الغرض كرواية الحديث بالإجازة، وقراءة القرآن

بالقراءات السبع والنحو اللغة والفصاحة، فليس هذا محب للآخرة، إنما هو راغب في الدنيا وتابع لهواه... انتهى.

وفيه نقل عن سيدي إبراهيم القرشي الدسوقي، إذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة فقد تردع منه في الطريق، وما استغل أحد بدنه إلا قطع به.

ومن كلام سيدنا عدي بن مسافر ما نقله عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته: لا تتبع شيئا إلا إن كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد، وهناك يجمعك في حضوره، ويحفظك في غيبته، ويهديك بأخلاقه، وينور باطنك بإشراقه.

وإن كان اعتقادك فيه ضعيفا لا تشهد فيه شيئا من ذلك بل تنعكس ظلمة باطنك عليك، فتشهد صفاته هي صفاتك، فلا تنتفع، ولو كان أعلى الأولياء درجة.

ومن كلامه وفهمه ما نقل: من لم يأخذ أدبه من المؤدبين أفسد من اتبعه.

ومن كان فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود عليكم شؤمها ولو بعد حين.

ومنها ما نقل عن أبي الحسن أحمد الرفاعي: كل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة.

اللهم لك سجدت، وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله.

رب اغفر لي وارضني وارض عني وارفعني وارزقني واهدني وسامحني.

كتبت كتابي قبل نطقي بخاطري وقلت لقلبي: أنت بالسوق الحكم.

* * *

كلام نفيس

قال الشيخ الشابي قدس الله سره عند البيت الحرام: نزل تحت جدارك وأنت تطلب عند جارك.

* * *

دعوه يداري فقم ما ضحى لو لم يكن عاشقًا، وكل من في فؤاده وجع يطلب شيئا يسكن. ورحمة للمحب قلبك النازح ماذا بنفسه؟ فارق أحباءه وما انتفعوا بالعيش من بعده.

* * *

يقول في نشيد:

وغربته عدل من اللهفرق بيني وبينهم

قدر وهو الذي كان([369]).

****

[1] مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء(23/48)، ديوان الإسلام(1544)، هدية العارفين(2/114)،الأعلام(6/281)، معجم المؤلفين(11/400)، كشف الظنون(14 وغير ذلك كثير)، إيضاح المكنون(1/73 وغير ذلك كثير)، التكملة لوفيات النفلة(2972)، طبقات الأولياء(469)، العقد الثمين(2/160)، نفح الطيب(7/90)، الوافي بالوفيات(4/173)، البداية والنهاية(13/156)، فوات الوفيات(241)، لسان الميزان(5/311)، النجوم الزاهرة(6/339)، لسان الميزان(4/100)، ميزان الاعتدال(3/108)، شذرات الذهب(5/190)، روضات الجنات (192)، فهرس الفهارس (1/233)، وغير ذلك كثير جداً من المراجع والكتب.

وقد أُلف في سيرته الكثير من الكتب الناقدة، والمادحة الذامة والمثنية فمن مطالب بعمل تمثال له تخليداً وتمجيداً له، ومن مهدر لدمه مكفراً له كفراً أشد من كفر أبي جهل لأنه داعية ضلال فاللهم أرحم هؤلاء وهؤلاء، فالكل يريد بذلك وجهك ظاناً أن الحق معه لك.

[2] زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله تعالى له.

[3] سورة الأنبياء (الآية: 35).)

[4] سورة الواقعة (الآية: 7).

[5] سورة السجدة: (الآية: 31).

[6] سورة محمد (الآية: 31).

[7] سورة فاطر (الآية: 45).

[8] سورة التحريم (الآية: 2).

[9] سورة الشورى (الآية: 30).

[10] سورة محمد (الآية: 31).

[11] سورة محمد (الآية: 31).

[12] سورة آل عمران (الآية: 165).

[13] سورة التغائن (الآية: 11).

[14] سورة الرعد (الآية: 11).

[15] سورة الأنعام (الآية: 131).

[16] سورة النساء (الآية: 165).

[17] زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له آمين.

[18] قال ابن منظور في لسان العرب (ص 1995).

مادة خطر: الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. قال ابن سيدة: الخاطر الهاجس، والجمع الخواطر، وقد خطر بباله، وعليه يخطر ويخطر بالضم الأخيرة عن ابن جني خطورة إذا ذكره بعد نسيان. وأخطر الله بباله أمر كذا، وما وجد له ذكر إلا خطره، ويقال: خطر ببالي وعلى بالي كذا وكذا. يخطر خطورًا إذا وقع ذلك في بتلك. ووهمك. وأخطره الله ببالي، وخطر الشيطان بين الإنسان وقلبه: أوصل وساوسه إلى قلبه. وما ألقاه إلا خطرة بخطره: أي في الأحيان بعد الأحيان، وما ذكره إلا خطرة واحدة.

[19] قال ابن منظور في لسان العرب مادة رتب (ص1574):

رتب الشيء يرتب رتوبا، وترتب: ثبت فلم يتحرك يقال: رتب رتوب الكعب، أي انتصب انتصابه ورتبه ترتيبا: أثبته. وفي حديث لقمان بن عاد: رتب رتوب الكعب، أي انتصب كما ينتصب الكعب إذا رميته وصفه بالشهامة وحدة النفس.

ومنه حديث ابن الزبير رضي الله عنه: كان يصلي في المسجد الحرام وأحجار المنجنيق تمر على أذنه وما يلتفت كأنه كعب راتب وعيش راتب: ثابت دائم. وأمر راتب: أي دار ثابت. قال ابن جني: يقال ما زلت على هذا راتبا وراتما أي مقيما.

قال: فالظاهر من أمر هذه الميم أن تكون بدلا من الباء، لأنه لم يسمع في هذا الموضع رتم، مثل رتب. قال: وتحتمل الميم عندي في هذا أن تكون أصلا غير بدل من الرتيمة. والترتيب والترتيب كله: الشيء المقيم الثابت. والترتيب: الأمر الثابت.

[20] قال ابن منظور في لسان العرب مادة عقب (ص 3022).

عقب كل شيء، وعقبه، وعاقبته، وعاقبة، وعقبته، وعقباه.

وعقبانة: آخره.

... والجمع: العواقب والعقب.

[21] أي ما ينتج عن الفعل من رد فعل له كقولهم لكل فعل رد فعل، أي يعقب الفعل، أو ما يثاب أو يعاقب عليه من الفعل بعد إتمامه أو ارتكابه.

[22] ينصح المؤلف هنا القارئ بأن يثبت تلك الخواطر التي ترد على ذهنه فور ورودها، بأن يدونها في كراس أو شيء من ذلك الذي يدون به حديثا كالمسجلات (الحواكي) أو الحاسوب (الكمبيوتر) حتى لا تطير تلك الفكرة أو الخاطرة وتتبخر من ذهنه كما وصفها بالريح فهي كما ترد بسهولة وفي لحظة كذلك تتسرب من الذهن في نفس السرعة إن لم تقيد فيما يقيدها ليستفاد بها فيما بعد.

[23] قال ابن منظور في لسان العرب في الشهوة والنفرة (ص 354) مادة شها:

شهي الشيء، وشهاه يشهاه شهوة.

واشتهاه وتشهاه: أحبه ورغب فيه.

وقال في ص 4497 في مادة نفر:

النفر: التفرق، يقال: لقيته قبل كل صيح ونفر، أي أولا، والصيح، الصياح، والنفر التفرق.

قلت: والنفور عكس الحب هو الكره والبغض والترك وعدم الاشتهاء للشيء.

[24] أي من الخواطر.

[25] هذا تقسيم قسمه المؤلف للخواطر لم يسبق إليه.

[26] أي أربطة.

[27] قال ابن منظور في لسان العرب (4077 وما بعدها) في مادة (المم): الجمع الكثير الشديد... والإلمام واللمم: مقاربة الذنب. وقيل: اللمم ما دون الكبائر من الذنوب.

... وقيل:... غير أن اللمم أن ما الكبائر من الذنوب.

... وقيل:... غير أن اللمم أن يكون الإنسان قد ألم بالمعصية ولم يصر عليها، وإنما الإلمام في اللغة يوجب أنك تأتي في الوقت ولا تقيم على الشيء فهذا معني اللمم. والإلمام النزول، وقد ألم به أي نزل به. قال ابن سيدة: لم به وألم به والتم نزل وألم به: زاره غبا. قال الليث: الإلمام الزيارة غبا.

[28] سورة النجم (الآية: 33).
[29] يريد المؤلف أن يفرق لنا بين الخاطر واللمم بأن الخاطر هو اللمحة الوامضة التي تمر بذهنك دون وقوف أمامها أو معها أو تفكر فيها أو تدبر لها كمرور سيارة من أمامك لا تهتم بنوعها أو سرعتها أو رقمها أو عدد ركابها أو مقصدها أو جودة محركها أو ضعفه إلى آخر ذلك فإن تأملتها وفكرت فيما ذكرت من شأنها فتنتقل من الخاطر إلى ألم فهذا هو ما أراد إيضاحه المؤلف ليفرق لنا به بين الخاطر واللمم.
[30] سورة الأعراف (الآية: 202)، وقال ابن منظور في مادة (غوي) في لسان العرب (3320)، الغي: الضلال والخيبة، غوي بفتح الغين غيا وغوي غواية: ضل، ورجل غاو وغو وغوي وغيان: ضال، وأغواه هو.
[31] أي عبدًا أو أسيرًا للشيطان أو لشهواته.
[32] سورة سبأ (الآية: 41).
[33] أي الاحتماء والاحتراز.
[34] المشرف على الموت أو الهلكة.
[35] اعتبر المؤلف أن الإهمال في مراقبة خواطره وسرعة طرحها خصوصا ما كان منها لا ينفع في الآخرة جهادًا كبيرًا هاما وأعطى علامات تبين للمرء هل هو على طريق الصواب، في متابعة ومراقبة نفسه أو خواطره أم لا وجعل المعيار أو العلامة هو ثقل الطاعة واحتقار المعصية، عندها على الإنسان أن يقف ويحاسب نفسه بالسبل الثلاثة التي رسمها واستحسنها للعلاج.
[36] يؤيد رأيه في الخصلة الأولى من اغتنام خاطرة الخير برقت أو مرت بالذهن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ والعجلة في فعل الخير مطلوبة دائما والتسويف فيه مذموم. ويؤيد رأيه في الخصلة الثانية قوله تعالى: ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، وقوله: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وغير ذلك كثير في كتابه الكريم. ويؤيد رأيه في الخصلة الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾. فقد أصاب المؤلف أيما أصابه ووفق أيما توفيق في اختيار هذه الخصال الثلاث وليس يحتم أن يكونوا ثلاثة وليس يحتم أن يلتزم بها من يريد المراقبة لخواطره بل له أن يزيد فيها وأن ينقص وأن يحذف منها ويضيف حتى يصل إلى مراده من الحصول على العبادة سهلة نقية.
[37] يريد المؤلف أن يفرق للقارئ بين الخاطر وحديث النفس والعبادة فهو يريد أن يؤكد له أن الخاطر يمر مرور البرق ويلمع لمعانه ويومض ومضاته، وحديث النفس هو حوار يدور بين الإنسان ونفسه يقلبه على كل وجه حتى يستقر فيه على رأي معين يرى أنه الصواب وأن العبادة لا يصلح فيها حديث النفس إذ لابد لها من تفكر وحركة بدنية كالذكر يكون فيه تفكر القلب وحركة البدن منه هو اللسان فحركته بما يدور في النفس هو التعبد، والصلاة هو تفكر في القلب وحركة البدن فيها هي القيام والركوع، والسجود واللسان، والزكاة تفكر في القلب بموعد وجوبها وحركة البدن فيها باليد والحج تفكر في القلب وحركة البدن فيه هي الانتقال من مكانه إلى موضع أداء المناسك، والصيام هو تفكر في القلب وحركة البدن فيه هي الامتناع عن تناول ما يقويه ويشتهيه

والتوحيد هو تفكر في القلب، ثم نطق باللسان وهكذا سائر أنواع البر والطاعات تحتاج أولا إلى تفكر ثم حركة بالبدن تؤدي مرادها وهي ما تسمى بالعبادة ولا يصلح فيها الفكر أو الخاطر.

[38] يريد صار هذا الخاطر بعد ربطه أي توقيفه بالتفكر فيه وتقليبه على وجوهه راتبا يعني دخل في رتبة أي درجة الثواب أو العقاب فإن كان الخاطر خيرا حدد القلب بعد ربطه بالفكر أنه خير وله ثواب من الله تعالى وإن حدد القلب بعد ربطه بالفكر أنه شر فعليه عقاب من الله تعالى.

[39] سورة الأنعام (الآية: 153).

[40] أي تصير تلك صفته التي ينصف بها من غلبة الخير أو الشر ويقال هذه طبيعة فلان أي صفته الغالبة الدائمة إما الخير وإما الشر ويقولون أيضًا: الطبع يغلب التطبع، والطبع في اللغة على ما في لسان العرب لابن منظور في مادة طبع (2634)، قال:

الطبع والطبيعة: الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان.... وقال الأزهري: ويجمع طبع الإنسان طباعا وهو ما طبع عليه من طباع الإنسان في مأكله ومشربه، وسهولة أخلاقه وحزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته وبخله وسخائه.

وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعا، وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم يطبعهم طبعا: خلقهم وهي طبيعته التي طبع عليها وطبعها والتي طبع. والطباع: ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزاولها من الخير والشر. والطبع: ابتداء صنعة الشيء، تقول طبعت اللبن طبعا، وطبع الدرهم والسيف وغيرهما يطبعه طبعا، صاغه...

والطبع: الختم وهو التأثير في الطين ونحوه.

[41] سورة المطففين (الآية: 14).

[42] سورة النساء (الآية: 155).

[43] انظر معي أخي القارئ وتأمل هذا هو قول ابن عربي في الخاطر وكيفية اغتنامه ونصحه للمسلمين وحرصه على أن يكون كل وقت وحركة الإنسان نافعة له في الآخرة سائلا في آخر نصيحته لنفسه أن لا يخالف قوله عمله في كل وقت وحال فأين المتقولين عليه بأنه داعية إلى الكفر والإلحاد من هذه الأقوال فربما دس عليه ما ليس من قوله كيدا ونكاية وحقدًا وحسدًا فاللهم ارحمه وارحمنا واعف عن زلله زللنا.

[44] يحثك المؤلف على اغتنام الأفكار الخيرة وعدم إهمالها وإعمال الفكر فيما فيه نفع لك ولغير في دار السعادة وإنما سميت الأشياء بخصائصها وإنما سمي العقل لعقله الأفكار والخواطر والقلب لتقليبه الأمور وتقلبه إلى وجوه الخير والشر.

[45] المؤلف يتعجب مما يطلب العلو والرفعة والمكانة العالية بغير الهمة والعزم والجهد والصبر والمثابرة والتعب والمكايدة فمن أراد أن يعرف دقائق المعارف ولطائفها وجب عليه البحث والسؤال وأعمال الفطر وصيد الخاطر وشغل البال فيما لم يعرفه ويريد أن يصل إليه ولكن إن قبع مكانه واكتفي بما توصل إليه غيره فهو خمول كسول لا يستحق ما يرجوه من الأماني فإن أمانيه زائفة فهو وليس إلا أنه رأي إنسانًا رفيعا فتمنى أن يكون مكانه حسدًا عليه ودون جهد منه، فهو إن تحرك وصل وقد قالوا: الحركة بركة، ومن أراد العلا سهر الليالي، فمن تمني وهو قابع فهو: **﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾**. ومن اعتمد على ما اعتاد عليه الناس فإنما هو عنصر خامل يتحرك بحركة غيره فلا هو يؤثر ولا يتأثر إنما توجهه حركة من حوله بلا إرادة منه ولا اختيار وهو من يقولون له: إمعة، إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء وألقي التبعة

على غيره ونسب النجاح إلى نفسه والفشل إلى الجماعة، ولكن على المرء أن يوطن نفسه وأن يوجد لنفسه فكر وتأمل ونظر فيما حوله حتى يشعر بحسن عبادته وحسن عمله ويسعد بنتيجة جهده. ثم كيف يصل إلى جديد العلوم والمعارف من قبع على ما سلف من علوم دون أعمال الفكر في البحث عن المجهول وعن ما وراء الظواهر حتى يعرف البواطن ولا يكون ذلك إلا بالخروج من سجن الأفكار الجاهزة والمعلومات المنقولة دون تغيير أو نظر فيها أو اعتبار.

[46] يريد أن إعمال الفكر يعطي أسباب المسببات أن لكل حركة محرك فكلما وصلت إلى محركها وجدت أن وراءها محرك آخر لها وهكذا فأنت لا تعرف الأول إلا بالثاني والثاني إلا بالثالث والثالث إلا بالرابع وهكذا فاعمل فكرك تسعد في الدارين وتستريح وتريح غيرك وتسعد بنجاحك في الدنيا وفلاحك في الآخرة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[47] سورة البقرة (الآية: 144)، مراده أن إعمال القلب في الأمور الظاهرة يوصله إلى الأمور الباطنة ويخرج به من عالم المادة الفانية إلى عالم الروحانية الباقية الراقية النافعة في الآخرة.

[48] يريد إشغال القلب بما هو مهم حتى يفوز بالمراد وترك كل ما لا فائدة من أعماله وانشغاله به حيث لا ثمرة له سوى الأذى والأسى أما إعماله فيما هو له مخلوق فهو الذي عليه المدار وإليه المقصد ومنه وفيه الرجاء.

[49] سورة الحجر: (الآية: 88).

[50] يريد أن يضع بين يديك وسائل مساعدة تعينك على التفكر والتأمل لتخرجك من حالة الخمول التي قد تمر بك أو أنت فيها ولكي تصل إلى درجة التفكر والتأمل واصطياد الخاطر ومن هذه الوسائل المساعدة على ذلك هو التحلي بالصبر، فهو يريد أن يضيف إلى صفات المرء الحسنة صفة جميلة طيبة ألا وهي الصبر ويقول صبرك سرك أي سر نجاحك وفوزك إنما هو أن تتحلي بالصبر فالصبر هو السر الكامن وراء كل فوز وفلاح.

وكذا الشاعر يبين أن حياة الإنسان إذا تجملت وتزينت وتخلقت بالصبر استوت عندها الأمور واستقرت عندها النفس واستقامت لها الحياة حيث أن الإنسان المتخلق بالصبر إنما هو إنسان شديد الإيمان بالقدر حسن التسليم لأمر تعالى فهو لا يضجر لا نزل به من البلاء ولا يفرح فرح زائد لما ناله من السرور حيث يعلم أن كل من عند الله تعالى وهو كله بقدر وبكتاب مسطور سبق في علم الله وهو لابد كائن وصائر إلى منتهاه فإن رض أجر وإن ضجر حرم ويظل المرء يتخلق بخلق الصبر حتى يصير البلاء يساوي عنده النعمة لقوله ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ ويصير القرب عنده يساوي البعد والبعد يساوي القرب والخير يساوي البلاء والبلاء يساوي الخير لأنه يعلم أنه في كلا الحالين مأجور صبرًا أو شكرًا، وقد قال قائلهم:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري	وأصبر حتى يحكم الله في أمري
وأصبر حتى يعلم الصبر أني	صابر على شيء أمر من الصبر

غير أني لا أوافق المؤلف موافقة تامة في قوله: وفي المرء خلق والديه، نعم قد يتصف المرء بخلق والديه، أو أحد والديه، ولكن هذه ليست قاعدة ولكن كثيرًا ما نرى من لا تمت أخلاقه إلى والديه ولا إلى أحدهما بشيء على الإطلاق، ولهذا نراهم يرددون مقولة مشهورة يقولون فيها:

يخرج من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم، فسبحان من اقتضت حكمته أن يجعل سيدنا إبراهيم عليه السلام من رجل ضليع في الشرك، وجعل من نوع ولد ضليع في الكفر والعناد.

وقد نجد ولد يشبه أحد والديه من ناحية الصورة والحركة تماما وهو على العكس تماما من أخلاقه فسبحان من يغير ولا يتغير، وقد لا يتصف بأي صفة من صورة والديه أو أحدهما الشكلية وهو على خلق أحدهما تماما صلاحا أو طلاحا.

[51] المقياس والمعيار والميزان الذي تريد أن تعرف به مقدار نفسك وحقيقتها هم ما يجول ويدور في قلبك، فإن كان قلبك متجه نحو الخير والصلاح والهدى والرشاد فاعلم أنك على الهدي، وإن كان على عكس ذلك فكذلك ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وأنت إن أردت أن تصلح من شأنك فاجعل على قلبك رقيب وحاسب نفسك أولا بأول ووطن نفسك على التفكر في الخير، وتصيد خواطره كلما مرت بك وحولها إلى شيء عملي حتى تفوز وتنتصر على منازعة الشيطان لقلبك.

[52] سورة الشعراء (الآية: 224-226)، والقول هنا هو تنبيه وتحذير من المدح الزائف والتزلف والتقرب والإطراء بغير الحق فمهما قال لك الناس ومدحوك بما تعلم من نفسك أنه ليس بحق فلا تغتر به فإنما الرجولة والفحولة أن تكون على الحق بالقول والعمل ولا تكن كمن قال الله فيهم ﴿ يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

[53] سورة المؤمنون (الآية: 96)، فصلت (34).

[54] هذه نصائح كالدرر وأغلى من كل ثمن وقول يحتاج في كثير منه إلى توضيح أو تفسير أو شرح فهو يضرب لك مثال يقرب إليك بعض معان لا تقدر فيها أن تملك تصرف وترى فيها ما ليس بحقيقة وتسير بغير قول وتفعل بغير فعل فهو كالكذب وليس بكذب وكالحقيقة وليس بحقيقة وهو يريد بكل ذلك نومك وما ترى فيه من الرؤى أو المنامات، فهو يريد أن يقول لك حتى وأنت في الحياة تعيش الانعدام وعدم القدرة على السيطرة على نفسك فعليك أن تفوق من عقلتك لأن الله ما ركب فيك ذلك إلا ليعظك بكل الطرق في اليقظة: بالرسل والكتب والكون المفتوح وما أبدع فيه مما يوجب الإيمان به والتوجه إليه، وفي النوم: بالرؤى والمنامات وكيف هي تحدث وأن من أحدثها قادر على بعثك ومجازاتك على أعمالك خيرا أو غيره.

ثم أخذ يعدد لك عيوب المحبوبات التي ترغب فيها النفس البشرية فبين عيب الجماعات أنها تحدث الكدرة، وأن كثرة المال تحدث الانشغال، وليس في مجالسة الأشرار إلا الشر وانطفاء نور الإيمان وكدر النفس.

ثم بين لك حقيقة الدنيا بأنها ليس فيها فراغ ولا متسع له فإن انصرفت عن الناس انصرفوا إليك وإن خالطهم آذوك فكيف العمل فهو يرى أو ينصحك بأن تخالطهم ببدنك وتفرغ منهم قلبك وعقلك فتكون معهم وليست معهم.

وينصحك بأن تعيش مع شواغل الدنيا بطريقة التسليم للقدر واغتنام هذه الشواغل بأن لا تقاومها مقاومة الهارب بل معاملة الراغب المسلم بأنها لابد كائنة وأنها لابد أن تمر بما هو مرسوم لها أن تمر به فتغنم الصبر أو الشكر أو منزلة الرضا بالقدر خيره وشره.

وينصحك بأن لا تفتر ولا تمل من حالة الوحدة التي أنت فيها فإنها لن تطول فإن أمد الدنيا قصير والشر ساعة والخير إلى قيامة الساعة وبعد الساعة.

وكذا لا تقف مع مألوف أي لا تقلد تقليد العوام فهم في غالبهم كالدواب أو كالسوائم ما داموا يألفون المطعم والمرقد ولا يتدبرون الأمور ولا ينظرون إلى ما وراء المرئيات، فأصحاب الهمم العالية يبحثون عن ما وراء هذه المرئيات ليعرفوا فإن عرفوا صبروا وعملوا للبلوغ إلى تلك المرادات الربانية من خلق الخلق ليفوزا بجنات عرضها السماوات والأرض.

وينصح بأن لا تستهين بمعروف ولا تحتقروه مهما صغر في نظرك أو تقديرك فقدره عند الله تعالى كبير لا يعرف قدره غيره.
وينصح بأن لا تشي بمن وشى بك فإن الوشاية ليست من خلق الكرام، فلا تنزلن منازلهم فتكون مثلهم ودعهم وأخلاقهم، وكن مع الكرام النبلاء الفضلاء.
وهو ينصح بأن تتخذ كل الناس أعداء لك لا بمعنى العداوة التي تعارفنا عليها بل يريد أن من لم يعنك على الطاعة فإنما هو يقتل وقتك التي تستفيد به لآخرتك فهو من هنا عدوك لأنهم يقولون: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ويقولون: الوقت من ذهب إن لم تستغله ذهب، وأنت مع هذا لا بد لك من أن تتعامل معهم فتعامل معهم بما لا يضرهم ولا يجعلهم يضروك بجهلهم أو لهوهم أو إشغالهم وعلائقهم، وقالوا: خالط الناس دينك لا تكلمنه – أي خالطهم ولا تجرح دينك وقالوا: دارهم ما دمت في دارهم، دار الدنيا التي أنت وهو فيها فلا تجعلهم يشعرون بأنك تكدر عليهم دنياهم أو صفوهم وكذا لا تعطيهم الفرصة لأن يكدروا عليك صفوك أو يقطعوا عليك خلوتك وأنت معهم.
ثم ينصح بأن تستغن عنهم وأن تعتمد في كل أمورك على الله تعالى وإذا سألت فاسأل الله وإن استعنت فاستعن بالله فهذه من أهم ما ينجيك منهم. ثم يختم نصحه بأن حذرك من أن تقيدك عوالق الدنيا المألوفة التي هي المال أو الآل أو الأحوال أو القال فإنك إن قيدتك تلك القيود التي قيدت الناس فلن تصل إلى مرادك لأنك لا تصل إلى مرادك إلا بإفكاك من تلك القيود والتجرد للحق والإقبال على الجد، والله الموفق والهادي إلى الصواب فنعم النصيحة ننصح بها.
[55] سورة الزمر: (الآية: 3).
[56] سورة فصلت: (الآية: 37).
[57] هذا حديث ضعيف في إسناده ثوير بين فإنه متفق على ضعفه، وأطراف الحديث ونحوه عند: مسلم (الإيمان 311)، الترمذي (553، 556، 3327، 333)، أحمد (2/537)، الحاكم (2/509)، البغوي في شرح السنة (15/323)، ابن أبي شيبة في المصنف (13/117)، الكنز (39292)، أبي نعيم في الحليــة (5/87)، جمع الجوامع (6166)، الطبراني في الصغير (2194)، وقال محقق الجوامع في هامشه: والحديث في الصغير برقم (2194) ورمز له بالضعف وفيه لبابة بن سوار وهو لا يحتج به، وفيه ثوير بن أبي فاختة قال الذهبي: واه وفي الصغير: ونعمه بفتح النون وكسرها بدل ونعيمه. أ.هـ.
وبغض النظر عن الحديث وما بولغ فيه من نعيم أهل الجنة فإن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ونؤمن بأن فيها ما وصف الله تعالى في غير مبالغة وأن النار فيها ما وصف الله تعالى بغير مبالغة، فالله أعلم بحقائقهما تفصيلا أما إيماننا بهما فعلي الإجمال.
وأما قول المؤلف هنا فهو يحذر من اتخاذ هوى الإنسان إله ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وينبه أن من أراد الله تعالى وسعى إلى رضاه لا بد له أن يقطع علائقه بالدنيا لا أن يترك ما أحل الله له فيها ولكن لا يشغل باله بما لا ينفعه في الآخرة وليسعى إلى رزقه وهو يؤمن أنه واصل إليه ومحتوم ومقسوم فهو له طالب كما أنه للرزق طالب فالساعي يطلب الرزق والرزق يطلب الساعي حتى يلتقيا فيما قدر الله تعالى لهما اللقاء فيه من بيع أو شراء أو عمل من أي نوع كان.
ويحذر أن نتصور الله تعالى في صورة من صور المخلوقات أو الموجودات كما فعل السفهاء من العباد بأن اتخذوا أصناما أو دوابا أو شمسا أو قمرًا أو كوكبا ما.

ونبه أن عبادة الله تقتض التجرد التام والتوحيد الخالص، وحذر من الكبر والفخر والاعتزاز بالنفس أو الذات فكل ذلك إلى زوال وانكسار ولتصلح العبادة فلا بد من التعبد والتذلل والتضرع والخشوع والخضوع له سبحانه.
وحذر من الزخرفة الظاهرة التي تقود المرء إلى الاغترار والظن بأن هذا الظاهر المبهر قد يؤدي إلى الفوز في الآخرة بالمنزلة العالية الرفيعة فأوصى باتباع ما شرع الله ونهي عن التقليد أو التقييد فليس هناك اعرف بالله من رسول الله الذين علمهم الله بمن هو وماذا يريد من عباده فالفلاح في اتباعهم، والسير على منوالهم.
[58] في تعليقه على الحديث ربط بين ما هو كائن وسيكون وأن الأمر بقدر موزون ومن العابد والمعبود فالعابد لا يرضي بأقل من ذلك حيث أنه قد رسم ذلك في الحياة الدنيا ليصير إليه في الآخرة وصاحب الدنيا والآخرة لا يضيع أمله ولا يغير عليه حاله فهو هنا كان يتمنى تلك السعادة في الآخرة فرسم لها صورة في نفسه صيره الله إليها، بأكمل منها وكان ينظر إلى إرضاء الله تعالى في عمله فجعله الله تعالى ينظر إليه في الآخرة إكراما منه وتفضلا وإسعادًا له وتكريما، وزلفى له وتعظيما فلا العبد يرضي بأقل من ذلك ولا الله تعالى يظلم الناس شيئا، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40]، ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].وكذا قول الشاعر يؤيد قوله في أن كل أمر مهما كان في ظاهر تكليف من الله للعبد إلا أن حقيقته هو تكريم للعبد ورفعا لدرجاته حيث يجد أن ثواب ذلك عائد على العبد فكل بلاء عاقبته ثواب عظيم عند الخروج منه بفلاح ونجاح، وكل كسب كسبه من الحسنات في هذه الحياة الدنيا يرجع ثوابه عليه في الآخرة فهو العامل والعمل له ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾.
[59] يريد أن يقول أن الحياة الدنيا التي نحياها إنما هي كالحلم، وأن نعم الله تعالى ونقمه ليست على حقيقتها ولا هي انتقام من الله تعالى لعبده بل هي جواذب أي أشياء سببها الله تعالى لتجذب العبد إلى طاعة الله والقرب إليه والتوجه إليه في الدعاء والرجاء في أن يدفع النقم يد بم النعم.
واعتبر أن هذه البلايا وتلك النعم إنما هي ألسن تنادي العبد إلى الله تعالى وتذكره به وتحضه على التقرب إليه وتجذبه عن دواعي الشر والشيطان ومهلكات الإنسان ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 2، 3].
وهذا الشاعر يردد ما يريده المؤلف فهو يتلذذ بالبلوى إذ هي من محبوبه ومعبوده لأنها تقربه إليه وتجعله دائما بين يديه واعتبر أن السراء والضراء كلاهما يجذبه إلى الله وقوده إليه حتى لا تتخطفه الشياطين في مسالك الهوى والردى.
[60] يريد أن يبين بالمثال الماضي من رؤيا الرائي لسقوط ولده من عل أنه برؤياه هذه لم يكن سببا في سقوطه في الواقع وإنما هو مجرد علم سابق كما تقول أن هذا الغلام سينجح في الامتحان لسابق علمك بقدرته على تحصيل الدروس وحسن استيعابه لها فيتحقق أن ينجح فليس لقولك تأثير في نتيجته ولم تساعده في الإجابة إنما هو مجرد علم بالحقيقة، فكذلك يريد أن يقول أن علم الله المسبق بالأشياء ليس له تأثير على سلوك العبد وأنه ليس مسير بل مجرد علم الله تعالى بحقائق الأشياء وحقيقتها لأنه سبحانه هو خالق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

وهو يريد أن يقول اعمل على طاعة الله وإياك أن تميل إلى القائلين بأن الإنسان مسير في عبادته وفجوره بل هو مخير في ذلك تماما وأن الله تعالى يعلم مسبقا ما سيؤل إليه أمره وأن هذا العلم لا تأثير له على سلوكه.

[61] أراد أن يضع لك ميزانا تزن به الأمور في حالة اشتباهها عليك من حيث الحل والحرمة والثواب والعقاب والحسن والقبح فجعل ذلك الميزان هو الموت فجعله نصب عينيك عندما تقوم بأي عمل حتى تستطيع أن تسلك في دروب الحياة وأنت في أمان إذا ما حل بك ما دمت دائما ذاكرًا له وجعلته ميزانك في الأمور فهل هذا الأمر ينفع عند وقوعه أم يضر فساعتها ستفعل ما ينفع فتنجو، وهذا تقدير منه لا إلزام ونصيحة لا فرض بل هو رأيه.

[62] هذا نحو القول السابق فهو يعاتب من يزعم أنه يسير وفق ما شرع الله ورسم له الأنبياء وأنه على طريق ونهج الصالحين يسير، وواقع الأمر أنه يسير وفق هواه وما تمليه عليه رغباته وشهواته وينصحه بأن الدواء الشافي له من تلك الأمراض التي هو واقع فيها إنما هو تذكر الموت وجعله واقع به ومعاينا له، فساعتها سيشعر بأن الدنيا ما هي إلا كالخيال أو كالحلم وأن الحقيقة الوحيدة فيها هي الموت الذي يجري على كل ما فيها ويقوده إلى رب هذه الكائنات، وساعتها سيعمل بما ينفعه هناك عنده سبحانه عندما يقف بين يديه ليجزيه بالإحسان إحسانا ورحمة وغفران وبالضد الضد.. نسأله سبحانه أن يجعلنا من أهل الفضل والإحسان والمغفرة والرضوان.

[63] سورة الأنعام: (الآية: 41)، والمؤلف يبحث لك عن كل السبل الموصلة لك إلى الله تعالى ويزيح من طريقك العوائق ويمهد لك وسائل القرب من الله تعالى فهو ينظر إليك ويجد أن حالك لا تؤهلك لسلوك هذه الطريق وأنت معلق بعلائق كثيرة كان يكون قلبك قد ضعف يقينه أو أيس من التوبة أو تعلق بالدنيا تعلقا شديدا أو أنه ألف المعصية وران عليه من سوادها ما ران أو ألف محبوبه إلفا ملك عليه، كل سكناته وحركاته ونبضاته مما جعله لا يفكر في سواه ولا يعشق غيره ولا يريد أن يزاحمه فيه شيء.

وفي هذه الحالة نصح بالعلاج المجرب ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، ودعاء نوح عليه السلام ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [سورة القمر: 10:12]، وزكريا عليه السلام: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: 2: 7].

وأيوب عليه السلام: ﴿رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [83، 84 الأنبياء]، وغير ذلك كثير مما ذخر به القرآن الكريم الشرط الوحيد لاستجابة الدعاء هو الإخلاص مع الاضطرار، فعندما يكون الإنسان مضطرا ولا يجد بابا سوى بابه وتنقطع به الأسباب فهو يتوجه بفطرته إلى مسبب الأسباب ورب الأسباب وهناك يدعوه بكل إخلاص فالاضطرار يجعلك تلح في الطلب وهو القائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فالناس عادة تدعو في أوقات تقليدية كأن يدعوا بعد الأذنان وبعد الإقامة وعند الصباح وعند المساء فكل هذا أمر حسن ولكنه يصير عادة وغالبا ما يخلو من الإلحاح ولكن إذا اضطر دعا بإلحاح وحرقة وتضرع بإخلاص ولهفة وطلب ما يريد الخلاص منه والطلب له ولا يضيف إليه غيره ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [الروم: 32]، أما ما اعتاده الناس فأنهم يدعون عقب خطبة الجمعة مثلا بعشرات المسائل، لماذا لأنهم في حالة عادية ليسوا مضطرين ويطلبون بغير قلوب ولا يهمهم أن يجيب أولا يجيب فالأمور على ما يرام أما من شغله الأمر ألح في طلبه لم يلتفت إلى سواه فيجد الله سريع الاستجابة لدعائه.

وأضيف إلى ما أنصح به من نصيحة هنا أن لا تتقيد باللغة العربية الفصحى بل ادع بما يرد على لسانك من لهجتك أو لغتك فإنها أسرع ما تعبر به عن مرادك من الله وإياك والسجع والتنميق ولكن كن مخلصا ملحا راجيا آملا موقنا أنه يسمعك وحتما سيجيبك وسيجيبك إن شاء الله تعالى.

[64] سورة طه (الآية: 50)، والمؤلف يدعوك لأن توحد الله تعالى توحيدًا خالصاً وأن لا تصفه إلا بما وصف به من كونه أحد فرد صمد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿ولا تدركه الأبصار﴾، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، إلى آخر ذلك من الصفات التي وصف بها سبحانه وتعالى نفسه ونزه بها نفسه عن سائر الموجودات والمخلوقات والمشبوهات والأمثال، لا إله إلا الله يفني الكل ويبقي الله الباقي المنادي يوم لا شيء: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ المجيب حين لا مجيب ﴿للهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

[65] بمثل الفكرة بالعبد ليقرب المعني بالعبد إن أنت أهملته ولم تعلمه ولم تدربه ولم تعوده على العمل والدأب والحركة، أخذ الخمول والكسل والفتور استمراء الراحة واعتاد البلادة فإن أنت طلبت منه الحركة والنشاط والعمل تمرد عليك وعصى أمرك حيث لم يعتد ذلك منك وساعتها لا تلومن إلا نفسك، وكذلك الفكرة في العقل إنك إن تركن عقلك بغير أعمال في الكون والكونيات والساكنات والمتحركات خمل عن العمل وأصابته البلادة وقلت خبرته وضعفت دربته وقل ذكاءه واستيعابه للأشياء، وأنا دوما أادي بكلمة كثيرا ما أرددها: إخواني استعملوا عقولكم قبل أيديكم.

وأنا أرى أيضًا أن ترك العقول والسعي وراء التقليد والتقيد بما هو مألوف يجعل العقول تصدأ كما يصدأ الحديد وتقل فائدتها إن لم تتوقف تماما عن الحركة والدوران والتجديد والنشاط والحيوية.

ودائمًا أنصح إخواني بهذه المقولة: اجعلوا الهموم هما واحدًا. فإن تجزئة المشكلة يساعد على حلها بسهولة ويشعرك الجزء بصغره إذا انفرد عن الكل أما إذا نظرت إلى الكل فربما أيست من الحل، وقد جربت ذلك في حياتي كثيرا فسهل علي حل كثيراً من المشاكل والهموم بسهولة ويسر. ثم أنه جعل للعقل وللفكر بعد تدريبه وتعويده على العمل على مرحلتين: فالمرحلة الأولى هي التعرف على النفس معرفة عيوبها الخاصة به هو وجعل النفس شيء والبدن شيء آخر ومثل النفس بالناس أو العباد، ومثل البدن بالبلاد أو الأوطان فمن أحسن قيادة نفسه وتحكم في تصرفاتها سهل عليه أن يقود العباد إلى طريق الخير أو طريق الأنبياء الهادين المهديين وإن فشل في قيادة نفسه فهو بالأحرى أفشل في قيادة غيره.

وإن استطاع التحكم في بدنه وعوده على الطاعة والعبادة والسعي في صنائع المعروف واجهد فيما يرضي الله تعالى وإطاعة بدنه في ذلك فهو قادر على أن يقود البلاد إلى طريق الهدى والرشاد وأن ينجو بها من مهاوي الردى والفساد إلى رب العباد كما فعل الأنبياء بأممهم وبلادهم فكانوا منارات الهدى ومصابيح الرشاد على طريقهم سارت الشعوب وخرجت من ذلك الجهل إلى حرية الدين ونور اليقين وعدل رب العالمين.

والمرحلة الثانية التي رسمها له هي: مرحلة ما بعد معرفته بنفسه بعد إصلاحها وتدريبها وتعويدها على الصلاح والخير ونهاها عن النواهي الشرعية فحذره من أن جواذب الحياة سوف تحاول أن

تجذبه إليها بكل أشكال المغريات أو المخوفات ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ فتجذبه جواذب الدنيا من مال وعيال، وآل وجمال وشهوة سلطان أو شهرة أو ملذات وما أكثر مغريات الدنيا التي سريعا ما تسقط فيها النفس إن لم تكن حسنة التدريب ويكون صاحبها عالي الهمة قوي الشكيمة شديد القود لها، وهو يحذر من الهروب بل يأمره بالمواجهة والتصدي لتلك المغريات ويعينه على ذلك تذكرة للموت دائما ويعرف أنه قد آن فيمسك بالحق حتى يأتيه لقربه من نفسه وحرصه عليه دون الخسران.

[66] يريد والله أعلم أن أحد وجهي الصدق أن كثرة مجاورته للحق والحقيقة أكسبته حب الناس جميعا فأهل الخير وغيره كلهم مجموع، على فضيلة الصدق حتى أن أهل الجاهلية كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالصادق الأمين.

ويريد بالوجه الآخر وهو الأحجار ربما أنه يحجر صاحبه عن الكذب فإن الكذب عادة ذميمة ينقص بل تحط من صفة الرجولة أو من صفة الإنسانية سواء كان المتصف بها رجل أو امرأة فهي صفة بغيضة إلى النفس وتبرز في صورتها الذميمة جدًا عندما تتجلى في صورة شهادة الزور.

ويريد يقوله: وكذلك القلب، والله أعلم أن للقلب أيضًا وجهان هما الخير والشر الصلاح والطلاح الهدي والضلال، الإسلام والكفر، التوحيد والشرك، الحب والبغض إلى آخر الصفات المتضادة فإن القلب يتصف بالشيء وضده أي له الوجهان المرادان بقوله ذلك والله أعلم.

[67] ربما أراد بقوله هذا أن لكل عبادة إحساس معين عند أدائها كما أن لكل رائحة عبيرها الخاص الدال عليها وربما أراد بصورتها ما تطبعه الرائحة في النفس من انقباض أو انبساط عند مرور الإنسان بها أو تعامله معها. والله اعلم.

[68] يريد أن يقول أن وراء كل ظاهر باطن وأن الظاهر اللفظي أو الحسي وراءه باطن معنوي ومادي كما أن اللفظ يعطينا انطباعا أو معنى يجعلنا نسعد أو نحزن أو نضحك أو نبكي فهذا كله يدل على أن وراء تلك الألفاظ النغمية معاني حسية تحرك كوامن النفس التي تحرك بدورها تلك الأعضاء الدنية التي تعطينا الصورة المرادة من الفرح أو الحزن الظاهر على الوجه أو البدن أو العين أو اليد أو الرجل وهكذا.

ثم ضرب لنا مثالا محسوسا بصور البدر الغابر في أفق السماء الضارب في البعد ضربا عظيما إذا بنا نراه قريبا جدًا، إذا نظرنا في صفحة الماء الصافي الرائق في الليلة الصحوة ذات النسيم العليل.

وهو يريد بهذا التشبيه أن يقول لنا قبل أن تنطقوا تفكروا ما سيكون عليه مردود هذا القول من فعل انبساطي أو انقباضي على السامع أو المتلقي لهذا القول.

[69] سورة النور: [الآية: 40].

[70] هو تقسيم يراه هو من وجهة نظره وفي تقديره وتصوره، وتمثله فهو يرى أن الناس منازل ومراتب معينة كما هي عادة الصوفية والتي من أرقاها مرتبة الولي فهو يرى أن الولي له إشعاع أو نور يضفي على من حوله حالة من الرقي النفسي أو الروحاني بما يحدثه المصباح الواحد في البيت الواحد في الليلة الظلماء فنور هذا المصباح لا يتعدى ذلك البيت كثيرا فينتفع به غالبا أهل البيت وأشدهم قربا منه وربما اهتدى به من رآه من بعيد من طالب للأمان أو الهدى. أما المرتبة التي لا يدركها أحد من البشر فهي رتبة النبوة: فهي لجماعة خصهم الله تعالى بها لا تأتي عن

طريق الاجتهاد في العبادة ولا يتوسل إليها بوسيلة بل هي محض اختيار رباني بحت لا تدخل للنبي فيها بل تفرض عليه فرضا وليس له حق الاختيار بين القبول والرفض لها وهو يرى أن تلك المنزلة بمنزلة نور الشمس التي تفرض ضوءها على كل الكائنات وتقهر كل الأنوار التي يضعها البشر مهما عظمت قوتها لتكون هي وحدها المسيطرة وصاحبة حق التفرد بالذكر فكذلك النبوة منزلة تتضاءل أمامها كل الرتب والمنازل مهما رفعت أو عظمت ثم أنه يرى أن سائر الناس في قربهم من الله وطاعتهم له لا يستوون وهم بمنزلة الطيور التي وصفها من ناحية القوة أي القبول لذلك الحق الداعي إليه هؤلاء الأنبياء فمكثر من الطاعة ومقل، فمقترب من الأنبياء يراهم أنهم الأولياء ومتوسط وضعيف وكل حسب قوته واجتهاده. ثم بين مراده بالنورين الذي ضربها وبين أن نور البشر نور سفلي وضيع ونور الله تعالى نور علوي شريف يريد أن من اقتبس من نور النبوة ذاك هو المقدم والفائز الأول وهم الأولياء في تقديره ومن اقتبس من نور الأولياء فهو مقتبس من نور صناعي أو من نور بشري مهما علا شأنه فهو أرضي سفلي.

[71] قوله الأدل في كون النبي أب روحي وأب النسب أب جسماني لا غبار عليه وبه يقول الناس والأب الروحاني أقرب إلى النفس من الأب الجسماني به تكون السعادة أكمل وأتم. قوله أننا في باطن الكون كالجنين فهذا تشبيه يريد أننا إنما نولد يوم نموت، فإن متنا على الحق والهدي والصلاح فرح بنا الأنبياء لأننا نفذنا نصائحهم ورسائلهم التي أرسلوا بها فيسعدون بنجاة العباد من مصايد الشيطان الفوز بالجنان والرضا والرضوان.

أما قوله الذي لا أقبله وربما لم أفهمه فقوله بأن الصلوات الخمس على عدد الحواس فهذا قول غير مقبول لأنه ليس عليه دليل لا من قرآن ومن سنة صحيحة، وإننا إنما نعبد الله تعالى بما أمر ولا نسأل عن السبب وقالوا أن العبادات غير معقولة المعنى ونحن نؤمن بها جملة وعلى الغيب دون البحث عن معانيها أو حكمتها أو عللها فنحن نقول بما قالت به الأنبياء ونعمل بما أمرت به الأنبياء وننتهي عما نهت الأنبياء سواء عرف المعنى المباشر لما أمروا أو نهوا أو لم نعرف ومما لا نعرف له معنى تلك الصلوات الخمس لم هي خمس؟ ولم هي بهذه الكيفية؟ لا ندري ولكن لم تفرض خمس لتكون على عدد الحواس الخمس هذا ما أقطع به حيث لا دليل عليه.

[72] في المخطوط "النبي" وهو تحريف والسياق يقتضي ما صوبت.

[73] هذا تقسيم لا تعرفه ولا يهمنا معرفته ولا يضر جهله فهو من القول الغائص في الرمزيات والإشارات، والدين يحب المباشرة والمصارحة والوضوح، والتصريح، ولا يعرف التلميح، إذ أن المراد منه هو أفعل ولا تفعل حتى تفلح وتنجح وتفوز وتصلح وإنما أمر الأنبياء بمخاطبة الأقوام بما يفهمون ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ و﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾، و﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ وهكذا فاض القرآن الكريم بالمباشرة والتصريح بأن يخاطب كل قوم بلغتهم ولهجتهم حتى أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يأخذ أخاه هارون معه لزيادة البيان والتوضيح ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فعلى الدعاة أن يخاطبوا الناس بما يفهمون ويعقلون ولا يجهدوهم في البحث عن معاني ما يقال لهم أو يتلى عليهم ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[74] كون الله تعالى أوحى إلى أنبيائه الكليات فهذا قول لا غبار عليه أما تفصيل هذه الكليات فليس هو من عنديات الأنبياء فهو يوحي أيضًا وإن لم يكن مكتوب في الكتب المنزلة لقوله تعالى في قرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ليس محمد صلى الله عليه وسلم بل كل نبي كذلك لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي كل عمل يعمله كل نبي ما دام هذا العمل عمل تشريعي

فإنما هو يوحي به إليه مكتوب كان أو غير مكتوب كتفاصيل الصلاة وأنواع الزكاة ومفردات مناسك الحج والعمرة وكيفية الصيام وما إلى ذلك مما جاءت به الأنبياء في الشرائع المنزلة عليهم ليس هو من اجتهاداتهم أو اختراعاتهم بل ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللهِ﴾ ومن قال بغير ذل كفقد أبعد النجعة.

أو قوله بأن ما يأتي به الأولياء من كرامات، وأن ذلك من جزئيات النبوة وأنه فيوضات من تجليات ربانية أو أنوار نبوية فكل، ذلك ما هو إلا من شطحات الصوفية وإن كنت أكن للمتصوفة الحق كل حب واحترام واعتز بهم أيما اعتزاز ما داموا على شرع الله قائمين وبه عاملين وفي إطاره مجتهدين.

وليس بين شخص وآخر فرق نسبة إلى نبي فكل البشر إما نبي وإما بشر عادي والفرق بيننا نحن البشر العادين إنما هو في قدر اجتهاد كل منا في عبادته من حيث كثرة الصيام أو الصلاة أو التصدق أو الصدق في الحديث أو زيادة البر بوالديه أو الإحسان إلى جيرانه وهكذا فلا قرب ولا بعد بين درجة البشر العادي وبين درجة النبي مهما كانت درجة العبادة لأن منزلة النبوة لا تأتي عن طريق العبادة إنما هي بقدر واختيار واصطفاء دون علاقة مسبقة بعبادة النبي المختار فعيسى عليه السلام ولد نبيا، وموسى عليه السلام ولد نبيا، ويحيي عليه السلام ولد نبيا وهكذا فالنبوة هبة واصطفاء واختيار رباني بحت.

أما ما يسمى بالأولياء والإبدال والفقراء وما إلى ذلك إنما هي تسميات ما أنزل الله بها من سلطان وهي تقسيمات صوفية لا تسمن ولا تغني من جوع فمن يرونه وليا فقيرا قد يكون عند الله تعالى من أجل عبادة العاديين وأفضلهم فتلك تقسيمات البشر أما الأنبياء فهم أنبياء عندنا وأنبياء عنده سبحانه لأنه هو أرسلهم.

[75] ادع الرد له فيما يأتي من تعليقه على ذلك في الفقرة التالية.

[76] سورة الذاريات: [الآية: 23].

[77] سورة الأنعام: [الآية: 79].

[78] سورة طه: [الآية: 50].

[79] سورة النحل: [الآية: 60].

[80] سورة البقرة: [الآية: 255]، ثم بعد هذا السرد الطويل لقولهم واعتراضه عليهم فإنه قد مضى زمن أهل الفلسفة والمنطق وانتقل منه إلى عصر النظرية ثم التجربة، ثم الحقيقة العلمية المقطوع بها وأصبحنا اليوم في عصر العلم المبني على الحقائق لا النظريات وصارت الكلمة الأولى في العلم للمعمل، وقد قطعت الحقائق العلمية بأن هذا الكون محدث وأنه ليس بقديم وأنه يسير إلى نهاية محتومة وأن له صانع لا محالة، وأنه لم يأت عن طريق الصدفة بل بتدبير حكيم خبير، وحتى نظرية الانفجار الكوني تصدى لها بعض أهل العلم ليقطع بأن الكون نتج عن منتج مدبر حكيم خبير لطيف وهو الله سبحانه وتعالى وأنه خلق الكون لبنة لبنة جزءا جزءا جزءًا كل على حدة ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

فهذا الجدل الدائر قديما نكاد لا نسمع عنه الآن فقد فاض العلم بحقائق ما جاء في القرآن الكريم وعقدت المؤتمرات العلمية التي خرج منها المؤتمرون وقد أسلم الله تعالى الجم الغفير من العلماء منهم بعد أن رأوا وسمعوا الحقائق العلمية المبهرة التي الجمت الكل وأعجزت أهل العلم وبهرتهم وبينت أن لهذا الكون إلها خالقا حكيما عليما قادرا حتما سيهدمه يوما ليجمع الناس بين يديه من جديد ليجزيهم عن الإحسان إحسانًا وعن غير ما هم أهله.

[81] عنون للشعر بهذا العنوان المناسب لما سبق من قوله بأنه أراد أن يوجز ما سبق من القول في هذه الأبيات فهو يريد أن يقول يا من تريد المفتاح للآخرة إنما مفتاحها هو أن تعرف حقائق الأشياء هنا في الدنيا لأنها هي مفتاح الآخرة فإن أخذ المفتاح انفتح لك ما أغلق من أبواب العلم والمعرفة والرحمة والرضوان والسعادة والأمان فإن تلك الحجب ما هي بحجب لأن ظواهر الكون كلها تقول بأن لها موجد خالق عليم حكيم يسيرها ليوم تشخص فيه الأبصار من هول حقيقة ما غفلت أو تغافلت عنه بمشاغل الحياة وزخرفها أو إهمالها لدعاوى الأنبياء والمصلحون وأهل الخير والرشاد، أو إنكارها للحقيقة جحدًا وكبرا وعنادًا وسيرًا وراء هواها، تعظيما لذاتها حتى تفاجأ بما أخبر به سبحانه فيومها ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ وهيهات هيهات إنه رب الأرض والسماوات الذي لا معقب لأمره ولا راد لقضائه.

[82] ينصح بعدم اليأس من رحمة الله تعالى ويدعو كل من تخطفته الشياطين في دروب الهوى بأن يرجع إلى الله تعالى وأن يصلح ما أفسد فيما مضى وأن يقبل من جديد على ربه بأن يطهر الفكر والبال والخاطر من كل وساوس النفس الدنية الرديئة ويقول بما يرضي الله تعالى ويجعله يعفو عنه ويقبل منه قوله السديد وعمله الحميد فإن الله يغفر للعبد ما لم يغرغر.

[83] في هامش المخطوط: "أو كفها".

هذا شاعر رقيق رائق العبارة حسن التعبير شديد الوجد صار من محبوبه كهو فإن عاش عاش وإن مات مات وإن نام نام وإن قام قام فهو ساكن متحرك معه وبه وله فكم هو جميل رقيق حاني شفاف الحب إذا ملك على المرئ كيانه، ولم ولن يكون بهذا الصفاء والتقاء إلا إذا بادله محبوبه نفس الإحساس ولكن سيكون عكسه تماما إذا كان هذا الكم عند طرف واحد فإن الأمر حتما سوف تكدر عليه كل حياته وتنتابه الأسقام التي لا يعرف لها الطب علاجا مهما حذق أطباءه واجتهدوا في علاجه فليس له علاج ناجع إلا نظرة من محبوبه بعين رضا فهي وحدها علاج أشفي من الشفاء، والشاعر هنا يبدو أنه لا يتكلم عن خبر أو حكاية أو سماع أو مشاهدة إنما هو يتكلم عن تجربة يمر بها فهو لا يتهدد من مشاغبات حبيبه حيث أسلم قيادة إليه فإنه إن أهلكه إنما يهلك نفسه وإن أسعده إنما يسعده نفسه فقد صار في حالة توحد معه.

فانظر إلى ذلك المحب الذي تعلق بصورة حتما يوما زائلة إن لم تزل بمنغصات الحياة فستزول بحكم الله الجاري على البشر وقد قالوا:

والدهر يفجع بعد العين بالأثرفما البكاء على الأشباح والصور

فكيف لو تعلق برب باري الأكوان؟!

[84] هذا عبد عرف فاعترف وألزم نفسه بما عرف فهان كل شيء عليه واستوى التبر والتراب لديه فتعالى معي ننظر إلى رحلته التي نقلته هذه النقلة وما السبب فيها فإذا هو يبدأ قوله بالسبب الذي جعله يصل إلى حقيقة الدنيا، ثم حقيقة نفسه، ثم مصيره ثم كيف خطط للفكاك من علائق الدنيا ليفوز بما أعد الله لأحبائه فيقول:

من أراد أن يسلك طريقه المعرفة فعليه أولا بالخلوة مع الاستعداد التام لها وما تتطلبه من ترك كل الشواغل ثم ماذا؟ يقول التفكر والتأمل في ذلك الكون الفسيح الممتد وهذه الأفلاك التي هي من حولنا وفوقنا وتحتنا بكل ما يمكنك أن تتفكر به فيها وإطالة النظر والتأمل حتى لكأنك تخرق تلك الحجب التي هي بينك وبين المعاني منها.

ثم ماذا يا صاحب التجربة؟ يقول: أنه لتنجح التجربة لتخلع حبك لكل ما هو عزيز عند الناس حريصون عليه من أدنى شيء إلى درجة الملك فإنك بهذا تستوي عندك أمور الناس وحقائقهم، ثم تخلع مع هذا كله هواك الذي هو الغشاوة الطاغية على عقلك قبل نظرك خلع جاد خلع كاره له كخلع العبد طوق الرق والعبودية والضعف والخوف فهو يوم يخلعه ولا يفكر في النظرية إليه بل يريد بكل السبل أن ينسى أنه كان يوما رقيقا فهكذا فاخلع الهوى وشواغل الناس والنفس.

ثم ماذا يا هذا؟ يقول: ثم صر بعد هذا التحرر النفسي مقتنعا بأنك وحدك هكذا أغنى مخلوق في الكون فأنت الآن عبد لرب العباد متجرد من كل ما تعبد به العبيد سيدًا بالحرية قد خلعت الكون كله خلعا حقيقيا لا مرية فيه ولا شبهة.

ثم ماذا بعد هذا الشوط المضني؟ يقول: اجمع كل ما آتاك الله تعالى من إيمان وتقوى وحب وإقبال وشوق وتوق إليه حتى لكأنك كنت في خوف شديد جف من حلقك فصرت في كنف أمن وأمان أعاد عليك رطوبة وطراوة ريقك واطمئنان فؤادك واستقرار نفسك في ذلك الجو المفعم بالأمن والأمان والراحة والاطمئنان تجد نفسك في حالة عالية من الإيمان تشعر فيها أن الدنيا وما فيها من بهارج وزخارف أقل من أن تكون تحت حذائك ساعتها يتحقق لك مقام العبودية الحرة التي هي ليست لسوى السيد الحق والرب الذي دانت له كل الأرباب وخضعت له كل الرقاب وخشعت له الأصوات رب تعالى عن جميع الموجودات لا بالمقال ولا بالحال وإنما بالمشاهدة والعيان واليقين لا بالإخبار، وتشعر بالسعادة الحقة أنك وصلت إلى هذه الرتبة وانتصرت على نفسك وأنت مازلت حيا تملك قرار نفسك، فهذه حالة يصعب الوصول إليها إلا بالجهد والمجاهدة. فهذه تجربة الشاعر التي نصح القارئ أن يتبعها إن أراد أن يصل إلى ما وصل إليه أو أنه يقول هذه هي الطريقة التي أفلحت معي فجربها فربما تفلح معك.

[85] يريد الشاعر أن يقول لك اعلم أن الحياة إن لم تفهم فهي حلم كبير إن لم تنتبه مت وحوسبت عنها فأنت في غفلة فانتبه قبل فوات الأوان، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا، وإذا انتبهوا ندموا. فانتبه قبل أن تتحول عن تلك الدار وأنت كالحلم، وقد قالوا ما من يقين أشبه بالشك من يقين الناس بالموت.

ويحذرك من أن ما أنت فيه إن لم تفق منه فسوف تنقل منه راغما إلى نوم آخر وهو نوم لا إفاقة منه وإنما أفاقته على الحلم الذي كنت فيه قبل تحصيل نتيجته.

فهو يريد أن يقول لك أفق قبل الموت فإن الحياة لهو ولعب وزينة وتفاخر وجري وراء سراب لأن نهايتها مهما عظمت وصفت هو الموت وبعد الموت يكون ما حصلت هو حالك فإن كنت حصلت خيرًا فخيرا لا محالة ولا تبديل له وإن كنت حصلت شرًا فشر لا محالة ولا تبديل له ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، والإجابة كلنا يعرفها فأحذر أخي عسى الله أن يرحمني وإياك آمين.

[86] هذا حق أصل في حياة الإنسان الناظر بعين الحقيقة واليقين حتى عندنا نحن معشر من فتح الله تعالى عليهم ببعض من علم التعبير نجد أن كثير من البشر عندما يقص علينا رؤياه كأنه كتاب مفتوح وهو يستغرب عندما نعبر له رؤياه فتأتي وكأنها فلق الصبح فتقول له نحن لم نعلم الغيب وإنما الرؤيا هي التي تقول أو أنت الذي وللتي على نفسك برؤياك فالرؤيا عبارة عن خطاب مشفر بفك رموزه المعبر فقول الشاعر بأن الإنسان إذا نام رأى في النوم ما كان منه في الحياة فهذه حقيقة يسميها أهل التعبير بحديث النفس ويسميها علماء النفس بالعقل الباطن.

والشاعر يريد أن يضرب بذلك المثل على أن كذلك بعد الموت ترى ما كنت تفعله في الحياة الدنيا من خير وشر لكن لتجازى عنه إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا، والعياذ بالله تعالى، ويريد بقوله حسا به مغرى أن اجتحاتك الشياطين إلى أن ما ليس محسوس فليس موجود وليس معقول فهو بحذرك بأن ليس كل محسوس هو الحقيقة وحسب بل أن هناك غيبيات فآمن بها خيرا لك ويضرب لك المثال بالرؤيا فإنها أيضًا ليست من المحسوسات وأنت بها مؤمن فلما لا تؤمن بالموت والبعث والحساب؟ ثم يذكرك بعد ضربه لذلك المثل المعروف شبه المحسوس بأنك عبارة عن كتاب أو كراسى يسطر فيه كل ما تفعل أو تقول ولن تظلم فيه حرفا واحدًا فإنه لن يكتبه أو لن يمليه سواك، وكذلك لن يقرأه غيرك ولن يشهد عليه غيرك ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

فهو يقو لك من حقك الآن قبل الممات أن تمحو ما كتبت بأن تتوب فذاك محو ما أمليت أو محو ما كتبت أو كتب في كتابك حتى إذا قرأت قرأت ما يسعدك وينجيك ويرفعك ويرضيك.

ثم يختم قوله ما ثم إلا أنت أي وحدك القد جئتمونا فرادا، فافهم نصيحتي فالظاهر هو حقيقة الباطن يوم القيامة إملاء منك، هدانا الله وإياك سبيل الرشاد.

[87]سورة البقرة (225)، المائدة (الآية: 89)

[88] سورة البقرة (225).

[89] يريد في قول موجز أن العبد مخير في كل أعماله التي له سلطان أو سيطرة عليها وهي ما دون النفس والطرف العين ودق القلب وسريان الدم وما إلى ذلك أما باقي الأعمال فهي كلها له فيها الاختيار والحرية وخصوصا ما هو متعلق بالثواب والعقاب وأن ما يفعل مقدر في علم الله تعالى لا جبرا؛ لأن العلم لا يقتص التكليف وجعل الله تعالى الأمور تجري وفق ما يريد العبد بإذن منه مسبق دون جبر له على ذلك بل علم فقط بأنه هذا مراده.

[90] هذا شعر أو نظم جميل سهل ميسور وضح تلك الأمور توضيحا سهل قريبا للأذهان سلسل في الوضوح والبيان فهو يبين في مطلعه أن الله تعالى أجرى القلم بما هو كائن بعلم منه مسبق لما سيكون فإنه لن يكون إلا ما شاء وعلمه لا يؤثر على عبده في تصرفه واختيار فهو مجرد علم منه فقط بحقيقة خباياه ونواياه.

وهذه حكمة اقتضتها إرادته سبحانه وتعالى فهو ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ وكل ما أراده لابد كائن وما لم يرده لم ولن يكون ولو كان مثقال حبة من خردل لأنه إله الأمر من قبل ومن بعده.

ومع هذا كله فقد كفل للعبد حرية الاختيار فهو يختار ما يريد وعلى أقداره أن تسري وفق إرادة عبده لأمره لها بأن تنفذ ما يريد لأن ما يريد العبد لا يخرج في نهاية الأمر ومبتدأه عما قد علمه الله وأجاز له سهولة فعله بتسخير الكون وأمره بطاعته.

فالعبد يفعل ما يريد وفعله ما يريد لا يخرج عن إرادة الله تعالى فهو لم يأمره بفعل المنكر ولكنه سهل له ذلك إن أراد وفي علمه أن يريده ويختاره دون المعروف. فهذا العلم لا يؤثر في اختياره بل هو مجرد علم، إنه عليم خبير.

فهو اختياره وكسبه وفي ظاهره كالجبر ولكنه ليس جبرا إذ الجبر أن يفعل ما لا يختار أو أن يؤمر بفعل لا يريده أو يعص فيما يريده. أما الاختيار فهو أن يختار قلبه ما يحب وهو الاختيار يعلم الله تعالى أنه يختاره وأنه سيجري في كونه فيجريه وفقا لاختياره بعلمه سبحانه وتعالى وإرادته. والاختيار يكون في القول أو الفعل في السر أو في الجهر.

أما ما فكر فيه دون أن يفعله أو يقله فلا إثم عليه فيه ما لم يتحول هذا الفكر أو الخاطر أو التدبير إلى فعل أو قول، بل ربما يثاب عليه إن كان إثم وتوقف عنه وإن فعله قهرا منه بأمر صادر له من غيره إكراها له فقد رفع عنه فيه العقوبة، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾. ثم بين أن السنة قد وضحت ذلك توضيحا جليا.

[91] سورة النساء: (الآية: 78).

[92] سورة النساء: (الآية: 79).

[93] سورة النساء: (الآية: 31).

[94] سورة فاطر: (الآية: 30).

[95] سورة النحل: (الآية: 25).

[96] جاء في هامش المخطوط تعليق نصه: مطلب نقل الشيخ محيي الدين النووي في رياض الصالحين عن أنس بن مالك رضي الله عه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

<<أن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطي عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضي على الآخرة لم تكن له حسنة يعطي بها خيرا>>. رواه الإمام مسلم، وأحمد في مسنده.

وهو تعليق من النــاسخ أو أحد العلمــاء حيث أن النووي ولد سنة (631)، وتـوفى سنة (676)، فلا يعقل أن ينقل عنه المؤلف وقد توفى ابن عربي سنة (638).

[97] سورة النساء: (الآية: 79).

[98] سورة البقرة: (الآية: 35)، الأعراف (الآية: 19).

[99] سورة الحجر: (الآية: 34).

[100] سورة الحجر: (الآية: 33).

[101] هذا توضيح جيد بين الأمرين حيث وقع في هذا الخلط قديما وحديثا أقوام من المسلمين فحادوا عن الصواب فمنهم من قصد ومنهم غفل عن المعنى فهلكوا من تبعهم وتطاحن اتباعهم مع من خالفهم وكانت فتن كبيرة قديما وحديثا فمن قصد هذه المغالطة وأراد أن يزيغ الناس عن الحق فله في الآخرة عذاب عظيم.

وأما من غفل عن المعنى فهو مأجور بإذن الله فهو مجتهد مخطئ أراد إرضاء الله تعالى وسعى إلى رضوانه فأخطأ القصد عن غير عمد فهو إن شاء الله من المعذورين المأجورين.

وعلى من يتصدى لدعوة الناس أن ينتبه كثيرا عند التعامل مع النصوص الشرعية خصوصا ما يتعلق منها بالجانب الاعتقادي أو التوحيدي.

[102] سورة البقرة: (الآية: 185).

[103] سورة يونس: (الآية: 107).

[104] سورة الرعد: (الآية: 11).

[105] هذا توحيد واجل خائف من أدق الشرك وخفية فهو واقف عند حدود ما أمر به دون النظر في قيل أو يقال، إنما اكتفى بأنه الواحد الأحد وترك وخلع ما سوى هذا القوي أيا ما كان هذا القول.

فهو يناجي ربه مناجاة موحد صرف، صرف كل فكره وخواطره وجه وجهه وقلب قلبه نحو هذا الإله الواحد وجل من أن يرتد على عقيبة فهو حريص كل الحرص على هذا التوحيد الصافي فهو لا يريد أن يشعر بأن ذرة منه أو من تفكيره تصرف لغير الله حتى لا يشعر بأنه عبد لغيره أو أحب سواه.

حتى أن خواطره وأفكاره جعلها لا تتفكر فيه أي في ذاته حتى لا تشوش عليه هذا الصفاء والحب والجو الذي استراح له بعد أن عرف حق المعرفة وأحبه حق الحب وهام فيه شوقا إليه. حتى أنه صار لا يكاد يفكر فيه من شدة غيرته عليه خشية أن يخطئ في حقه أو يقصر في واجبه فهو يحبه ويخشى شدة القرب منه حتى يحتفظ بهذا الحب ولا يفقد منه شيء.

واكتفى بأن ينفذ كل ما صدر منه من أوامر وأن ينتهي عما نهي عنه من نواهي، حتى لا تبدر منه بادرة كأنها اعتراض فهو ينفذ دائما راضيا مختارا ما دام هذا مراد سيده ومحبوبه سبحانه حتى يظل حائذا على الرضا ولا يعرض نفسه بالسؤال أو التفهم للهلكة فهو مكتفي بأن تعرض لمعرفته ورضاه وبأن هداه إليه سبيل الرضا والرشاد والهدى والسداد، وهذا محض كرم منه سبحانه عليه وكفي به كرما.

[106] ما أجل هذا الشعر واجمل وأبهى هذا التصوير الذي استخدمه الشاعر مع حسن التضرع والمناجاة فإنه قد خرج من قلب قد تكبد مرارة المعصية وأراد حلاوة المغفرة وقد تذرع في طلب المغرفة بمن سبقه ممن هو أشرف منه مكانة ورتبة وكان أولا لأن يغفر له أما هو فإنه جاء بأشباه ما كان من يونس عليه السلام فكان من تشبيه الجهل بالليل المظلم الذي يطبق على النفس والبحر الذي يجثم على الأنفاس، والدنيا المزينة للنفس والجسم الذي ثقل عن الطاعة فجعل كل هؤلاء من مسببات أن يعفو الله عنه فقد تكاتفن وتثاقلن وتحاملن عليه فجعلوه يقع في ذل المعصية وظلامها، ويغرق في بحار الذنوب فغرق فيها فهو ينادي ويناجي ربه بأن ينتشله من هذه الذنوب كما انتشل يونس من قبله كرما منه وجودًا وعونا ولطفا، وكل أملي أن يجيبه ويجيبنا إن شاء الله.

[107] جل الباقي في ديمومته سبحانه وتعالى اقتضت حكمته فناء الكل وبقائه سبحانه دائمًا أبدًا هكذا أراد لحكمة يعلمها، وإن كان الإنسان بما ركب فيه من جبلة حب البقاء يطمح إلى ذلك فقد مهد سبحانه له السبيل إلى ذلك في ديمومة صافية نقية طاهرة رضية وذلك من خلال الآخرة التي أعدها للمتقين من عباده فأخبرهم بأسباب البقاء وأسباب الفناء فالبقاء بالطاعة وتنتقل من دار الدنيا وما فيها من التكاليف إلى الدرة الآخرة وما فيها من التنعم والتصريف ومحو كل أنواع التكليف، والفناء بالمعصية فالمعصية تعيش في الدنيا في كدر ونكد وغضب على غضب في صراع من الأهل والجيران والملك الديان ومع وساوس الشيطان إلى أن تنتقل منها إلى النيران فلا أنت تموت فتستريح ولا أنت تعيش معيشة من هو حي مستمتع بالصحة فقط لا بل في كدر إلى كدر فبدل من أن تشتهي البقاء فأنت تتلهف الفناء وتتمنى الموت ولكن هيهات هيهات فاحذر وانتبه.

[108] هذا هو ما سبق أن قاله نثرا في المطالب والفقرات السابقة فهو هنا قد أعاده نظما ليثبت في الأذهان أو يسهل حفظه لمن أحب المتون أو القوافي والأوزان، وكل ما يأتي من القصيدة أيضًا على هذا المنوال.

[109] حذر في آخر منظومته من التشبيه والتجسم للإله بأي صورة من صور الخيال حتى لا يهلك الإنسان نفسه بتلك الخيالات، وشبه ذلك بالسيف المهند البتار.

[110] يصور الشاعر الدنيا بصورة امرأة وتجرر وراء كل من أجابها فهي تأمله الوصال ثم هي بعد أن يكاد يشعر أنه هو الذي لها تتخلى عنه فيخر صريعا ليس له من إفاقة.
فهي حال الدنيا التي أحسن في تصويرها في هذا النظم الذي بدأه بأن الدنيا ما هي إلا إشارة منها لمن يغواها ويهواها حتى يأتيها مسرعا فيصير سامعا مطيعا لها لا يعصي لهواه فيها أمرا فكل أوامرها مجابة ولو كانت على حساب آخرته فقد طلق الآخرة من أجل الدنيا ونسي أن إليها المآل وتصور أن الدنيا ستبقى له دهرها ونسي من سبقه فيها ولم ينظر إلى من صرعته من رفاقه فهو في مقاعدهم جالس وفي دوره ساكن وفي فرشهم مضطجع ولا يتعظ.
ويصور وقوع الناس في هواها بوقوع موسى عليه السلام حين خر عندما تجلى ربه للجبل فهو يرى أهل الدنيا كلهم يخرون خرور موسى وإن كان موسى عليه السلام لم ير به عيانا فكذلك هم لم يروا الدنيا عيانا بل وعدتهم فقط وهي خئون فلهث وراء وعدها ويصور عظماء الرجال وهم يخرون بين يديها بتصدع الجبل جبل الطور الذي تجل له الله تعالى فتصدع.
وكل من أعطته الدنيا بعض وعودها الزائفة وأسكرته بفتنها وأغفلته ببهرجها عن آخرته فسها لـها وغرق في شهواته وهو لم يدر أنها عندما تصده، تصده صدا مريرًا يجد نفسه فيه ذليلا حقيرا مهانا، وهو لو كان يعلم مرارة هذه اليوم لصدها يوم أن تبهرجت له وتزينت ولكنه اتبع هواه فصد عن الهدى وسبيل الرشاد. ثم يصور ويمدح حال الذكي الذي عرف مبتدأها وتيقن من منتهاها فانصرف عنها إلى ما بعدها، فأخذ منها ما يحتاج من زاد يتزود به للأخرى فيجمل بين الحسنيين، فهو قد أجاب دعوة الأنبياء الذين أخبروه بحقيقة حالتها ومآل أمرها ففاز هنا وهناك جعلنا الله منهم.
[111] يريد أن ينبه الإنسان إلى استغلال الفكرة أو الخاطرة ما دام حيا لينتفع بها في الآخرة لأنه إن أهملها اليوم فسوف يندم عليها يوم لا ينفع الندم ويبين لها ما البدن إلا الثياب البالية توشك أن تزول أو يبلى ما بقي منها. ويضرب له المثال بالظل فما دام هناك شخص يظل الظل وإن زال الشخص زال بزواله الظل فهو يريد أن يقول الدنيا باقية لك ما بقيت أنت فاغتنم هذه الفرصة لتفلح في آخر أمرك وتفوز بنعيم مقيم. ثم يبين له أن الله تعالى إنما أنشأ هذا الكون بالأمر والقول والفكر لأنه المدبر الحكيم العليم اللطيف الخبير فكلها صفات تفيد العلم والحكمة بالتدبير وإدارة الأكوان من لدنه سبحانه. وهو يعود فينظم ما سبق أن قاله في مسألة الإنسان مختار وهو ينفذ اختيار بمراد الله تعالى لا خارجا عن إرادته مع كونه غير مجبور على شيء من أفعاله.
ثم يسأله سؤالا فيقول هل تقطع يد السارق أم يد فاعل الخير؟ والثواب؟ ثم يقول هذا إن كان لديك عقل تعقل به الأمور وتزن به الأفعال، ثم هو لا يضع له الإجابة لأنها لا تحتاج إلى من يخبر بها.
وسؤال آخر هل إذا وقف المرء أمام المرآة يرى نفسه ومثاله وخياله أم يرى صانع المرآة أو المرآة ذاتها، ثم هو لا يجيبه أيضًا لأن الإجابة لا تحتاج إلى رد أو تعقيب ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.
ثم يبين أن الجسم ليس عليه الملام في الأفعال المستقبحة أو المحرمة بل العار والشنار على من حركه وهو العقل الذي يترك أفكار الخير ويحركه نحو أفكار الشر، والجسم ما هو إلا الأداة في يد العقل، وكذلك الأفكار لا يمكن أن تقول بما تريد بدون حركة الجسم فنحن نحاسب الجسم الذي قام بتنفيذ ما أمره الخيال بفعله من المحرمات أو المقبوحات والمنكرات. واعطى المؤثر الذي به يمكنك أن تنجو به من هذه الشرور والآثام ألا وهو الفكر فكل أمر أو فعل مبدأه الفكر فتوجه إليه

وهذبه وتعهده وراقبه ودربه على الخير والصلاح والهدى والرشاد حتى ينقاد لك وقد سبق أن ضرب لنا مثل بأن إهمال العقل كإهمال العبد يتمرد إن أنت لم تدربه على العمل فإذا أهملته وطلبت منه العمل تمرد عليك لأنه لم يعتده فكذلك هو يأمرك هنا بأن تراعي فكرك أولا بأول حتى يتدرب على الطاعة والعمل الصالح النافع. ثم يأمرك بالتؤدة والتأني والصبر والاجتهاد والمجاهدة والاحتراس والتفرس وطول البال في مراوضته وتمريسه على الطاعات. ثم يبين لك أنه هو الأساس المحرك لك في كل فعل وأمر وحركة وسكون وينصحك بمتابعته ومراعاته في كل آن وفي كل حال وبهذه المتابعة والمراقبة والمراعاة تكون النجاة في كل أحوالك الظاهرة والباطنة الدنيوية والأخروية ويختم لك بالفوز في آخر المشوار عندما تعود إلى ربك سبحانه وتنال ما كنت تتمنى من الفوز والسعادة والنجاة والفلاح والفوز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

[112] هو ينظر هنا إلى ما وراء المنظور ويشاهد ما وراء المشاهد ويقرأ ما بين السطور فالجسم عنده لا يعبر عن الإنسان إنما يعبر عنه ذلك العقل أو الروح الكامنة داخله إذ كل الجسوم من لحم ودم وعضلات وأعصاب وعروق وشرايين وأمعاء وعظام وهكذا فهي في هذه الأمور متحدة وإن اختلفت الصور والرسوم والأسماء والبلدان فهو يبدأ فيقول لك لا تقف مع الجسم على أنه الشخص بل الشخص غير الجسم إذ يقول فجسوم الأنام غير الأنام يريد أن يقول الجسم شيء وصاحبه الساكن داخله شيء آخر فالجسم ما هو إلا سكن للنفس أو الروح.

ثم يقول ما هذا الجسم أو السكن –أو القفص كما أسميه أنا- إلا مركز أي مكان تبدو منه حقيقة أو ماهية صاحبه، وفي هذا الجسم تجد الشخص وضده أي تجد الخير والشرير. ثم يوضح لك القول فيقول أن كل الأجسام متحدة في التراكيب من وجه وجسم وساقين ويدين وأعضاء داخلية.

ثم هو في سلوكه وتحركه يظهر من يسكنه فهل الذي يحدث الظل والظل داخله أو هو الخيال المرئي وصاحب الخيال كامن داخله فنرى حركاته وسكناته من خلال هذا الجسم المحدث للظل أو الخيال أو الفعل الناتج لدينا الذي نسمعه أو نحسه أو نراه.

وهو يقول ما دام هذا الظل حي وما دام هذا الجسم صالح للحياة والحركة فاعمل ما ركب فيه من الفكر ما دمت قادر على ذلك فكما خلقك الله تعالى لتكرم فأكرمه باستعمال هذا الفكر الذي ميزت به عن سائر المخلوقات وهو يقول لك أنك أحيانا ترى الناس أو غالبا ما ترى الناس مثلك، ولكنه يقول لك: لا بل هم أشباه بعض في الظاهر أما في الجوهر أو اللب أو المضمون فمختلف تماما فهذا خير وهذا خير وهذا خير ولكنهم كلهم في الخير مختلفين فخير هذا غير خير هذا غير خير هذا وقيس على ذلك في الأمور وعكسها.

ثم ينصحك بأنك إن استطعت أن تكون على الخير دائما فكن فهذه أسلم الطرق وأعلاها منزلة عند الله تعالى وما خلقك إلا لهذه وما يرجو منك سوى ذلك فإن سرت على ذلك عرفت حقائق الأشياء ورأيت الأمور على ما يجب أن تكون عليه فتستطيع أن تنظر إلى الكل وتحدد دورك بين الكل لتنجو.

[113] يريد أن يضرب لك مثال تلاحظه وتشاهده وتحسه وتدركه وهو الجسم الذي أنت فيه لكي يكون تاما وهادئا لابد أن تكون كل أجزاءه سليمة ومعافاة حتى تنعم داخله بالراحة والهدوء أما إذا مرض منه جزء تداعت له سائر الأجزاء بالحمى والسهر، أليس هذا هو المحسوس والملموس والمعروف؟

فكذلك النفس لكي تصفوا وترقى وتسموا وتهدأ وتطمئن وتقر لا بد أن تكون جميع جزئياتها سليمة ومعافاة من اجتياحات الشيطان وأفكار الشر وهواجس الضر فإن سلمت استمتعت بنفس صافية ساعية إلى الخير آمرة للجسم بالتحرك نحو الخير.
وأفسد جزء من النفس أو النفس سارت في اتجاه الشر آمرة الجسم بالتحرك نحوه فأفسدت عليك نفسك وجسمك فانتبه قبل فوات الأوان وتصرف من الآن.
[114] يريد أن يقول لك إن الإنسان بين منزلتين منزلة رقي وعلو وصفاء ونقاء ومنزلة تدني وانحدار وسقوط وتسفل وكدر ونكد، في منحة ومحنة، ففي حالة رقيه يرتقي حتى يلقي ما به بين الأنام يكون سعيدًا مبتهجا في الدارين فينال ما كان يسعى إليه ويرجوه ويتمناه ويرضاه وهذا أمل كل إنسان.
وهو على العكس من ذلك إن يهوى ويتردى يهلك ويعطب ويستحي وتضيع كل آماله وتتكدر حياته في الدنيا والآخرة وما كل ذلك، إلا بفعل النفس التي أهملها وإقباله على الجسم ومحاولته إرضائه وقديما قالوا:

يا خادم الجسم كم تشقي لخدمة	وتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

[115] الشاعر يخشى من أن تفلت منه نفس فترديه في مرادي الهلاك فإن تفلتها شديد والإمساك بها صعب وترويضها صعب المراس فهو يباين بين الجسم والنفس فيرى أنه ليس منها وأنها ليست منه فبابين بين الطين الثقيل والروح الشفافة المتسامية فإن جد ترك الجسم وانحاز إلى الروح السامية لينجو من الهلاك المحتوم لو اتبع شهوات المادة.
فهو يريد أن يقول إذا جاء الخاطر فاصطاده واجعله خاطر خير وفز بما وهبه لك الله من تلك اللحظة فإما أن ترقى بالجسم وإما أن ينتقل بك فالهمة مع الخاطر ترتقي بالجسم وإغفال الخاطر يقل الجسم فيهوى. والله هو الموفق والهادي إلى الصواب بإذنه.
[116] موضع النقط طمس بالمخطوط لتراكب قطرات من المداد.
[117] والشاعر يذكرك بأن كل ما في الكون من حولك ليس جذافا ساكن أو متحرك إنما هو بمحرك ومسكن لتعتبر فهل أنت مغتنم تلك العوامل التي لأجلك تحركت وسكنت؟ وأنت الذي لك الحق في الحرية والاختيار في الكسب من حلال وحرام وجائز وممنوع والأمر منك يبدأ وإليك ينتهي منك يبدأ الخير وإليك ينتهي الثواب والإحسان منك يبدأ الشر وإليك ينتهي الجزاء والعقاب. فالكون كله لك اليوم وشاهد عليك غدًا أو شاهد لك بما كسبت يداك أو جنت عليك نفسك. فأنت إن انتبهت وفقت من غفلتك فهذا خيرا لك إذ يكتب من وكل بك من الملائكة ما تسطر في كتابك وفي الآخرة تجده مسطورا بلا نقص ولا زيادة فانتبه واحذر قبل أن تجد نفسك في الموقف بلا زاد.
[118] هو كقول الشاعر:

النفس كالطفل إن عودته شب عليه	حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فهو يدعوك لأن تعود النفس وتدربها على الطاعات وعلى العمل بالحق والقول به والسعي في رضا الله تعالى وإعمار الكون والإصلاح في الأرض والإحسان إلى العباد في كل آن وعلى كل حال حتى تبلغ في ذلك مبلغا عظيما فتعتاد هذه الأعمال الخيرية فتصير هذه الأعمال والأحوال ديدنها فلا تقبل سواها من الأعمال.

وهو يذكرك بأن الدهر يومان فكما تدين تدان وكما تفعل يفعل بك هذا في الدنيا فضلا عن الآخرة وما فيها من الأحوال والأهوال لأهل الشر والفساد والطغيان والعناد.
وتدريبك لها على الخير يؤهلها ويعودها عليه وإهمالك لها يؤهلها لعمل الشر ويعودها عليه ويجعلها تستمرئ هذا الشر، وقد قالوا:
من شب علي شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه.
يريدون أنه لن يكون صالحا فيبعث فاجرا ولا فاجرا فيبعث صالحا ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.
[119] وصية ونصيحة ينصحك بها الشاعر حيث يقول: إن أردت أن يدوم وصلك وحبك لمن تحب فعليك أن تكون له مطيعا فاعلا لما يهواه ولا تعانده ولا تخالفه ولا تكدر عليه صفوه حتى يعود مردود ذلك عليك.
ويبين لك أنك إن أردت الوصل والمودة وإدامة المعروف والرضا، بينكما فلن يكون ذلك منه إلا بما ينصحك به إدامة وصله والعمل على رضاه وإخضاع النفس لهواه.
أما إن أنت أخذتك العزة والأنفة والكبر والعلو والإباء، فإن ذلك كله سوف يحول قلبه عنك لمن يعطيه ما كان قد نصحك به من طاعته والخضوع لأوامره والسعي في رضاه.
وكل محبوب يحب التدلل على محبه فكلما دلله كلما تعلق به وإن قسي عليه المحب جفا المحبوب وجفل ونفر وفر، واضطرب وهرب.
[120] أدار الشاعر حوارًا في مخيلته بين اثنين سائل ومسئول، فالسائل يريد أن يعرف كيف الخلاص والخروج مما فيه من تلك المحن التي قد وقع فيها من الغفلة والشهوة التي تمكنت منه تمكنا قويا ملك عليه كل حياته وشغله عن كل شيء فهو يبحث عمن يعرف طريق الحق ويستحلفه بالله أن يخلص له النصح كيف الخلاص مما هو فيه.
ثم يجيب الشاعر على لسان العارف السالك طريق الخير الخبير به فيضرب له المثال ليوضح له الجواب فيقول السائل:
هل رأيت إنسانا قد حضر به الموت وقطع الرجاء في العودة إلى الحياة أن في حالة الاحتضار التي يستيقن فيها المحتضر أنه لا رجعة إلى الدنيا يقينا وأنه يقينا سيفارق هذا الكون بما فيه من شهوات وملذات ومحبيه، وأنه حتما سيلقى، وتأمل تاريخه السابق فلم يجد نفسه قد قدم شيئا لهذا اليوم. وعند هذه الحالة طلب من الله تعالى أن يمهله وقتا يصلح فيه ما أفسده ويحصل فيه بعض الخير ليتزود به في رحلته التي هو قام عليها بغير زاد. فأجابه الله تعالى إلى طلبه وأمهله وقتا غير محددًا، فكيف يكون حاله، إذا به من شدة خوفه من الموت لا يشغله متى سيأتي الموت فيظل لا عمل شيئا سوى أنه راقب وقوعه فيشغله خوف وقوع الموت عن العمل الذي ينفعه وينجيه مما هو قادم عليه، ثم يقول له في نهاية أجابته هذه إجابة سؤالك الذي سألت عنه فاعمل به قبل فوات الأوان.
[121] يريد أن يقول لك أن جماع الأمر في الصبر على التقوى وأن التقوى قد تستطيع أن تفعلها مرة أو مرات أما لتفوز وتنجح عليك بالمداومة عليها وهذه المداومة لا تتأتي إلا بالصبر وهذا الصبر هو أعلى الدرجات فلا يناله إلا ذو حظ عظيم حيث يوفى الله تعالى أهله أجرهم يوم القيامة دون سائر الأعمال بغير حساب، فهي درجة عالية رفيعة فكيف يصل الإنسان إلى تلك المرتبة لا يصل إليها إلا بتوفيق كبير من الله تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ وبدون الله لن تملك الصبر

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾، فصبر الله لا يهبه إلا الله ونور الله لا يهبه إلا الله، وهدي الله لا يهبه إلا الله، فمن بنور الله له؟ ومن يصبره الله؟ ومن يهديه الله؟ هو من أراد النور والصبر والهدى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ثم طلب أعطى ومن جد وجد.

[122] يا من تريد النجاة من شواغل الدنيا وعوالقها وفتنها وتريد الهروب من الشرور وترغب في الحسنات وتأمل أن تفوز في الآخرة بالجنة فعليك بتلك المطية المأمونة التي توصلك إلى مرادك ومرامك بكل أمان إنها مطية الصبر.

فالنجاة وبلوغ هذا المرام لا يكون إلا بعمل الخير والصالح من الأقوال والأفعال فاللهم ألهمنا الصبر واجعلنا من الصابرين.

[123] نعم ما نصح به وأوصى فإن من أراد أن ينجو من الدنيا جعل الموت نصب عينه فمن جعل الموت نصب عينه تجنب المعصية لا محالة ولا تزعزعه الهموم ولا الفتن ولا البلايا ولا تفت فيه المحن فهو يعلم أن كل ذلك زائل ومنتهي وأن الموت سوف يحل كل تلك المشاكل كقول الشاعر:

دنيا تجدد كل يوم غدرها   والناس منها في عنيف صراع

يتنازعون على رخيص متاعها   وغدا يفض الموت منها كل نزاع

والنصيحة الثانية التي نصح بها هي: أن تترك الأفكار في شواغل الدنيا الفانية فإن تعلق قلبك بهذه الأشياء إنما يعطلك عن عمل ما هو مفيد لك في الآخرة وأنك إن تفكر في أحوال الدنيا وما فيها من المتع فإنك أبدًا لا تستطيع الحصول عليها فمنها ما هو سهل المنال ومنها ما لا يمكن أن يتحقق لك أبدًا مهما حاولت الوصول إليه ومع ذلك فكل ما فيها مهما على أو غلا محكوم عليه بالفناء، فلماذا تفني عمرك في إعمال عقلك وفكرك فيما لا تدرك وإن أدركت تركت؟

النصيحة الثالثة: يأمرك فيها أن تلتزم بما ألزمك به الشرع وأن تحرص على ما ينفعك ما دام هذا الذي ينفعك في وسعك أو مقدورك عمله ومن أهم هذه الأشياء التي تقدر عليها وهي قريبة منك صفة الصدق في القول أو العمل فهي صفة حميدة منجية في الدنيا والآخرة ووصف الله بها أحد أنبيائه فقال: ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ وقال ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ والصدق دائما سبيل أهل الهدى ومن الصفات التي وصف بها أهل الجاهلية النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فكانوا يسمونه الصادق الأمين، فهي صفة حميدة عند أهل الحق وغيرهم.

والنصيحة الرابعة: التي نصح بها هي صفة الصبر، فطلب منك أن تجعله شعارا لك في كل آن وحال وقد تكلم عليه الله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ فقد مدحه بما لم يمدح به غيره من الصفات وأجزل عليه العطاء بما لم يجزل لغيره فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وجعل معيته معهم فقال: ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ووعدهم البشر فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، فالزم صفة الصبر فإنها من صفات الأنبياء والصالحين وهي من أسمى الصفات الطيبة ولا تجعلها تفارقك في حال من الأحوال فهي نعم السند في العسر واليسر.

ونصيحته الأخيرة: لك هي أن تتمسك بما ألزمك الله تعالى الالتزام به وما ألزمك الله به قيده لك في كتاب ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ فإن اشتبه عليك أمر فمرد به بلا تردد إلى كتاب الله تعالى ففيه الجواب الشافي والرد الكافي الحل المعافي وفيه الخير اليقين فهو الحبل المتين الذي إن تمسكت به أوصلك إلى الله تعالى بغير حيد أو زيغ أو انحراف فصراط مستقيم وحكمه قويم

تعمل بما فيه وأنت مطمئن على صحة عملك وتضمن بعده أجرك وتضع عند نهاية رحلتك في بحبوحة الجنة رحلك وتستقر في رحمة ربك، وتنعم بمشاهدة نبيك ومن أحببت من صحبة وأهلك.

[124] الحديث الذي اعتمد عليه حديث ضعيف وقال بعضهم موضوع وأطرافه عند:
الزبيدي في الإتحاف (8/539)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (4/19)، العجلوني في كشف الخفا (1/495)، الفتن في تذكرة الموضوعات (174)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (199، 345).
أما عن قوله في سياسة النفس وقتلها بالمجاهدة وإحياء الله تعالى لها لا يريد به القتل والإحياء الحقيقيين وإنما يريد به القتل والإحياء المعنوي بأنك عليك بمجاهدة النفس وترويضها على الطاعات وأنها كلما تفلتت منك لا تيأس فإن لك في هذه المجاهدة الأجر العظيم والثواب العميم، وستسلم لك في النهاية قيادها وتطيعك فيما تريد من الخير ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فجاهد ولا تيأس وقد دللت لك بما هو أشفي من القرآن الكريم والله معنا ومعك يعيننا ويعينك حتى تفوز ونفوز إن شاء الله تعالى وبإذنه.

[125] زيادة من عمل المحقق وهو من هامش المخطوط.

[126] هذا ملخص منه يحكي مدى مما فتح الله به عليه من العلم والحكمة، فقد لخص لك بما يرى من هو أعلم الناس، ومن أحكمهم، ومن أعقلهم، ومن أعرفهم.

[127] الدعاء من أقرب القربات إلى الله تعالى وبه تظهر عبودية العبد لربه سبحانه وتعالى وتظهر ألوهية الله وعظمته والذين لا يدعون الله تعالى اعتبرهم الله من المتكبرين، والمتكبرين مثواه جهنم والعياذ بالله تعالى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.
وكل إنسان يحب الله تعالى كثيرا ما تجده يسأله من فضله والله تعالى يحب التوابين والتائب هو الذي يدعو الله تعالى بالمغفرة ويعترف بذنبه وقد قال الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله	وبني آدم حين يسأل يغضب

[128] كثير وقديم هو الخلاف في مسألة الروح والنفس والعقل والخلاف بين الروح والعقل وهل هما اثنان أم واحد أكثر شيوعا وأين هم العقل والروح والنفس كيف تدخل هذه الأشياء وكيف تخرج من وفي بدن الإنسان وما دلالة كل شيء منهم، وإن كنت أميل إلى أن كل واحد من هذه الثلاثة قائم بذاته له صفاته وخصائصه ومهامه التي يقوم بها في جسم وحياة الإنسان فأظن أن العقل يضبط سلوكه، والنفس هي التي تحافظ على هذا البدن ما دامت فيه والروح حرة الحركة دخولا وخروجا منه يوميا نوما ويقظة وهي التي تتعامل مع الأشياء في أثناء النوم وتفعل ما تراه ونسميه بالرؤيا من قول وفعل وحركة وسكون وشم وخوف وفرح وما إلى ذلك من كل تصرفات الإنسان وأموره الحياتية وهو في سكون النوم العميق لا يتحرك ولا يسمع ولا يرى ولا يشم ولا يفعل شيئا مما يفعله في اليقظة وأظن أيضًا أن الروح لا تموت بل تظل إلى أن تأتي يوم القيامة وتلبس في بدن صاحبها يوم يقوم الناس لرب العالمين وإنما التي تموت هي النفس، هذا ظني والله تعالى أعلم.

[129] يقول الشاعر إذا كنا لا نعلم من العلوم ما هو قريب منا وملاصق لنا فهذا دليل على أننا مهما أوتينا من العلم فلم نعلم شيئا ذا بال بل اعتبرنا أننا بهذا الجهل أموات وأن قبورنا إنما هي تلك

الأجسام التي نعيش فيها.
ويرى أننا إن علمنا حقيقة الروح كان ذلك بالنسبة لنا هو الموت وإذا كان الموت فالحشر يليه لا محالة، فعلم الروح من أمر ربي، وما أوتي الإنسان من العلم مهما أوتي إلا قليلا بدليل جهله بهذه الروح التي هي بين جنبيه حتى أنه لا يعرفها فحسب بل لا يدري أين هي فيه وكيف هي فيه ولا ما صفاتها ولا ما خصائصها، إنها من أمر ربي فالبحث في ذلك عبث وضرب من المستحيل فمن اتبع نفسه في ذلك فإنما يفنى عمره في ما لا فائدة من ورائه ولن يجني إلا الجهل فكلما بحث عنها كلما جهلها وكلما بعدت عنه حقيقتها لأنها ليست من الأمور المباحة بل من الأمور التي اختص الله تعالى بها، ذاته سبحانه، فلنسلم لذلك حتى نعلم أننا قد عرفناها فمعرفتها هو عدم السعي إلى معرفتها.
[130] هذا رأي بأن العقل هو النفس وأن فقده إنما هو فقد الحياة.
ويرى المؤلف أن العقل هو المسئول عن التخيل والتصور والتمثيل فإذا أراد المرء أن يصنع شيئا فإنما يقوم العقل بتصور ذلك الشيء على هيئة معينة ويتخيله ماثلا أمامه في صورته النهائية ويتمثله ساكنا أو متحركا، فإذا تمت تلك الصور والخيالات على الصورة التي يرجوها حرك الأعضاء التي هي الجسم إلى تنفيذ ذلك فقام بالحفر أو القطع أو الزرع أو البناء أو التوصيل أو الكتابة أو ما إلى ذلك من الحركات التي ينتج منها ما بناه العقل وتصوره وتمثله أمامه في عالمه حتى نراه نحن في الهيئة التي يريدها عن طريق تسخير تلك الأعضاء البشرية، وأنا أظن أن الموت الذي يذهب إليه هنا ليس بالموت الحقيقي إنما هو حياة كالموت إذ إن الإنسان الفاقد للعقل في حكم الميت حيث لا تجري عليه أحكام الشرع ولا يعاقبه القانون ويسمى فاقد الأهلية، فهو في حكم الميت غير أنه يتحرك بين الأحياء.
[131] يرى أن اختلاط النفس بالبدن كاختلاط سائر المخلوقات بالكون وهذا تصور غريب أو غير قريب إلى الذهب فسريان المخلوقات كل لحاله وكل في فلك يسبحون فيعتبر هو أن هذا الفلك هو الجسم، وأن ما يسبح فيه هو بمثابة الروح أو النفس. ومن رأى أن سريان النفس في البدن كسريان الماء في الشجر أقرب في التصور إلى العقل من غيره وعموما كلاهما رأي فلا نقوي قول على قول إلا بدليل ولا دليل عند هذا ولا ذاك.
[132] كذلك يرى أن النفس تتحكم في الفكر كما يتحكم النفس في البدن فإذا توقف النفس توقف البدن فكذلك إذا توقفت النفس عن التفكر توقف البدن عن الحياة وخرج منها إلى الموت.
[133] هذه نصيحة طيبة فليكن سعي الإنسان محسوب محكم مقدر مدبر فلا يعيش حياة العبث واللهو ويضرب لك مثال حي فيقول إن الفلاح لا يزرع الأرض من أجل الجمال أو للعبث بل يزرعها ويسهر عليها لأجل أن يأخذ ثمرة النبت الخارج منها فيحصد نتيجة تعبه وجهده فكذلك عليك أن تعمل في الدنيا من أجل أن تحصد في الآخرة، ولا تنشغل بما لا يعود عليك خيره أو نفعه في الآخرة.
[134] يصدق قوله هذا قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ فما كسب الإنسان في الحياة الدنيا وجد حاضرا يوم القيامة ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ سواء كان هذا العمل خيرا أو شرا وجوزي به عدلا وقسطا ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

وكذلك قوله إنما هذا مثال، فكذلك قولى إنما هو غيض من فيض مما جاء به القرآن الكريم عن صفة الحساب يوم القيامة وجزاء المحسنين وعقاب المجرمين.
[135] سورة هود: (الآية: 20).
[136] سورة سبأ: (الآية: 37).
يريد أن كل إنسان إنما ينال جزاء ما عمل إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا أي كل عمل من جنسه يكون الرد كما قال الله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾.
[137] ينصح الشاعر بأن على المسلم أن يحاول جاهدا أن يسلك السبل التي تجعل الله تعالى يرضى عنه ويقبله ولا يكون ذلك إلا بتحري التقى والسعي وراء فعل الخير فإنه الباقي كما أنه إن كان ممن يتحرى سبل الخير بالأحرى أن يجتنب الآثام والمنكر والفواحش الظاهرة والباطنة التي تأكل الحسنات التي يسعى إلى تحصيلها فإنه إن حصل الخيرات ولم يجتنب المنكرات فكأنه لم يفعل شيئا إذ تأكل هذه تلك.
ومن أسباب حسن العبادة هو ترك جلساء الدنيا أو اللهو أو من يشغل عن ذكر الله تعالى واتخذ مكانهم الانفراد والعبادة لتنتفع بذلك عندما تنفرد في قبرك فتكون أنت وعملك فقط فجهز لذلك اليوم ولتلك الوحشة وأعد لها عدتها حتى لا تأتيك على غرة وأنت خالي الوفاض.
وينصحك فيقول لا تنظر إلى ظاهرة هؤلاء الجلساء فإن من يظهر لك المودة والنصح إنما هو في الحقيقة بضمر لك الشر والعداء، ويدعى أنه لك ناصح أمين حريص على ما ينفعك جاهدا إلى تجنب ما يضرك.
يقول الشاعر من خلال خبرته إنه يرى باطن الدنيا سموم كسموم الحيات الأراقم وهي أشر أنواع الثعابين، وظاهر الدنيا أيضًا كظاهر الحية الرقماء فالدنيا مزينة ومجملة ومغرية، كذلك الحية الرقماء إنما هي ناعمة الملس جميلة المنظر مزركشة مبرقطة مرقمة وإذا لدغت قتلت، كذلك الدنيا تغري بني آدم ثم هي تغدر بمن أمن لها غدرة لا يفوق منها إلا بين يدي الله عز وجل قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.
[138] هذا تشبيه طيب جميل نبه عليه وعرف به رجل خير القلوب والنفوس والدنيا فجاء تشبيهه غاية في المطابقة فانتبه لهذه النصيحة وحذار أن تجذبك الدنيا إذا وافقتها وإن جذبتك مرة فلا تدم الملاصقة لها حتى لا تكتسب صفتها وتستمرئها وتصير من عشاقها والداعين إليها. وينصحك بأن البعد عنها أمان منها، ويعرفك بأن ذلك ليس عيب في القلب وإنما خلقه الله تعالى هكذا لكي يميل إلى الروحانيات فلا تفسده بتعريضه للدنيا واحرص على تعريضه للخير وأهله حتى يتأثر بهم ويؤثر في غيره بالخير، والزمه دوما بما قال لك ربك في كتابه ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فمداومة مجالسة أهل الصلاح تكسب القلب طهرا وعفة ورقة وصلاحا ونورًا وبهاء فكأنك تديم غسله من درن المعاصي فلا يبقي فيه شيء وينفر بطبعه من أهل الدنيا بعد ذلك ويميل دوما إلى أهل الآخرة، ويصير ذلك ديدنه إلى أن يلقى الله سليما ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، فحافظ على سلامة قلبك بعدم تعريضه للدنيا.
[139] يريد أن النفس تكون أول أمرها شفافة صافية نقية لا عكر فيها ولا كدر ولا شوائب ولا غبار، ثم إنها عندما تريد أن تنتقل من حال إلى حال أعطاها الله تعالى قدرة على هذه الحركة ومع هذه القدرة أعطاها اختيارا فما تريده يسهل لها أمر قضائه فإن عودتها على سلوك طريق الخير

والسير فيه ازداد نقاء تلك الزجاجة وزاد حتى تصير وكأنها منيرة وتؤثر فيما حولها، فيصير وكأنه تجمع ضوئي كثيف أو حزمة ضوئية تنطلق في حياة الناس مؤثرة فيما تقع عليه تأثيرا خيرا إيجابيا فعالا نافعا لها ولغيرها.
أما إذا أهملها فإنه تتجمع عليها الأتربة والأوساخ فتظلم شيئا فشيئا حتى ينطفي برقها ثم يذهب لمعانها ثم تغبر ثم تسود، ثم تصير كالكوز مجخيا لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا. فاحذر وانتبه ولاحظ نفسك لا تنفلت منك فقيدها بالعقل وألزمها بالخير تسعد وتسعدك في الدنيا والآخرة. ثم نصف الشيطان فيعرفه تعريفا موجزا شاملا فيقول إنه عبارة عن جميع الأعمال الرديئة والصفات الذميمة، فاحرص على عدم الاتصاف بهذه الصفات الذميمة، وحاول أن تكون رقيبا على نفسك حتى لا تجتاحك الشياطين فتنفلت منك النفس ولا يمكنك إعادتها إلا بمجهود جهيد وعناء شديد وصبر طويل.
[140] هذا قول جيد مقبول موضوعة حيث لا يسمي النفس بغير اسمها ولا ينسبها إلى ما لا نسبة لها إليه ولكنه يصف أحوالها من حيث الطاعة والمعصية فيصف حال الطاعة بأنه وجه عال وحال المعصية بأنه وجه سفل يريد إشراق الطاعة وظلام المعصية.
ويرى أن الوجه الذي هو الطاعة كلما كان إلى الحق متجه كلما كان الإنسان صاحب سمو ورفعة وفضل وحسن طباع وسيرة والوجه الذي هو إلى المعصية فهو وجه فيه زلل وفيه شطط يميل حيث مال الناس عن الحق ويشرد حيث شردوا عن الشرع وينزل حيث نزلوا عن الطاعة. وهو يراها كالنحلة لها وجهان وجه خير هو العسل ووجه شر هو اللسع. ويرى أن للعقل عليها سلطان يشدها عن الزيغ وعن الزلل وعن المعاصي وينصح بأن تتبع النفس العقل حتى تقبل على الطاعة وفعل الخير في كل وقت وفي كل مكان.
[141] النفس هي النفس والملائكة هم الملائكة تسمي كل شيء بما سماه الله تعالى وبما علم الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء، فعرف آدم النفس وعرفه الملائكة وعرفه الجن وعرفه الشيطان وعرفه العقل وعرفه الروح فكل هذه وغيرها أسماء عرفها الله تعالى آدم عليه السلام ولكنه لم يعرفه كنهها.
وعرفه عن الملائكة أنهم خلق خلقهم الله تعالى تدبرون أمر الكون بأمره سبحانه منهم من هو مسئول عن الريح ومنهم من هو مسئول عن قبض الروح ومنهم من يكتبون أعمال العباد ومنهم ينزلون بالرسالات إلى الأنبياء إلى آخر ذلك مما عرف الله تعالى آدم من وضائعهم وقال إنهم أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك وأنهم لا يظهرون وما إلى ذلك من صفاتهم التي عرفها له أو للأنبياء من بعده.
وعرفه بالجن وأنه خلقهم من مارج من نار وأنهم منهم الصالحون ومنهم الطالحون وهم مكلفون كبني آدم يطيعون ويعصون ويحاسبون على أعمالهم وأنه لا يراهم البشر وهم يرون البشر.
وعرفه بالشيطان وأنه خلق شرير لا يفعل ولا يأمر بخير قط وأنه يوسوس لبني آدم في صدره ويدعوه إلى الضلال والمعصية ومخالفة الأنبياء وفعل المنكرات ويضله بكل طريق وسبيل وحيلة ولا نعرف عن مخلوقات الله تعالى المرئية والغير مرئية إلا ما عرفنا الله تعالى عنهم وما علمه سبحانه الأنبياء من قبل ولا نتقول على الله تعالى ما لا نعلم.
وعرفه النفس وأن منها نفس لوامة ونفس أمارة، ونفس مطمئنة ولم يعرف عنها أكثر من ذلك وكل ما يقال من تقسيمات وتفريعات وأوصاف وخصائص لها أكثر بما وصف الله تعالى فلا نقبله مهما

كان حال أو مكانة المتكلم بهذا الشأن لأنه من غيوب الله تعالى. وكذلك عرف آدم والأنبياء والناس أمر الروح وأنها من أمر ربي وما أوتي الإنسان في أمرها شيء وجعلها الله تعالى من أمره وأودعها فيها بعلمه وحكمه عليك فيها بالجهل المطبق إلى أن تقوم الساعة. فانصح نفس ثم أنصحك أخي المسلم لا تسمع لمن يتكلم في أمر غيبي مهما كان هذا الأمر إلا بما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأن المتكلم في هذا الشأن بما هو أزيد سألناه من لك هذا؟ ومن أخبرك بهذا؟ ولماذا تقول على الله ما لا تعلم؟ فلا نعير أهل الطبيعة ولا أهل الشريعة في هذا الأمر سمعا ولا نسمح لهم بإشاعة مثل هذا. فمن زجل في العالم الأكبر كما من الطحال ومن المريخ كما من المرارة الصفراء، ومنه مالك. ومن المشتري كما من الكبد ومنه رضوان، ومن الزهرة [20/ب] كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ. ومنها روحانية [20/ب] الحوت. ومن عطارد كما من الدماغ، ومن القمر كما من الرئة. ويعاون بعضها بعضا في الأمر الواحد فتبارك الله أحسن الخالقين.

[142] يصف النفس بأنها كالبيت العتيق وأعضاء البدن متصلة بها اتصالا غير ملحوظ ولا مشاهد ولكن الكل متصل بها كاتصال الأفلاك والأملاك والأرض بالبيت العتيق فكل مرتبط به بطريقة أو بأخرى فكذلك أعضاء البدن مرتبطة بالنفس.

وكما أن الخلق يتحلقون حول البيت في ظاهرهم، وقلوبهم به مرتبطة متعلقة فكذلك حال النفس والبدن ولأجل النفس صارت جميع الأعضاء وإذا زال زالت لأنها من أجل النفس خلقت فهي المسيطرة عليه. ويقول لك الشاعر فاعرف أن النفس مخلوقة وخلق لها هذا البدن كما ضربت لك هذا المثال البيت والخلائق، ثم يعود إلى وصف رب البيت سبحانه حي عليم قادر متكلم مختار مبصر سميع كل هذه الأوصاف مع تناف التشبيه بينه وبين الأعضاء المذكورة في البشر أو المخلوقات لأنه سميع بغير أداة الأذن التي عندنا وبصير بغير أداة العين التي عندنا وهكذا سبحانه ليس كمثله شيء.

[143] يريد مفهوم المخالفة بأنه إذا كان العالم غير عامل بما علم فلا قيمة له ولا قيمة لعلمه، حيث لم يثمر شيئا ولم يؤثر فيه ولا فيمن حوله وشبهه بمن يحسب أموالا أو أحجارًا وأشياء لا وجود لها فما قيمة هذا الجهد فيما لا مكسب فيه ولا خسارة ولا ناتج من ورائه إلا التعب والكلل وقال إنما يفتقر التاجر إلى الحساب ليعرف مكسبه من خسارته فإن التاجر إن لم يحسب لما عرف ما إذا كان يسير في طريق الربح أم في طريق الخسارة، فالحساب هو الذي ينير له هذا الطريق ويبصره بحقيقة أمره ويرشده إلى الاتجاه الصحيح فهو أفقر ما يكون إليه.

وقوله أن عدم الأعمال أشد ضررا من عدم المال فإن عدم المال إنما ضره هو الافتقار فيضطر الإنسان أن يسعى إليه أما عدم الأعمال إنما هو مفسدة للمرء أي مفسدة كما قال. إن الفراغ والجدة: مفسدة للمرء أي مفسدة فالفراغ يدفع إلى الشر والمعصية والسعي وراء ما لا يحل فهو يريد أن يقصي على هذا الفراغ فلا يجد في نفس حاله إلا الفساق الفاسدين أما الجادين فإنهم في أعمالهم فيفسد المرء بفساد أصحابه، فالفراغ إن لم يستخدم في الخير استخدم في الشر والشر يعود على صاحبه بمثله في الآخر بل أضر.

[144] يريد المؤلف أن يقول إنما كتبت ذلك لأقدم لك هدية وألاطفك بما ينفعك ويفيدك ويدخل عليك السرور والمعرفة في آن واحد. فيقول أنك إن عرفت الله تعالى قطع عنك كل شيء تعلقت به ولم

ترد سواه وأغناك عن كل شيء، لأن معرفته هي كل شيء حيث خلق الكل من أجل أن يعرفوه فلو عرفته فقد عرفت كل شيء، وإذ عرفت كل شيء فما حاجتك إلى الأشياء؟ فإنه سيعطيك كل شيء.
[145] أعطى الله تعالى التصريح بأن الإنسان أمير نفسه إن شاء أخذها إلى الخير والصلاح والجنة والرضا والرضوان، وإن شاء أخذها إلى ما هو على العكس من ذلك. والمؤلف يقول: إن النفس ملك بالقوة ممكن أن يكون ملكا بالفعل، أي إذا نميت فيه جانب الخبر الملائكي كانت كالملاك فلا تفعل ولا تسير ولا تأمر إلا بالخير ولا تدعو إلا إليه فعليك بمراعاتها في هذا الاتجاه حتى تصير طبعة لك فقد جبلها الله على ذلك وملكك أمرها. وكذلك هي شيطانا بالقوة ممكن أن تكون شيطانا بالفعل، أي أن الله أودع فيها هذه الصفات التي إن أردت إخمادها خمدت وإن أردت إذكاءها زكت فعليك بإخماد هذه القوة التي فيها فقد ملكك الله تعالى هذه القدرة للسيطرة عليها فإن أنت كبت جماحها ووجهتها نحو الخير سارت معك إليه، وتركت جانب الشيطان أو نام فيها وهمد وخمل وغلب عليه جانب الملاك فصارت خيرة طيعة قنوعة مخبتة رقيقة حانية، والزمام في يدك أنت في أي اتجاه أردت سار تفسر بها نحو الخير.
[146] يريد أن الأشياء تعرف بنظائرها أو متضادها أو بموجدها، وأنها تنبني على بعضها البعض، أو أنه يتبع أولها آخرها وكل أمر لا بد له من آمر، وكل محدث لا بد له من محدث وهكذا لنعرف بالظاهر ما وراءها من البواطن أو نسعى لمعرفة تلك البواطن والتي هي في الحقيقة سر هذا الظاهر.
[147] يرى المؤلف أن كل ما هو مشاهد في الكون ليس هكذا وليس له معنى لا بل له معاني وليس معنى واحد يعرف ذلك بالعقل فهو لا ينظر إليه نظرة سطحية ولو نظر إليه نظرة سطحية لفقد العقل قيمته أو لأهملت خصائصه وتساوى مع باقي الدواب، والمؤلف يرى أن العقل هو النفس وإذ يراه كذلك فبتوقفه عن التفكير يكون البدن قد مات، فما دام حيا فعليه أن يعمل فيما يرى من الكونيات من ثوابت ومتحركات ومتغيرات ليرى وليعرف ما ترمي أو ترمز أو تشير إليه من هذه الظواهر التي هي عليها فيعرف حقائقها أو بواطنها، وعندما يعرف حقائق الأشياء فإنه يرتاح لذلك راحة كبيرة جدا فيصير سعيدا لأنه عندما يعرف الحقائق يحسن التعامل معها حتى لا يكون جاهلا بالحقائق فيخطئ في التعامل.
[148] المصائب كثيرا ما تجعل الإنسان يفيق مما هو فيه من الغفلة واللهو العبث والمجون وتعود إلى خالقها وباريها وأن اللهو والخروج عن مرسوم الشرع وارتكاب المعاصي يصيب القلب بالران الذي هو يشابه الصدأ الذي يطرأ على المرآة فتراها تنطفئ يوما بعد يوم حتى تصير سوداء لا شكل لها بل منظرها كئيب شين لا جمال فيه ولاحتفل ولا بريق ولا لمعان، ولكي نعيد إليها رونقها وجمالها فإنه علينا أن نعيدها إلى النار مرة أخرى.
وهذا ينطبق مع التشابه مع العقل أو النفس فهي إذا اكتسبت ما اكتسبت من الآثام فإنها لكي تعود إلى صفائها ونقائها وفطرتها يجب أن تطهر من ذلك بالتوبة أو بالبلايا والمصائب والمحن التي تجعلها تعود إلى رشدها وصوابها وتصقل وتلمع وتصير نفسا طاهرة نقية مطمئنة لوامة بعد أن كانت انغمست في مستنقع الأمارة وفي غالب الأحيان ما تعيد المحن والبلايا إلى النفس صورتها الأولى.
[149] ما كان الإنسان ناطقا فهو في حالة وعي وفهم وإدراك وقصد مما يعمل أو يقول أو يعبر عنه وأما إذا سكت فيكون سكوته نطقا بالتفكر الدائم فيما كان أو يريد أن يكون أو ما سيكون فيدبر

له لو كان ماذا يجب أن يكون.
ومن صفاته أيضًا أنه إذا لم يشغل بالخير شغل نفسه بالشر سواء كان هذا الشر ضارا له في الدين أو الدنيا أو ضار له فيهما، فهو لا يفكر إلا في أن يعمل سواء كان العمل خير أو شر فعلى الوعي أن يستخدم عقله فيما يفيده في الدنيا والآخرة حتى لا يجر عليه عقله البلايا والفتن في الدارين.
[150] وهذا قول حكيم فإن الله تعالى خلق للإنسان كل ما في الكون وسخره له لا لشيء غير أن يعبد الله تعالى ولتقوم عليه الحجة بأنه كان مدعو إلى عبادة الله تعالى وأنه تركها طوعا لا كرها وتركها اعتراضا منه عليها لا قهرا من غيره له أو عليه فالله سخر للإنسان كل شيء حتى الملائكة يحفظونه من أمر الله، وينصرونه في الحرب ويؤازروه ويؤيدوه. وإن لم يستعمل الإنسان العاقل العقل في النفع لنفسه اجتاحته الشياطين، فاستعملته، وفيما تستعمله الشياطين؟ تستعمله في كل ما يضره في الدنيا وفي الآخرة، فانتبه لذلك جيدًا.
[151] يقول إن الإنسان إذا قدر على السيطرة على نفسه سهل عليه اتباع أمر الشرع وكان هو شغله الشاغل عبادة ربه ومولاه، ويحافظ على كل ما ينفعه في آخرته ويعطي نفسه حظها من دنياها لكن بقدر ما يجعلها لا تتمرد عليه وتسير معه نحو ربه في هدوء ويسر. وهذا يبين أن من أحسن قيادة نفسه أعطى على ذلك مقدرة من ربه عظيمة تجعله يجمع بين الدين والدنيا ويكون توحيده خالصًا.
[152] يريد أن لكل أمر ظاهر وباطن وأن النفس ترى بواطن الأمور كثيرا وتعرف حقائق الأشياء إذا صفيت وكانت حسنت العلائق بربها وكانت نفس نقية تقية فالصور التي تراها أمامنا صورا معينة تعرف النفس معانيها ومدلولاتها في حالة ما أن تكون سليمة لم تدنسها المعاصي والآثام وما لم يرن عليها من...
[153] في الهامش: مطلب مهم كاف لكل طالب نجاة نفسه.
[154] الكل يتفق معه أن الله غني عن عبادة عباده، ولكن جعل فؤاد عبادتهم عائدة عليهم بقوة أعطاها لهم سبحانه يتحركون بها حيث شاءوا نحو الخير أو الشر.
ولم يتركهم هملا بل أرسل إليهم رسلا ليبلغوهم ويعرفوهم مراد الله منهم وأوامره ونواهيه، وثوابه وعقابه واستدراك ما فاتهم من المعاصي بالتوبة والاستغفار، وعرفهم أن عظيم ثوابه في الصبر على عبادته وبلائه، وأن غاية مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة على الحقيقة هي رضى الله تعالى عنه فمن رضي الله عنه فاز فوزًا عظيما.
[155] ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، فهذا القول منصوص عليه في القرآن، وقال ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ﴾، وقال ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وقال: ﴿مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.
[156] تقريع لمن انساق وراء هواه وشهواته وملذاته ناسيا أو متناسيا أنه إن كان غافلا لم يغفل عنه وإن كان لاهيا لم يله عنه بل كل شيء يفعله في كتاب مسطور لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ويجده يوم القيامة أمامه منشورا لا ينكر منه حرفا واحدًا.
وينصحه قبل فوات الأوان أن يفيق من هذا النوم أو تلك الغفل التي غاب فيها عن الخير وغفل فيها عن مصلحته وغط فيها عن الصلاح ويقبل على ربه فيقرع باب التوبة بدموع الندم وتضرعاته الأسف وتوسلات الحزن عسى الله أن يرضى عنه وأن يستجيب لتوسلاته.

وينصحه بأن لا يضيع الباقي من العمر في التفكر فيما كان فلقد كان وما كان فقد كان ولا فائدة من تذكرة دون إصلاحه وإصلاحه في الندم والتوبة والاستغفار، أما أن تندب حظك دون ما عمل يخرجك مما أنت فيه فلا فائدة من ذلك، توجه إليه وقف ببابه وسأله العفو يعفو عنك فقط قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

[157] في المخطوط: "تجاه" وهو تحريف والله اعلم.

[158] هذا تأمل منه ربما لم يوافقه عليه الكثير فكيف يرى ما في البحيرة على ما هو في البيت؟ ربما كانت هذه حالة مر هو بها أو توهم توهمه أو ملاحظة لاحظها أو حدثت لأحد حكاها له ولكن مهما حاولت أن تتخيل شيء في بحيرة فلن يحدث ما تتخيله غير أي لن يحدث ما قال عليه هو هنا، وأن حدث بعض التخيل، فربما جاء على ما يتخيله المتخيل لا على ما قاله المؤلف، فلا يعتد بقوله هناك ولا يحتج به ولكل جواد كبوة ولكل عالم زلة.

[159] هذه طبيعة في كل نفس إذا منع منها محبوبها تحولت وتغيرت واضطربت واختل كل كيانها وتحيرت وفكرت في كل السبل التي بها يمكنها أن تصل إلى محبوبها مهما كلفها ذلك وهي تتصرف في تلك الأثناء بغير حكماء ولا اتزان ولا تدبر للأمر ولا تروي ولا عقل.

وتملكها الغضب كان السبب في ذلك فإن لاحظ الإنسان من نفسه شيء من ذلك فليراجع نفسه يجد أن السبب هو الانشغال بالدنيا فليبعد عنها يجد لنفسه الانبساط والانشراح قد عاد إليها.

[160] يريد أنك ما دمت لم تظلم نفسك ولم تظلم غيرك فليس هناك ظلم مهما تقول المتقولون، فاحرص دائما على عدم ظلم الناس وإياك أن تظلم نفسك ثم تحرك في الحياة كيف شئت.

والإنسان بطبعه خلق يميل إلى النوعين أو إلى الخير والشر فمن أراد الخير يسر له سبيله ومن أراد الشر يسر له سبيله، فاحرص على الخير تنجو.

ويريد بقوله ترحل منك إليك أي أن تقبل على نفسك لنهذبها وتقومها وترعاها وتأخذ إلى سبل وأسباب الخير وما ينفعها بعد تعرفك الجيد عليها، ثم تقبل على جسمكَ الذي به نفسك ليطيعها جيدا في أمر الخير حتى يكون سهلا عليها قيادة، ثم تقبل بعد ذلك رسل الله إليك لتنظر بما أمروك وعما نهوك فتطيع أمرهم وتسلك سبيلهم ليسهل أصفاء الله لك لما بك من الخير ولما تحصله من الحسنات، وتقبل إليه فيصير ما بينك وبين الله أقوى مما بينك وبين نفسك، ويقطع علاقتك بالناس ويقوي صلتك به ويقضي لك حوائجك عندهم، فيحتاجون إليك ولا تحتاج إليهم.

[161] يريد أن أحب غر الله تعالى وتعلق به فإنما تعلق بما يغني من تعلق بالله فقد تعلق بما يجب التعلق به، والعقل منزه عن ذلك لما أودع الله فيه من خاصية الفهم والتمييز وحسن الاختيار. ويريد المؤلف رأيا حكيما هو أن ما لا بقاء له فلا فرق بين كثيره وقليله حيث كله فاني. ويرى أيضًا أن من الخداع أن تتعلق النفس بالأشباح التي هي إلى زوال، فما قيمة هذا التعلق.

ويرى العقلاء أن التعلق بالصور والأشباح من خطأ بدليل سرعة تحول أصحاب هذه الصور إلى أعداء الداء إذا لم يقضي لهم مأربهم أو إذا أخذوا ما قصدوا أو نالوا ما أرادوا فالتعلق بهم وهم وهو في الواقع إلى زوال، واستدل الكاتب بقوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أي إلى ماذا يؤل أمرهم، فلا يمكن التيقن من استمرار رحب المحبوب الذي هو الشبح والمقطوع به هو استمرار حب الله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾.

وما حكم عليه بالفناء والزوال ما هو الداعي إلى السعي وراءه والجري للحصول عليه إذ من الممكن أن تكون لحظة الإدراك هي لحظة الفراق فلماذا هذا التعب الذي لا يغني؟!

وما دام الأمر كذلك فالأولى بك أن تسعى إلى معرفة نفسك وأن تتعلق بالله تعالى الذي هو الأبقى والمجازي على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة عفوا وغفرانا عندما يتوب إليه العبد ويتوجه إليه، وقد قالوا: من قصدته فهو قاصدك ومن توجهت إليه فهو متوجه إليك فبادر بالتوجه إلى الله تعالى قبل فوات الأوان.

[162] هذا قول خبير صبور حكيم محب عليم مقبل على الله ساعي إلى حبه وتمنيا رضاه حريصا على لقياه، فهو يقول:

اجعل جسدك بيتك فيحصر النفس داخل هذا الجسد ولا يجعلها تبرح هذا المكان في أي وقت ولا في أي زمان ويجعل أفضل ما يملك في البيت هو خلوتك التي يجلس فيها أو تقطن فيه منتظرا أن يفيض عليه ربه ينظر إليه فيجده مترقبا لرحمة محتاجا إلى رضاه متشوقا إلى لقاه.

ومن أفضل ما يحب المحبوب هو أن يكون مع حبيبه في مكان خال لا يطلع عليهم فيه أحد من أنس ولا جان فكيف إذا كان المحبوب هو الله سبحانه فإن أفضل العبادة ما كان في الخفاء من قيام أو صيام أو صدقة فيكون أجر ذلك مضاعفا فإذا وجد الله تعالى أن قلبك خاليا إلا منه أفاض عليك من رحماته وأنزل عليك من بركاته ورضي عنك رضا لا يغضب عليك بعده أبدًا.

[163] جعل المؤلف أفضل ما يكتسب في الحياة كلها العلم وجعل قيمة العمر في كم العلم لا طول ولا قصر.

ولا يعرف قيمة العلم إلا من هو عالم ولا يعرف مضار الجهل إلا من علم بعد جهل.

وأن من لم يكن عالما مهما أوتي من العلم إنما هو قصير العمر مهما طالت عدد السنين التي يقضيها في هذه الدنيا الفانية فالعلم هو العمر والعلم ليس إلا علم الآخرة أو علم النفس أو بالأحرى حقيقة النفس وحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة.

[164] هذا تقسيم اخترعه المؤلف وتصوره ولم يستدل عليه بشيء من قرآن ولا سنة صحيحة فلا يعتد بهذا القول ولا يلام عليه إذا لم يلزم به أحدًا ولم يقطع يكون صحيحا ويجب العمل به بل ذكره من قبيل التأمل والملاحظة.

[165] الخبر ليس صحيحا وقد نسبه بعضهم إلى سيدنا علي رضي الله عنه وتتمته: "إذا ماتوا انتبهوا" وأطرافه عند: العجلوني في كشف الخفا (2/432)، ابن عراق في المغني عن حمل الأسفار (4/23)، السيوطي في الأسرار المرفوعة (368).

المؤلف يستغرب من غفلة الإنسان عن الأمور البديهية كيف يغفل عنها فيقول متعجبا كيف تطيع الشيطان وقد أمره الله تعالى بتكريمك فأبى، ونهاك عن طاعته فأنت تلهث خلف ما يأمرك بها جاهدًا على طاعته وإرضائه، إن هذا الأمر عجاب، ثم ذكر الخبر الذي ظن أنه صحيحا مستشهدا به على غفلة الإنسان وجهله بحقيقة الأمر أو تجاهله له.

[166] هذا قول صوفي غارق في الإشارات والتلميحات وإنما لنا ما باشر من الخطاب وأفاد إلى طريق الله وكان واضحا للفهم قريبا للعمل سهلا عند التناول أو الإطلاع عليه والوصول إليه بلا لف ولا دوران وتعب للأفكار أو الأذهان.

[167] زيادة من عمل المحقق غفر الله تعالى له.

[168] زيادة من عمل المحقق غفر الله تعالى له.

[169] زيادة من عمل المحقق غفر الله تعالى له.

[170] هذه طريقته في تهذيب النفس وليس كل نفس يصلح لها ما يصلح لغيرها وإنما أراد الإطار العام فهو يرى أن أفضل الأساليب في التعامل معها هو الحرمان، والإجهاد، ثم الاستعانة بالدعاء.
وقد يأتي الحرمان والإجهاد بنتائج عكسية مع نفس وإيجابية مع أخرى فكل إنسان عليه أن يحتال على نفسه بالطريقة التي يرى أنها تنفع معها بعد تجريب ما وصف هو من الدواء لترويضها. أما قوله فيما يستعان به على الشيطان فالقول فيه كما قلت في النفس غير أن التعرف على مكائدة كثيرة وأما وساوسة فإنها تدق على المعرفة بسهولة فنعوذ بالله منه ومن وساوسه وشروره.
[171] يريد أن ﴿مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي من شاء الهدى هداه الله تعالى ومن شاء الكفر كفر ولن يمنعه الله، فالله تعالى لا يجبر أحد على الإيمان ولا يجبره على الكفر ولكنه ييسر له طريق الهدي وطريق الضلال وهو يعلم أنه سوف يسير في أي الطريقين مسبقا فعلمه سبحانه لا إجبار فيه على أحد إنما يمكنه من الفعل ويعلم أنه لا يفعل ويدل له على الطريق ويعلم أنه سوف يسير فيه أو لا يسير فيه فهو مجرد علم لا إجبار ولا كراه ولا إلزام.
العبارة الأولى وهي قوله زيد لا يمكن أن يصوم أي أن زيد يقدر على الصوم ولكنه لا يرغب فيه ولا يعمله أبدًا اعتراضا منه عليه. أما قوله: زيد لا يمكنه أن يصوم: أي أن زيد يريد الصوم ولكن يحول بينه وبينه حال من مرض أو غيره فهو يريد الشيء ولكن يمنع عنه قهرا أو قصرا، فهذا الفارق بين العبادتين.
[172] يريد أن عليك أن تلاحظ نفسك وتتعهدها دائما، وترعاها وتأخذها من الضلال إلى الهدى فكلما نبت فيها نبت أو مالت إلى ما لا يجب فعليك أن تردها إلى الصواب ولك في ذلك الأجر من الله تعالى، ولا تمل ذلك فكلما عادت وعدت كلما أجرت على إماطة الأذى عنها وعنك.
[173] يريد ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي أنك عندما تستمع إلى القرآن في هدأة الليل أو في صلاة الفجر فإنها أوقات تكون النفس في أعلى درجات صفائها فعندما يتلى عليك القرآن فتمعن في معاني كلماته، فهو يرى أن القرآن عبارة عن فهرسة لجميع الكلمات وأنت أثناء التلاوة يعرض عليك معاني هذه الكلمات الكونية فالتقط في أول نهارك كل يوم منها معنى أعمل به في يومك كله تفوز بهذا اليوم في آخرتك ثم افعل ذلك من غدك، فإنك لو تتبعت ذلك كنت من أوائل الفائزين فأنت تفتتح يومك بتلقي كلمات الله لتعمل على نورها يومك هذا باستمرار يوم بعد يوم فأين يكون الخروج عن الشرع وأين يكون مكان الشيطان من نفسك؟ إنك بهذا تعلو بنفسك في سلم الصالحين إلى أن تصل إلى رضى رب العالمين فتكون من أوائل الفائزين برضوان ونعيم.
[174] جاء بهامش الصفحة تعليق بقلم الناسخ نصه: يريد الحديث: "موتوا قبل أن تموتوا".
وإلا لو مات على جهله لما ازداد إلا بعدًا. "يموت المرء على ما عاش عليه" حديث. أ.هـ.
والشاعر هنا يصف حال الناس بأنهم جميعا ساعين جادين إلى الموت ما منهم أحد في هذا الأمر يهمل. ويقول أن الموت باب الله المحتوم الدخول منه لكل طائع وعاص لا يهرب من هذا الباب أحد فلا بد أنه داخله لا محالة له من ذلك.
ومن بين الناس أقوام يطوقون لهذا الباب لأنهم راغبون في لقاء الله تعالى فهم أشد شوقا إليه من شوقهم إلى أنفسهم فهم متعجلون إليه راجيا أن يلجوا هذا الباب لعلمهم بأنه من خلفه نعيم مقيم وذهاب ما هم فيه من الهم والحزن والكد والتعب.
والمراقب للموت يعلم أن الرب واحد إذ هو يحيي وهو يميت وما عداه من شهوات وهوى إنما هي أصنام صنعها الإنسان لنفسه وعبدها فهلك بنفسه فيما صنع لنفسه. فالحياة هي الموصلة إلى تلك

الجنة المرتقية لمن عرفها والنار المؤكدة لمن أهمل أمرها فاللهم اجعلنا ممن عرف قدرك ورجي رحمتك.

[175] من أراد أن يحيى حياة الأبرار الأطهار الأخيار وينعم برضى الله الملك الديان فعليه أن يميت شهوات النفس وأن ينظر بمرآة العقل في الأمور التي أراد الله منه أن يسعى إليها وأن يرتقي فيها لينال رضاه فإنه إن فعل ذلك فقد أحي نفسه بعد مماتها، ومن خالف ذلك فقد أمات نفسه باتباع شهواتها.

[176] يريد أن العاقل من عرف طريق الحق الإلهي وسار فيه قاصدا الوصول إلى رضى الله تعالى فهو يعلم أن ذلك الطريق هو الطريق الصواب وأن ما عداه هو الباطل الماحق للخير والسعادة، وأن هذا الطريق هو الطريق المساوي لطريق العارفين المحققين الكمل الفاهمين والذي هو رضا لرب العالمين.

[177] هذا قول غير مقبول فمهما رقي الإنسان في سلم الطاعات واجتهد في العبادات فلن يعرف سر الكائنات ولا مكنون المصورات فلن يعرف ما في الصدور إلا باريها أو يصفح صاحبها عن مبانيها أما هذا القول فيغير مقبول وهو اطلاع للغيب لا يقول به عاقل فضلا عن عالم فاضل فلا يمكن أن يعرف إنسان ما قصد هذا العصفور من الزقزقة ولا ما تخاطب به الدواب بعضها إنما يعرف ما أعرب عنه اللسان البشري إلى الأذن البشرية لا يعرف مطلقا ما تكن نفس غيره أو ما يحدث به نفسه إلا الله سبحانه وحده ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ هو وحده ووحده فقط لا نبي ولا ملك فاحذر أن تنساق وراء زخرف الكلام فتقع في ما لا يحل لك فيه الكلام، فالغيب مكنون لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى.

[178] زيادة يتطلبها السياق سقطت من الناسخ سهوا وهو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو القاسم ابن الثلاج، الشاهد.

ولد سنة: (307). وتوفى سنة: (387). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الشيخ، المسند، المحدث،... أصله من حلوان... حدث عن البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، ويحيي ابن صاعد، وخلق بعدهم، وكان مكثرًا.

روى عنه أبو عبد الله الصيمري، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي، وأبو القاسم التنوخي، وآخرون. وليس بثقة.

قال التنوخي: قال لي: ما باع أحد ما أسلافي ثلجا، وإنما كان جدي مترفا يجمع له ثلجا كثيرا، فمر بعض الخلفاء بحلوان، فطلب ثلجا فما وجد إلا عند جدي، فوقع منه بموقع، وقال: اطلبوا عبد الله الثلاج، فعرف به. قال عبيد الله الأزهري: كان ابن الثلاج يضع الحديث. وقال الدارقطني: لا يشتغل به، يضع الأحاديث والأسانيد. مات في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ومن مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء (16/461)، تاريخ بغداد (10/135)، العبر (3/34)، ميزان الاعتدال (2/497)، البداية والنهاية (11/321)، لسان الميزان (3/350) شذرات الذهب (3/122).

وقوله: ارحموني من رأس ماله يذوب فإنه ربما أراد به عمره ينقص يوما بعد يوم فهذا ذوبان رأس مال الإنسان وما مال الإنسان إن لم يستثمره، ذاب بل ليته ذاب وفني ولكنه ذاب ثم جمع في موضع آخر فحوسب على ما أسلف فكانت الخسارة أكبر من الذوبان حيث الوقوف بين يدي الديان بلا رأس مال من خير ولا صلاح، وبر ولا فلاح.

أما أن انتبه فقد رعي ماله فنمي وزاد، وما زيارته، إلا أنه جمع الصالحات والخيرات على مدار وجوده في هذه الدار، فنعم بما جمع في دار القرار عند العزيز الغفار.

[179] اللهم عافنا من الزلل والشطط والانحراف عن القول الحق والعمل الصواب وخذ بأيدينا إلى ما تحبه وترضاه وألهمنا حجتنا وآتنا كتابنا بيميننا يا وهاب إنك أنت رب الأرباب وأنت العزيز التواب .

[180] يريد أن من أطلق لنفسه عنان الشهوة ولم يكبت جماح هواها حرمت في الآخرة نعمة الراحة ومنعة النعيم، فقد أخذت نصيبها في الدنيا، فليس لها في الآخرة نصيب لقد حرمت في الآخرة ما استمتعت به في الدنيا والفرق بين الدارين كبير فليحذر المفرط في أمر تقويم نفسه لأنه بهذا يحرمها من النعيم الدائم ويمنحها بالنعيم الزائل الزائف.

ومن أخذ على يد نفسه في الدنيا وحرمها هذا الزيف الذي هو نعيم شكلي فقد أسعدها في الدارين فأراحها من ذل المعصية وأنعمها بنعم الطاعة ومتعها بثواب الطاعة وأسعدها برؤية ربها، واتعبها في الدنيا قليلا وأراحها في الآخرة أمدًا طويلا فكل ما حرمته في الدنيا أعطيت أضعافه في الآخرة.

ثم يناديه المؤلف لائما عليه بأنه تسبب في إفساد نفسه بأن جعل قلبه بيتا أو مأوى لشياطين هواه وعبد غير الله وسجن نفسه في سجن المعصية لا تلومن إلا نفسك، فقد حذرك ربك، ثم حذرك أنبياؤه ثم حذرك الدعاة، فقد وقعت في شر أعماله وهذا إنما أصابك من نتيجة ضعفك وإهمالك.

[181] يلوم الشاعر من أوقع نفسه في السجن الحقيقي فهو يرى أن السجن الحقيقي الذي لا مخرج منه هو سجن الشهوات فهو يقضي من سجن الدنيا إلى سجن الآخرة الذي لا نهاية له إلا أن يشاء الله تعالى فيعفو بعد أن يكون قد نال ما لا يظن من الأهوال والشدائد.

ويرى أن كل من حافظ على نفسه من المعاصي ولـم يطلق لها العنان في الشهوات فقد أنقذها من سجني الدنيا والآخرة ففاز فوزًا عظيما.

ويرى أن الجن هم الداعين إلى هذه الشهوات وأسلحتهم إنما هي التخويف ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾، و﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾، فمن خالف الشيطان الذي يسميه هو الجن فقد نجا من هذه الورطة التي لا خلاص منها.

ويرى أن من كان طائعا لشهواته فإنه إنما هو عابد لهواه عابد للشيطان ومعلوم عقاب من خالف الله ولـم يطع الأنبياء وأطاع الشيطان ما يكون مصيره في الآخرة، عافان الله وإياكم من المعاصي وألهمنا الطاعة.

[182] الرؤيا في الحياة مستحيلة هذا حكم الله تعالى وهذا مقتضى حكمته أن لا يرى عبدا مهما كان ربه في هذه الحياة الدنيا لا بالنفس ولا بالروح ولا بالبصر، وبالبصيرة هذا حكمه وحكمته سبحانه في هذا الشأن.

أما في الآخرة، فقد اقتضت حكمته سبحانه بأن يرى، وتكون الرؤيا ليست بهذه العين المحدودة التي أعدها الله تعالى لما هو متساوي ومتجاوب معها من نور وظلام وقرب وبعد وصغر وكبر إلى آخر ما يؤثر على النظر سلبا وإيجابا، ثم هذه العين التي نعيش بها ترى كثيرا الأشياء على غير حقيقتها فترى صغيرا عن بعد، وكبيرا عن قرب وترى الشيء ضيق عن بعد ومتسع عن قرب مع أنه ليس كذلك، وترى السراب وكلما سارت وراءه لا تجد شيئا وترى القمر على حقيقته

وتتغنى بجماله وكلنا الآن يعرف حاله، وترى الشمس على غير حقيقتها وهكذا من أحوال العين الدنيوية التي أعدها الله تعالى لهذه الأغراض.
أما رؤية الله تعالى في الآخرة فقد أعد الله تعالى له أعين أخرى قد جهزها لتلك الأحوال لتقوى على رؤية الكبير المتعال، وكذلك الأنفس والأرواح حتى لا يخرج أحد صعقا كما تجلى ربنا للجبل فخرج موسى صعقا.
وهذا كله يعطينا أن الإنسان سيعود إلى ربه في الآخرة هو نفس الشخص لكن ذو خصائص أخرى تليق وأحوال ذلك اليوم وتلك الدار تماما كما، خلقه هنا يليق بهذه الدار التي نحن فيها.
[183] يريد من قوله: وذلك هو المبثوث في الكتاب إليك بحسب الكتاب لا بحسب فهمك من الخطاب.
إن تفسير القرآن إذا وافق الصواب والمراد من نزوله فيها ونعمت وإن لم يصب الصواب فهذا فهمك أنت لا شرع الله تعالى ولا مقصود الذكر الحكيم ولا يلزم به أحد سواك.
وقوله: وأدنى الغضب خروج على الأدب فهذا قول حكيم حدد به الأدب تحديدًا لائقا دقيقا وحدد به بداية الغضب فجعلها الخروج عن الأدب فمن يريد أن يكون خارجا عن الأدب وإن خرج عن الأدب إلى أين يكون قد ذهب؟
فمن أراد أن يظل محافظا على تلك الرياض الطيبة فليعمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم قدر جهد: (لا تغضب) عسى الله تعالى أن لا يخرجه عن الأدب، ولا يدخله في الغضب.
وقوله: وعلامة الوسواس تغير الأنفاس فهذا قول حكيم طبيب خبير جمع بين علمي الطب والفراسة، وهذا أيضًا يضع بين يديك جهاز تقيس أو تختبر به ما إذا كنت في حالة وسوسة شيطان أو في حالة استقرار وهدوء أحوال، فجعل تغير الأنفاس هو العلام المميزة لتغير حالك من الهدوء والطمأنينة إلى القلق والاضطراب فانتبه لذلك واعرف أنها نصيحة من غالية وكذلك قوله: وغض الأصواب فرض في المناجاة، يريد به قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وفى الأثر: أقريب ربنا فتناجيه أم بعيد فنناديه؟
وهذا القول قول طيب يعلم أدب الدعاء وبأي طريقة يكون وكيفية التأدب أثناء الدعاء في ترفق وتذلل وخشوع وخضوع فكل ذلك يتنافى ورفع الصوت إذ لكي يظهر تذلل العبد فإنما يظهر أول ما يظهر في نبرات صوته وهيبته لمولاه فكيف يكون عبدا ذليلا جرئ على مولاه رافعا عليه صوته مجاهرا له بالنداء؟! ويريد بقوله: وكما أن رفع الأصوات يمنع الأذن من السماع الظاهر، فكذلك يمنع القلب من النظر في الباطن. ما أجمل هذه العبارة وأدقها وإصابتها حقيقة ملاحظة من كل ذي لب، فإن الله تعالى دعانا لقيام الليل قائلا ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ فإن الليل موضع السكون وقلة الحركة والهدوء وفيه تظهر أدق الأصوات وأضعفها فاختاره الله تعالى لعباده وفضله قيامه على صلاة النهار لما يصحبها من الضوضاء التي تشغل القلب عن الحضور التام أمام الله وتأمل الذكر ووقع الكلام على القلب وملامسته للمشاعر مما يجعل الإنسان أكثر قربا من ربه وأدرى بما يقرأ أو يقرأ عليه، أما الضوضاء فإنها تكاد تصم الآذان عن السمع فيكون الإنسان غير متقبل لكثير مما يسمع وتتداخل الأصوات وتتصاك الحروف ويعلو الطنين والرنين وتغيب المعاني في هذه الغوغاء التي تنتج عن رفع الأصوات فينصرف القلب عن الذكر والتدبر والفهم، وإذا لا يستطيع تأمل الظاهر من الأقوال فكيف هو يصل إلى ما وراء اللفظ من إشارات، وتلميحات، وإيحاءات تأخذ الإنسان إلى التأملات ليرتقي في سلم الفهم والقربات؟ وكما نهى الله

تعالى عن رفع الصوت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كره أيضًا في رفعه عموما وأخرج صاحب الصوت العالي النشاذ عن مصاف البشر والحقه بمصاف الدواب والبهائم التي لا تعقل، ووصمه بالنكارة وأجرى ذلك على لسان عبد صالح آتاه الحكمة فقال وهو يعظم ولده ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ومعلوم صوت الحمار كيف فهو من العلو والنكارة والنشوز ونفور النفس منه.
فانتبه أيها المسلم الفطن الواعي إلى مثل هذه الحكم والمواعظ والدر بين ثنايا هذا الكتاب وكذلك معظم الكتب فانتفع بها وانصح بها أخواتك عسى الله أن يجعل ذلك زخرا لك يوم القيامة.
[184] يريد أن الإنسان قد فضله الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات وكرمه بالاستقامة في البدن وحسن الصورة في المنظر والشكل وأول ما ميزه به عن سائر ذلك كله هو العقل الذي به ساد وملك وسخر كل ما في الكون حوله وصار هو السيد على كل المخلوقات ووهبه الله تعالى كل ما في الكون سواء كان في السماء أو الأرض ما هو مشاهد وما هو غير مشاهد ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ و﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾.
فعلى العاقل أن يزن أموره فما رأى من عمل مناسب للشرع وللعقل وللفضيلة فهو من فعل الملائكة فلينسب نفسه إلى طائفتهم في هذا الفعل وليزد منهن وما رآه من شر ومعصية ورزيلة فهو من فعل الشياطين فلينسب نفسه إلى طائفتهم في هذا الفعل وليتجنبه ويحذره وإلا صار منهم إلى أن يحشر معهم.
وما رآه من أفعاله شهواني أو حيواني أو لا عقل فيه فليعرفه ولينسب نفسه إلى الدواب التي لا عقل لها وقد وهبه الله العقل غير أنه لن يحشر معهم بل سيحاسب على تركه نعمة العقل التي بها فضله الله على سائر المخلوقات فتركها ونزل إلى ما دونها فلا هو من الحيوان صار، ولا مع الأتقياء الأبرار، فما بقي له إلا سبيل الشيطان وبئس السبيل اختار فلا يلومن إلا نفسه كما قال الملك الجبار ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ و﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.
[185] يريد أن الإنسان ابتلاه الله تعالى بما أعطاه فتارة يبتليه بالخير وتارة يبتليه بالشر ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وفي كلا الأمرين أو الحالتين مطلوب منه الصبر سواء في الخير على الشكر والطاعة فهذه أمور تحتاج إلى صبر وفي الشر والضر والمرض والفقر فكل هذا يحتاج إلى صبر فهو دائما في بلاء وفي حاجة إلى صبر دائم في هذه الحياة.
ومن العجب العجاب أن الإنسان كلما عجز عن حمل شيء طالب بالزيادة عليه فيضيف إلى الهم هموم وإلى الحمل حمول وإلى البلاء بلايا وإلى الذنوب ذنوب وإلى الفتن فتن فإلى متى إلى متى إلى متى.
وإذا دعاه داعي الله الناصح الأمين الخائف الحريص عليه تصاميم وأدعى أنه أصم وتعامى وادعى العمى فكأنه لا يسمع ولا يبصر سوى صوت الباطل وداعي الشر حتى يلاقي يومه المحتوم فيقول: ﴿...رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ والجواب له معلوم وهو أول المجيبين عليه والدالين إليه.
فعلام تسير في طريق البلاء والشر والخلود في العذاب وأمامك الطريق فسيح والباب مفتوح فتب قبل أن يحول بينك وبين التوبة وقبل أن تسمع قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ففعل الخير

وهو في مقدورك الآن هنا ودع عنك غواية الدنيا والشيطان وناد رب رحيم رحمن يأخذك إلى الجنان والرضوان.

[186] يريد أن الله تعالى منّ عليك بشيء لا يخطر لك ببال وهو سهل المنال وهو أن تدعو بما تريد يستجيب لك فيعطيك ما تشاء بل ويزيد فهو سبحانه الذي وعد فكيف تهمل في هذا أو كيف يغفل عن هذا؟ إنه فعلا أمر عجيب. وطلبك يقضي كما ترضي إن لم يكن بزيادة فلا يكون بنقصان وقد وعدتك بأني منك ومن دعائك قريب أجيب سؤالك، وأعطيك مرادك، وأريحك مما يشغل بالك وأبلغك آمالك وأيسر لك حالك.

ولا تشغل بالك بما تريد ولا تستكثر شيئا تطلب فلك ما تختاره وعلى قضاء الحال فلك ما تريد وما ترجو وما تتمنى علي والقدرة أسخرها لأمر ما دعوتني ورجوتني بل وأجزيك على الطلب ثواب وحسنات تعرف قدرها يوم لقائي، فكل ما تختاره أقضيه وكأن مقادير الأمور في يديك لأن إرادتي اقتضت أني أجيب دعوة الداع إذا دعا بقلب سليم وإيمان عميق وتوكل وثيق بأني أنا الملك المليك.

وعندي لكل طالب رجاءه ولكل سائر جوابه ولكل محتاج حاجته ولكل ملهوف غوثه ولكل مبتلى شفاءه. وإذا أردت دليلا على ذلك فليس من بعيد تختار لك الشاهد أو الدليل إنما هو العقل الذي إن سألته أجابك وإن صمت حدثك بنعم الله تعالى عليك وهداك، إلى صراط الله المستقيم فهو لك كالطبيب الذي يصف لك الدواء بعد ما يجدد الداء وإن كنت تريد النجاة فعلا فكن صادقا في دعائه مؤمن بربك حسن التوكل عليه.

[187] يرى الشاعر أن الله قد جمع في الإنسان كل ظواهر الكون من مخلوقات حية ظاهرة أو باطنة ثابتة أو متحركة.

فهو يرى أن صورة الإنسان فيه هي الإنسان، وصورة الحيوان في الإنسان في اجتماع الإنسان والحيوان في بعض الصور التي منها الأكل والشر والتفوط والولادة وما شابه ذلك.

ويرى فيه صورة الملائكة في حالته الروحانية من الطاعة والعبادة والعقل والتدبير وحسن التعبد لله تعالى وطاعة أمره واجتناب نواهيه وما شابه ذلك من الشفافية والروحانية.

ويرى فيه صورة الجن أو الشيطنة مما يخفيه في مكنون نفسه ويضمره من الشر والآثام والمعاصي والذنوب وما شابه ذلك من أحوال الجن والشياطين.

ويرى فيه حركة الكائنات الحية كلها فالإنسان دائم الحركة لا يكاد يثبت فيه دآبة النحل وتمايل النخل واهتزاز الأغصان وصوت البلابل والطيور وصفير الرياح.

كما يرى فيه جماد الحمادات حين ينام أو يسكن أو يكمن أو يموت.

فتتجلى صور الله العظيمة في خلق الله تعالى في هذا الإنسان الذي ابدع الله خلقه ظاهرا وباطنا ساكنا ومتحركا حيا أو ميتا. ويقول الشاعر ولأجلك أيها الإنسان أبدع الله تعالى هذا الكون وكونه وأنت محوره وأنت تبقى ويفنى الكون وقصده من ذلك أن هذا الكون سوف يزول، وتبقى أنت لكونك تعود بعد موتك إلى الله تعالى وتوقف للحساب ثم يخلد الصالح في النعيم والطالح في العذاب الأليم.

ويرى أن الجن داخل الإنسان لا دخول مكان أو سكن ولكن يريد وسوسة الشر وتحريكهم للإنسان ليسعى إلى الشر قائما أو قاعدا وكذا مقام الملائكة فيه حيث يحثونه على فعل الخير وإتباع شرع الله ومن أرسلهم الله تعالى إليهم، ويرى مقام الملائكة أو الجن في منطق الإنسان أو صمته وفعله يبدي أن هذا من فعل أو منطق داعي الخير أو داعي الشر.

ويرى الشاعر أن الغافل الذي لا يعمل عقله يرى أن هناك تباين بين تلك المخلوقات الثلاثة حيث يرى أن الملائكة نورانيون والجن والشياطين ناريون، والبشر ترابيون، والحقيقة أنه إذا أعمل عقله رأى أن في الإنسان تجتمع تلك الصفات الثلاثة حيث الحركة والسكون والشفافية والثقل والخير والشر.
ويرى أن الإنسان إن كان على وعي دائم بحقيقة خلق الله تعالى له ومراده منه وما هو مطلوب أن يقوم به فقد حضر وحظى بالرضى وإن غاب عنه هذا الفهم فلا تسأل عن حاله فهو حاضر غائب حي ميت.
ويرى الشاعر حقيقة ثابتة وهي أن تغير الرأي يجعل المرء يرى الشيء على ما يراه هو ولكن الشيء هو هو لا يتغير بالرأي ولا بالرؤيا ولكن الرأي هو الذي يتغير سلبا وإيجابا فافهم ذلك ولاحظه.

[188] وهذا أيضًا نظير ما سبق من الشعر فهو يرى أن الكون كله في الإنسان ظاهرا وباطنا في سكونه وحركته ويظهر ذلك عنده في النوم حيث يرى في منامه ما يرى من سكون وحركة وهو غائب عن الوعي وعن المحسوس فهذا من عظيم صنع الله في الإنسان حيث يرى دون عين ويسمع دون إذن ويتكلم دون لسان ويفرح دون حقيقة ويحزن دون ما يحزن أو يغضب دون ما يغضب ويضحك، ويبكي كل ويبيع ويشتري ويسافر دون سعى على قدم ويبطش دون ما يد، إن هذا لشيء عظيم وخلق كريم سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك وما قدرناك حق قدرك.

[189] يقول الشاعر أن كل الأفعال التي تفعلها تعود عليك مضارها ومنافعها يوم القيامة إن خيرا فخيرا، وإن شرًا فشر إن كنت مؤمنا وأراك تعبد ذاتك وهواك وتتصرف وكأنك سائل لا مسئول معبود لا عابد مطاع لا مطيع آمر لا مأمور ناهي لا منهي فإن كل تصرفاتك هذه توحي بأنك كاذب في دعواك الإيمان جاهل بالله الذي تزعم أنك تعبد وتؤمن به وتؤمن بما جاءتك به الرسل من قبله وقد صدق من قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فإن هو الحب وأين هي الطاعة وأين هي العبودية وأين هو الدعاء وأين هو الخوف أين هو الرجاء أين الرغبة في الجنة أين هو الخوف من النار أين هو الولاء للمسلمين أين هو العداء للكافرين كم هي كثيرة علامة الحب أو العبودية التي لم أر عليك منها شيئا غير زعمك بأنك مسلم.

[190] وجاء البيت الأخير بهامش المخطوط على النحو التالي:

إذا حجبتي كنت معنى جمالها ... وعند تجليها أعود بلا ذنب

[191] يريد أن لا استقرار على حال للنفس كما أن لا استقرار للزمان مع دوران الفلك فهو متنقل من حال إلى حال فكذلك النفس متحوله من حال إلى حال لا يقر لها قرار.

[192] يرى الشاعر أن النفس كلما عليها يوم نمت وزادت ويستدل على ذلك بحدوث العالم وتجدده يوما بعد يوم وعام بعد عام وكلما زادت النفس كلما قربت من نهايتها وكلما قدم العالم كلما قرب من ناهيته إلى أن تأتي ساعة النفس المحتومة كما تأتي ساعة العالم المحتومة فساعة النفس الموت، وساعة العالم القيامة، وكل هذه الأحوال في النفس والعالم يؤكد أن الله تعالى هو صاحب البقاء الأبدي السرمدي اللانهائي سبحانه وتعالى وأن كل شيء سواه قد حكم هو عليه بالفناء ويستدل

بزوال البشر والدنيا ببقاء الله تعالى الخالق واتصافه بالكمال المؤيد بالأدلة القطعية على أبدية الله تعالى الباقي بلا نهاية والذي هو الأول بلا بداية سبحانه وتعالى فهو باري الأكوان ومكونها وباريها.

[193] سبق أن قال مثل هذا الكلام، وإن كان هناك بعض التوسع الطفيف وإلى هذا الوضع يصير قوله صحيحا أو مقبولا أو ملاحظاته جيدة ومفيدة.

وقوله في الأنبياء فهو أصوب ما في هذه الفكرة أو الملاحظة لأنهم يرون الدنيا على حقيقتها وكذلك الموت والآخرة لاتصالهم الشديد بالله تعالى وملامستهم للملائكة وحديثهم معهم وأخبارهم لهم ورؤياهم التي تأتي مثل فلق الصبح وأخبارهم بما أخبرهم الله تعالى على حدوثه ويحدث كما وصفوا لا يحيد أنملة وكذلك أخبارهم بما سيكون في الآخرة فهذا كله يجعل نظرتهم تختلف تماما عن نظرة باقي البشر.

[194] يريد أنه كما أن البصر يصيبه الكلل والمرض والعيوب الخاصة به من رمد وخلافه، نظرا لتعرضه لظروف غير صحيحة كذلك يصيب البصيرة مثل ذلك من نظرا لتعرضها للذنوب والمعاصي وما لا يصلح من أحوالها.

وعندما يصاب البصر بمرض عضوي فإنه يرى الأشياء على غير حقيقتها فيظنها على ما يبدو له من ظاهر ما يقع في تصويره للشيء المرئي وليس هو كذلك، وكذا البصيرة إذا ران عليها من الذنوب والآثام والمعاصي الكثير ترى الأمور على غير حقائقها وتظن أنها كما يتصور لها من الباطل أنه الحق ومن الحق أنه باطل لفساد حالها لا لحقيقة ما ترى.

وهذا يصيب العوام من البشر ولا يلحق بأحد من الأنبياء شيء من ذلك إذ هم القوم الذين وصلوا بالسماء عن طريق الوحي المنزل عليهم من الله تعالى ليعصمهم من الزلل.

[195] يريد بقوله الأخير أنهم بدربة الأنبياء لهم يرون الأشياء على الحقيقة من المواضع والوضع الصحيح للشيء لا من موضعه هو بل بمقياس الحقيقة.

[196] يريد أن رؤيتهم الصحيحة للمنظورات عرفتهم أن هذه المنظورات إنما نتجت عن صانع واحد لا شريك له هو مبدعها وخالقها ومصورها على اختلاف أشكالها إلا أن حقيقتها واحدة تدعو إلى عبادته وتوحيده والإقرار له بالقدرة والإبداع والهيمنة والسيطرة والتدبير والأحكام ولم يروا أن هذه الأشياء شيء واحد بل عن واحد نتجت ووجدت بقدرته فسبحان الوهاب الهادي إلى الصراط المستقيم.

[197] هذا خبر أطرافه عند:

مسلم في الصحي (صلاة المسافرين 201، 202)، الترمذي في الجامع (3421)، النسائي في المجتبي (2/130)، الداري في السنن (1/282)، ابن أبي شيبة (1/231)، ابن خزيمة (462، 464، 607)، البغوي في شرح السنة (3/34)، الطبراني في الكبير (12/354)، البيهقي في الكبرى (2/32)، (9/285)، الحاكم في المستورد (1/467)، الدارقطني في السنن (1/ 297)، عبد الرزاق في المصنف (2576)، أبي عوانة في المسند (2/101، 102).

[198] يريد بقول الخواص أنهم هم الذين لم يعاصروا الأنبياء أو من لم يأخذوا عنهم مباشرة على حد تحديده لهم كما سبق أن بين ذلك في التنبيه السابق حيث قال: واعني بالخواص هنا المنفردين عن الأنبياء.

فالخواص عنده أقل درجة من العوام على العكس من حال الصوفية الذين يرون أن العوام هم الفقراء والخواص هم من فوقهم درجة، ثم خواص الخواص، وهم من فوق الخواص وهذه تقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان عندهم ولا عنده.

[199] يحذر من الغرور بالنفس واتباع الهوى حتى لا يأخذك مآخذ بعيدة الغوار حتى تفضي بك إلى النار وغضب العزيز الجبار فانتبه واتهم نفسك واتبع شرع ربك والزم ما وصى به نبيك تنجو من كل زيغ وتصل إلى أربع الدرجات.

[200] يرى أن من تمام الإيمان بالله تعالى الأخذ بالأسباب ويرى أن هذه الأسباب إنما هي ما شرع الله تعالى من العبادات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم فمن ترك شيئا منها فإنما ترك السبب ومن ترك السبب لم ينفع إيمانه بالغيب بل اعتبر زعما لا حقيقة إذ لم يأخذ بالأسباب أي بالعبادات التي هي طرق الباب لطلب العفو والأجر والثواب من رب الأرباب، ومن لم يفعل فقد عبد هواه وترك عبادة الله.

[201] يريد أن المؤمن الحق الذي وافق قوله فعله وإيمانه عبادته هو الذي اصطبر على عبادة الله تعالى ودعا أهله إليها فهذا قدم قام بما عاهد الله تعالى عليه ونفذ ما وعده به وأطاع نبيه صلى الله عليه وسلم رجاء ما وعد به، فلم يكسل ولم يهمل ولم يتواكل ولم ييأس ولم يقنط بل عبد الله تعالى خوفا وطمعا خائفا آملا فسيؤتيه الله تعالى أجرًا عظيما، وسينجيه من النار، ويدخله الجنة مع الأنبياء والأبرار والأطهار.

[202] يريد أنه لما أن أراد أن يعبد الله تعالى ويدعوه تخير الوقت والمكان أي الزمان والمكان المحبب إلى الله تعالى فيه الذكر والدعاء كيوم عرفة وليلة القدر وما شابه ذلك حتى ينال الرضى والقبول من مولاه سبحانه؛ وذلك كما أن من أراد أن ينير مصباحا فلا بد له أولا أن يحضر المصباح، وأن يصلح فتيله، وقارورته ويملأه بالزيت النقي ثم يحضر الكبريت وبهذا يكون قد أخذ بأسباب النور ثم يقوم بإنارة المصباح فساعتها سينير المصباح بإذن الله تعالى، وكذلك عندما يجهزنه للدعاء ويعرض نفسه لرحمات الله تعالى ورضاه فإنه سبحانه وتعالى لن يضيع أجر من أحسن عملا.

فهو يرى أنه قد بالغ في الأخذ بالأسباب وكذا لم يشغل وقته بغير ذكر الله تعالى وظل مترقبا رضاه حتى أصابه برحمة منه سبحانه.

[203] هذا شاعر يقول أنه يحب الله تعالى مهما كان غائب عنه بذاته فإن تلك الحجب لن تحجب الحب فالحب في قلبي، وقلبي هو مطلع عليه فلا أحتاج إلى أن أقول أني أحبك بل أقول ذلك لا لإعلامه بل لأن ذلك يسعدني ويرضيني ولأفخر به عند نفسي وعند الناس فأنا أحب الله وأعبده فمن مثلي منزلة وقدرا؟!

وكم من مرة رأيتك لا عيانا وإنما في خلقك وفي كونك، وفي لطفك فأنت مستتر مكشوف محتجب بادي جل جلالك يا الله.

ثم هو لا يحدد لله تعالى موضع محدد أو مكان موضع وإنما يرفعه في المكانة فيقول فأنت فوق الفوق فالفوق هذا لنا، أمالك فأنت فوق الفوق ويحدد لنا الزمان ولكنه هو خالق الزمان فكيف يحده زمان أو مكان وهو خالق الفوق والفوق مكان سبحانه وهو فوق الفوق.

ثم يقول لله تعالى انظر إلي يا رب نظرة رحمة فإني اعمل وأنا منك خائف ولك راجي وإنه ليس عندي شيء أخفيه أو أبديه لك فأنت الظاهر الباطن تعلم السر وأخفى فكيف أخفي ممن خلق الخفا؟

هذا عملي على حاله فارفق بي برفقك.
[204] هذه صفة من الصفات التي خلق الله الإنسان وعوده عليها ولكن يستخدم هذه النعمة التي هي نعمة الاستنباط عدد قليل من خلق الله تعالى وهم العلماء الحكماء الذين يعلمون عقولهم فيما يقع عليه بصرهم أن تسمعه آذانهم أو يخطر على بالهم ويستخرجون منه مكنونة وفوائده ومعارفه الكامنة داخله، ولهذا قال تعالى ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وهؤلاء القوم الناس لهم تبع.
[205] ويريد بالوحي هنا الإلهام والأفهام وإنارة العقل وتسهيل الفهم وأعمال البديهة كما يوصي سبحانه إلى النحل وإلى الأرض وغير ذلك من سائر المخلوقات الحية والجامدة.
وقوله: بأمثال وإما على صورته أي فإنه إما أن يجعله يفهم الشيء المراد إفهامه إياه بمثال يقارنه أو يماثله أو يناظره فيعرف حقيقة المراد تعريفه حقيقته، وإما أن يرى الشيء على حقيقته فيعرف الحكمة من وراء تصوير على هذه الصورة أو الهيئة.
ويرى أن الله تعالى يفعل ذلك بالإنسان في الحالتين اللتين يكون عليهما ألا وهما النوم واليقظة ففي حالة اليقظة يحرك فيه الأفهام والتأمل والنظر والاستنباط فيعرف أو يرى حقائق الأشياء فيستخرج منها ما أراد الله تعالى منها من خير للبشر.
وإما عن طريق النوم وذلك بالرؤيا الصالحة يرى الإنسان في منامه ما منه يفهم بعض الأمور التي كانت تشغل باله ولا يجد لها حلا، فيعرف هذه الحقيقة أثناء استرخاء بدنه وهدوء حواسه وصفاء نفسه وخلوده إلى الراحة وفي حالة تعطل الحواس الحياتية وعمل الحواس الروحانية أي رؤية البصيرة وسمعها وما إلى ذلك في المنام حيث يكون عملها أكثر في النوم منها في اليقظة.
[206] في هامش المخطوط: يفاض.
والمراد بقوله هنا هو أن الله تعالى يوحي إلى الأنبياء عن طريق الوحي المباشر الذي هو جبريل عليه السلام المكلف بإبلاغ الرسل والأنبياء بما يأمر الله تعالى وينهي لإبلاغ الناس عن طريقهم فهذا هو الوحي المعروف والخاص هم عليهم الصلاة والسلام.
أما الوحي الذي هو لغيرهم كما قلت فهو كالإلهام والإفهام كما في حالة الإنسان العادي والنحل، والجمادات ويكون عند الإنسان من تلقاء نفسه فيجد أن نفسه تحدثه بفعل ما هو صائب أو تحركه نحو الصواب أو الطريق المستقيم ويقدر شفافتها يكون الإلهام والأنفس تقدر على ما يتناهى وتقبل مالا يتناهى، فالأنبياء عليهم السلام يفاض عليهم بحسب القابلية لا القدرة، ولهذا عم نفع الأنبياء، فغير النبي إذا صفت ذاته وأدركت شيئا من الحق والصحيح كان ذلك الإدراك من قبل إياها بوجه ومن قبل ربها بوجه آخر والمدرك واحد لا يتغير كما أن العبد ملك لزيد وهو بعينه ملك لله سبحانه وتعالى ولا شركة.
فالمركوز في جبلة الإنسان ثابت فيه من حيث الخلقة وهو مستور عنه بعوائق الحواس الباطنة والظاهرة وقد جعل الله سبحانه وتعالى لظهور ما فيها شروطا عائدها تارة إلى العبد بإرادته وتارة بغير إرادته كما في النوم، ويرجع إلى كسب أو هبة فإذا قيل: علم زيد كيت وكيت فهو علم من جهة نفسه وهي بعينه من جهة [31/ب]ربه.
فما كان بغير إرادته فهو إما هبة ولا يكون إلا حقا كما يكون للأنبياء عليهم السلام، وإما جزاء ويكون حقا وباطلا. فما لا تعلق للعبد به فلا حاجة إلى ذكره إذ لا يجري إلا بكسبه. وكل ما هو راجع إلى العبد فإنما هو من نفسه إلى نفسه، وكل ذلك دون رتبة الأنبياء عليهم السلام، ومن طالع ذاته مستقرئا، رأى ما لا عين رأت مخلوقا بها حاضرا مجبولا في جبلتها. ومن تحقق أن ذاته

مأوى الكل من الماضي والمستقبل فإنه لا يحزن على شيء من الفانيات عند مفارقته له إذ هو وغيره موجود معه فعاد غنيا بذاته.
وهذه علامة الذائق دون العالم فقط، وهذا الذائق إذا تحقق أن ذاته محدثة، وأن المحدث لا يدرك محدثه بوجه أبق من نفسه لنفسه إذ كل ما وصل إليه إنما هو منه فهو محدث مثله، فلم يرض لنفسه بنفسه فضلا عما يرد عليه غيره منها. فقام ينفي علومه، وينكر معارفه ورجع عن الغناء المطلق إلى الفقر المحقق فاتبع الأنبياء وعبد فلزمه القيام بالشريعة المحمدية فسجد. قوله بالشريعة المحمدية غير مقبول وإنما هو زلة قلم أو سبق قول وإنما هو الشريعة الإسلامية أو الربانية وما محمد صلى الله عليه وسلم من قبل الحق تعالى لا يملك أن يشرع وإنما هو مبلغ ويقع في ذلك كثير من الناس سهوا أو جهلا أو تساهلا أو محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نقبل إلا الصحيح ونقوم الخطأ قدر فهمنا وطاقتنا.
[207] يريد أنه تقلت في الحياة والعبادة والفكر والنظر والتدبر والتأمل وانتقل من فكر إلى فكر ومن رأي إلى رأي من قول إلى قول حتى استقر به الحال عندما وجد أن ما يبحث عليه هو بين جنبيه وهو تائه وهائم يبحث عنه وعلم حقيقة أمره وأنه في الحقيقة ما هو إلا ذرة من كون الله الفسيح واحد موجوداته أو مخلوقاته التي لا تكاد تذكر وأن الفلاح أن يعود إلى الأصل وأن يسلم لمن أبدعه وخلقه وكونه وأن يسير على ما شرع وما نظم له من أمور العبادة والتشريع وأن يجعل نبيه هو الإمام له في كل أمر ونهي وعبادة وحياة حتى يرجع كل شيء إلى أصله وموضوعه الحقيقي.
[208] يريد أن يقول لقد عبدت نفسي وهواي سنين طوال وكنت أراني الكل والكل أنا ولا أحد سواي ولا رأي إلا رأيي حتى حانت لي من الله الهداية وعرفت نفسي فلما أن عرفت نفسي عرفت كل شيء وعلمت أن كل لحظة تمر بي إنما تقربني من قبري، هذا الرمس الذي أريد أن أخله طائعًا مرضيا عني عبدًا لله تعالى.
[209] هذا شاعر قد أضناه البعاد حتى استمرأه وصار يعيش معه معايشة المسالم حتى اعتاد هذا البعاد حتى لكان البعاد هو عين الوصال واكتفى الرضى بين المحببوين وآيس من اللقاء ولم يعد يسعى إليه، وهذا نوع من التسليم بالقدر والرضى به المجزي عند جزاء الصبر.
[210] يريد عبد قد ابتلاه الله تعالى في دنياه لينظر كيف صبره فتحمل البلاء بأنواعه حتى صار له إليه شوق بل تلذذ بالبلاء لما علم أن أجره جزيل فلما وجده ربه عبدًا صبورا على البلاء لا يضجر ولا يشتكي ولا يمل ولا يسأم فأعطاه الله تعالى مناه من الرضي والرضوان، ومنحه من النعيم ما يرضي بغير حساب.
[211] يلتمس العذر لنفسه بأنه قد أخرته نفسه باتباعه إياها ولكنه فكر في الخلاص منها بالصبر على ما تأمره به من المعاصي وأن يخالفها حتى يرجع إلى ربه ومولاه دون ذنوب حتى يعود كريما كما يحب الله أن يكون. وهو يرى أنه كلما ازداد شقاء في مقاومة نفسه كلما عاد عليه ذلك بالأجر العظيم والنعيم الدائم من الله تعالى يوم لقائه سبحانه.
[212] شبيه بما قبله، فقد رضي بقضاء الله تعالى في أن يتحمل ما يبتليه الله تعالى به حتى يعود إليه راضيا مرضيا فإن البلاء يزيد الدرجات والأجر، وهو لا يشكو من هذه البلايا ما دام الذي ابتلي بها يعلم أنه يتحملها وهو به دائما رحيم فلا شك أن فيها رحمة له مهما كان شكلها.

[213] يريد أن يقول أن الإنسان من طبعه أن يستبدل شيئا بشيء فهو يستبدل ما لا قيمة له عنده أولا فائدة له عنده بما له فائدة أوله إليه حاجة، فإن نال مناه واستبدل ما عنده الذي لا يريده بما ليس عنده وهو يريده فهو الرابح وهو صاحب الصفقة الراجحة كيف لو كان في هذا الاستبدال رضا المحبوب الذي يتمنى أن يريضيه بأي شيء بل بكل ما يمكنه أن يسترضيه به فهذا قد نال رضا حبيبه واستبدل الأدنى بالأعلى ففاز مرتين مرة بخلاصة مما ليس له فيه رغبة والثانية بقرب حبيبه ورضاه.

فكيف إذا كان المستبدل هو الدنيا والمستبدل به هو الآخرة وقد نالها طالبها وقد دفع الدنيا وقبض الآخرة واستلم الثمن لأن المشتري هو الله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ و﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾، وقد جاء في الخبر: ربح البيع صهيب، ربح البيع أبا يحيى، فمن باع دنياه بآخرته فقد ربح ربحا صريحا لا يحتاج مراء فقد باع الفاني بالباقي والداني بالسرمدي الأبدي الخال المخلد باع دار البلاء بدار النعيم دار الفتن بدار المنح والعطايا والهدايا والرضا والرضوان باع الهم والحزن بالفرح بالسرور باع الذل بالعز، والعبودية بالحرية والتعب بالراحة.

وهذا بيع ليس بالسهل فقليل هو الذي يتاجر في ذلك بل أغلب الناس يبيعون الآخرة بالأولى يؤثرون الحياة الدنيا مع علمهم بأن الآخرة خير وأبقى فمن باع البيع الصحيح فقد وفقه الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه فاللهم اجعلنا من يؤثرون الآخرة على الدنيا برحمته يا رب العالمين.

[214] سنة الله تعالى في الخلق ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ فكل مولود يولد على الفطرة ويكتسب المرء في حياته من العلوم ثم من الخير ويتجنب الشر الذي يؤثر على حياته الدنيا والآخرة ثم يكبر إلى أن لا يستطيع أن يميز مرة أخرى بين الخير والشر، فيصير مرة أخرى إلى الفطرة فهذه سنته تعالى.

[215] ينصح الشاعر المحب أن يهم هاربا من كل مؤذ لا خير فيه سوى الشر الدائم ومن هذا الذي شره دائم؟ إنه يرى أنه هو الذي يعرفك فكل من تعرف عادة ما يؤذيك عن قصد أو عن غير قصد، فتعرف على الله في الرخاء يعرف في الرخاء والشدة، وينصرك في الدنيا والآخرة. وفارق المحبوب أي أبعد عن المحبوب كل ما يوصف، فإن الحب لا يوصف فالحب شيء يدور في خلجات النفس لا يمكن أن يعبر عنه اللسان بلفظ مكون من حرفين هما الحاء والباء، بل هو حالة يعبر بها الجسم بكل عضو فيه وكل خلجة منه عن هذه الصفة التي يلخصها اللسان في هذين الحرفين لا للتعبير ولكن للاعتراف بهذه الحالة البادية على الجسم من نظرات عين واضطراب أعضاء وخفقان قلب وتلعثم لسان وشرود ذهن وانشغال بال وتعلق الذهن دائما بالمحبوب.

وهذه الحالة التي يجب أن يكون عليها العبد مع ربه سبحانه وتعالى حتى يفوز بالدار الآخرة وهي حالة لانشغاله عن كسب العيش إذ هو فيها يتحرك للكسب متوكلا عليه مخرجه على إكمال وجه لينال الأجرين.

[216] يلوذ العبد بربه ويناديه شاكرا فضله إذ يعرف أنه لو تركه إلى نفس لهلك من ساعته وحينه ولو لم يرعه بعنايته لفسدت دنياه وآخرته فحمد أن جذبه إليه من تلك المهالك والمهاوي المردية.

ويقول أنت الحجاب عن الحجاب، أي أنك أنت الذي حجبتني بفضلك عن الحجب التي كانت تحول بيني وبين معرفتك فكشفت حب الهوى والشهوات فانكشف لي الحق وبأن الهدي والصلاح ولاح

لي كل أمر فيه فلاح ونجاح وانشراح فصارت دنياي وآخرتي كلها أفراح ففي الدنيا أسير على نور وهدى وفي الآخرة أنال منك يا مولاي الرضا فحمدًا لك على كل ما آتيتني وبه عن خلقك أكرمتني وقربتني.

[217] هناك خلاف كثير في أنه: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج أم رأى جبريل أم لم يره قط وكذا لم ير جبريل على صورته الحقيقة قط وأن رؤياه صلى الله عليه وسلم لربه ستكون يوم القيامة.
الشاعر هنا يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكذا الصالحون وهذا القول ليس بصحيح خصوصا في الصالحين فإنهم يرونه حتما يوم القيامة لما جاء في صريح القرآن في أكثر من موضع من المواضع والتي منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والبيت الأخير يبين فيه أو يرد فيه على الفرقتين الجبرية والقدرية معلنا بأن الإنسان لا هو مخير محض ولا مسير محض بل هو مخير في أعماله الخيرة والشريرة مسيرة في تكوينه البشري كالنفس ودقات القلب ودوران الدم في البدن وسريان الطعام في جسمه وما إلى ذلك من الأمور التي لا يتحكم فيها الإنسان والتي لا إثم فيه ولا ثواب، وإنما مدار الاختيار فإنما يكون حول ما فيه ثواب وعليه عقاب من شرع أنزله يأمر فيه بافعل ولا تفعل.
[218] سبحانه وتعالى يخفي ما يشاء من العلوم والغيوب والأخبار التي هي أسرار اختص ذاته سبحانه وتعالى بها والتي منها الرزق، والأجل وعلم الساعة وما شابه ذلك من الأمور التي شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخفيها عن عباده لأمر أراده سبحانه.
ويبدي ما شاءت إرادته إبداءه لهم مما سوى ذلك وهناك ما هو غيب ويبديه الله تعالى للإنسان على صورة غير مباشرة حين تقتضي إرادته أن يجليه أو يجلي بعضه لعبد من عبادة حتى لا يفاجأ بالأمر النازل إليه خيرا أو شرًا وذلك عن طريق الرؤيا التي هي جزء من بضع وأربعين جزء من النبوة.
والكل عنده سبحانه حضور شهود ماضيهم وحاضرهم حيهم وميتهم قاصيهم ودانيهم ليلهم ونهارهم كلهم لديه منذ آدم عليه السلام إلى آخر من خلق اليوم أو الساعة كأنهم فرد واحد هذا وحسب بل يعرف سرهم وجهرهم يقضي حوائهم ويضخ الحياة في أبدانهم ويقبض أرواح من يشاء منهم كلهم كواحد فقط سبحانه عظمت قدرته وجلت عظمته.
فأين غيري: لا يوجد يا ربنا سبحانك لا إله إلا أنت لا شريك لك ولا ند ولا شبيه ولا نظير، من قال غير ذلك فهو بعذابك جدير ولا عقاب له إلا السعير سبحانك منك وبك نستجير أنت نعم المولى ونعم النصير وأنت في الكون وحدك نعم كونته وسويته وخلقت فيه ما تشاء كيف تشاء وقت أن شئت وتمحوه متى تشاء وتبقيه إلى ما تشاء لا رادع لأمرك ولا معقب لحكمك سبحانه لا إله إلا أنت الخالق المحيي المميت الناشر الحاشر المحاسب المجزي العباد بما يستحقون لا يظلم عندك أحد مثال ذرة ولا أقل من ذلك.
سبحانك لا يراك سواك ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فكلك لك ناظر ولكل خلقك مشاهد وعالم تبدي ما تشاء وتخفي ما تشاء عمن تشاء ولمن تشاء ومتى تشاء وكيفما تشاء سبحانك.
سبحانك متكلم بغير لسان ناظر بغير عين سميع بغير أذن ليس كمثلك شيء وأنت السميع البصير من وصلك فقد وصل نفسه، ومن اقترب منك فقد اقترب من نفسه ومن وجدك وجد نفسه ومن

عرفك فقد عرف نفسه، ومن أحبك فقد أحب نفسه، ومن أرضاك فقد أرضى نفسه، ومن كان على العكس مما قلت فالعكس يكون المقال فيه والوبال عليه والنكال عقابه أعاذنا الله من ذلك ورزقنا حبك وختم لنا برضاك.
[219] من صحب الوقت بالطاعات وأحيا الساعات بالعبادات ومن قطع الليالي بالابتهالات والنهار بالصوم والصلوات وباقي الوقت بالذكر والتلاوات فهذا امرئ قد عرف قيمة النعمة التي أنعم الله بها عليه فاستفاد بها وصحب الوقت بالتي هي الأحسن فكان هو من بين العباد وهو أحسن، ومن حاسب نفسه قبل أن يحتسب أمن يوم الحساب إذ كان قد جعل على نفسه رقيب لا يهمل ولا يتساهل ولا يفتر بل يعاقبها ويكافئها فهل يجعله دائما لربما مراقب وعلى نفسه رقيب فمثل هذا تجده لله حبيب ومن رحمته قريب وله إن شاء الله تعالى في الجنة أوفر نصيب أولئك هم الآمنون من الفزع الأكبر يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ ولقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.
فمن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، فحزنه كان في الدنيا ولا خوف لا يكون لهم يوم القيامة، فلا خوف ولا حزن، فاللهم اجعلنا منهم يا كريم.
[220] قال ابن منظور في لسان العرب: الحزن والحزن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. قال الأخفش: ومثالا يعتقبان هذا ضرب باطراد، والجمع أحزان، لا يكسر على غير ذلك. وقد حزن بالكسر حزنا ومحازن وتحزن، ورجل حزنان ومحزان: شديد الحزن.
وحزنه الأمر يحزنه حزنا وأحزنه فهو محزون، ومحزن وحزين وحزن (الأخير على النسب) من قوم حزان وحزناء. قال الجوهري: حزنه لغة قريش، وأحزنه لغة تميم، وقد قرئ بهما. وفي الحديث: أنه كان إذا أحزنه أمر صلى، أي أوقعه في الحزن، ويروي بالباء..... وعام الحزن: العام الذي ماتت فيه خديجة رضي الله عنها، وأبو طالب فساه النبي صلى الله عليه وسلم عام الحزن... قال الليث: للعرب في الحزن لغتان: إذا فتحوا ثقلوا، وإذا ضموا خففوا، يقال: أصابه حزن شديد وحزن شديد. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ قالوا فيه: الحزن هم الغداء والعشاء. وقيل: هو كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان.
[221] يريد إذا حدث لك أو أمامك حادث لا تعرف الغرض منه أو لا تعرف سره فعليك أن تقف متجردا من ذاتك وقوتك وعلومك رافعا أمرك إلى باريك سائلا أن يقودك إلى سر ترى أو تسمع أو تشاهد فبعد قليل تجد أن الله تعالى قد أفاض عليك بمعنى ما تراه أو سر ما تحيرت في أمره أو يشرح صدرك بمعرفته على حقيقته.
[222] هو نحو ما قيل قبله نثرا وهو يريد أن يقول أن الخير كل الخير في أن يعمل الإنسان عقله وفكره في طاعة الله تعالى وأن يشغل باله بما يفيده في الدارين فالعقل هو الموصل دائما إلى كل غاية أو هدف إذا أحسن المرء استخدامه مستعينا بالله تعالى لا مريدا ذلك إلى نفسك أبدًا فإن من وكله الله تعالى إلى نفسه طرفة عين أو أقل من ذلك هلك.
فإن عجز عقلك وفكرك عن البلوغ أو عن فهم ما تراه فأوقف فكرك وسل الله أن يبصرك بحقيقة أمرك أو حقيقة ما تريد أن تعرف فسوف يبصرك به فور طلبك ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فما دام الإخلاص حليفك فاعلم أن الاستجابة نصيبك.

[223] هذا تشبيه حسن فهو يرى أن العقل الذي ركبه الله تعالى في الإنسان إنما هو كأداة الإنارة الصالحة التي ليس فيها شيء بعيبها ولا ينقصها سوى المداد الذي يستمد منه المصباح نوره فما دام المداد مستمرا ظل النور دائما ما دام المداد متوفرًا فإذا انقطع المداد انقطع النور فهو يرى أن المداد الذي هو الدهن هو كسب الإنسان فما دام الكسب حلالا ظل النور ساريا في العقل وما دام العقل منيرًا كان الطريق موصولا بين العبد وبين ربه على خير وهدى وفلاح، فإذا انتقل العبد من دار الفناء ظل النور ساريا حتى يدخل صاحبه في دار الرضي والرضوان ويف الأثر: "أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة"، ما يطيب الطعام إلا باستنارة العقل الذي يهدي إلى الصلاح والكسب الحلال ورضي ذي الجلال.

[224] هي نصيحة في صورة مثال وهو مثال طيب فيه تشبيه جميل كثيرا ما نسمعه أو نحكيه مع فارق التشبيه غير أنه يريد أن يقول لك كما تستعد لاستقبال ملوك الدنيا الذين هم ودنياهم إلى زوال فإنه أجدر بك أن تستعد لملك الملوك وقاهر الجبارين لا بشيء سوى أن تحسن هيئة صحيفتك وتصلح سريرة قلبك وتنقي مقاصدك وتحسن توكلك وتقوى ظنك الخير وترهب مع الأمل القوي وترجو منه البر والعطايا وليس أقل من أن تكون موحدًا ممجدًا حامدًا شاكرًا مبجلا معظما لجلاله مطيعًا لرسالة مؤمنا بكتبه راجيا جنته خائفا من ناره فسوف يعطيك حتى ترضى.

[225] هذه وصية طيبة ونصيحة غالية غير أن تنفيذها صعب، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فحاول أن تعمل بها أو ببعضها عسى أن تنفعك بعد ارتحالك، فحال أن تجعل عملك مما لا يخيفك واجعله أنيسك وسميرك وحاول أن تكون ممن يقولون: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ﴾ حتى تكون ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ واحذر أن تكون الآخر عافانا الله وإياك منه ومن حاله، وخذ من مالك ما يكون لك وقاء من النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فحاول أن تتجنب غضب الله بأي شيء من الأعمال الصالحة وأن تكتسب رضاه ولو بتوبة أو دمعة أسف أو حزن على ما فرط منك في جنبه.

[226] ينصح الشاعر زملاءه من الشعراء المجيدين للشعر العارفين لفنونه بما نصحهم به الله تعالى في القرآن الكريم حتى لا يضلوا ولا يزلوا ولا يهلكوا ولا يضيعوا في متاهات الشعر وبحور الكلام، وإغواءات الشياطين وتحريضات الناس لهم على أن يهيموا في بحور الغزل والهجو والرثاء وأن يقفقوا على حدود ما رسم لهم الله وما شرع رسوله صلى الله عليه وسلم من أدب الكلام وحفظ العروض والأنساب وطهر اللسان عن الخنا وعد مذكر العورات والتجريح الكاذب ومدح الناس بما ليس فيهم ثم أمامه المجال فسيح ليس قاصرا على الأمور الدينية فحسب بل كل مناحي الحياة العلمية والاجتماعية الطبيعية والكونية الفضائية الأرضية والمخلوقات الأخرى بكل ما يرها به الشاعر من جمال وقبح وثناء وذم، ففي الهيام في أودية المباح ارتياح لك وأجر عظيم تدعو فيه إلى الهدى والصلاح والجمال وعظمة الخالق ودقيق الخلق وما إلى ذلك مما يعظم لك فيه الأجر وتبينه لناس تسعهم موسيقى الشعر ويجري بهم إلى دروب الخير مع جمال الكلمات المحفزة على فعله.

ولو أنك نظرت في نفسك لرأيت العجب العجاب من طبائع وصور وأخلاق وسير ما يجعلك تسير نحو حمى الرحمن ويقودك نحو الجنان ويباعدك عن النيران.

واعمل فكرك فيما حولك ترتقي سلالم الصعود والخلود وارفع يديك واطلب من الرحمن ما تريد من علم ومن أشعار تثري بها قلوب العباد والعمار وتقمع بها الأشرار والفجار فتنجو وتنجيهم من السعار ومن صلي النار فإن طلبت منه ما تريك أعطاك ذاك والمزيد.

[227] يريد أن يلفت انتباهك إلى نفسك لتعرف حقيقتها قبل أن تذهب بك الأيام وتسرق منك عمرك وأنت غافل أولاه، فاعمل فكرك وقل لنفسك من أنا، واعلم أن هذه الأجسام كالأشكال أو كالنماذج أو كالأواني أو القوالب أو العلب توضع فيها الأرواح.

فعلى هذا ماهي إلا ظل للروح أو النفس لنراها من خلاله إذ لا نرى بسواه، وما دامت ظل فالظل يرى وأما ما يحدث الظل فإنه يخفي ورب هذه الظلال خلقها بهذه الكيفية وذلك الشكل فلا هو يرى ولا ما يوضع داخل هذه الأشكال أو الأمثال ولكن يعرف بإيجاد أو إظهار الظلال.

وهو سبحانه متكلم فعال لما يريد يحول الأحوال ولا يتحول من حال إلى حال كل أمره في "كن" فيكون الفعال وتتغير الأحوال. وينصح بأنك عليك أن تتفكر قبل كل شيء فإنك إن لم تفكر تراك قد فعلت الذنب دون روية ثم تجدك إن عقلت نادم عليه فاعمل الفكر قبل العمل أو قبل المقال هذا هو الصحيح إن أردت أن تصلح الأحوال والأفعال.

ثم يسأل سؤال لا مرية في إجابته ولا جدال هل تقطع يد السارق أم يد فاعل الخير؟ أظن أن ليس هناك عاقل أو رجل سليم الفكر تكون له إجابة غير بتر يد من سرق.

وإذا وقف مرء أمام مرآة تراه هو أم ترى من أبدعه وإجابة هذا السؤال كإجابة سابقه عند كل عاقل.

فإن كان الأمر كذلك فلا لوم إلا على من فعل الفعل المحرم أو الذي لا يباح.

وإذا فعل الخيال أي الجسم الذي هو العلبة أو الوعاء الذي فيه النفس أو الروح فإن العقاب لهما لأنك لم تعمل العقل في كيفية تحريك هذا الجسم أو هذه العلبة أو هذا الوعاء.

وكل أمر لابد أن يسبقه فكر فإن لم يصلح الفكر فلم ولن يصلح الأمر الذي قمت أو تقوم به، فاقبل على الفكر فاحسنه وهذبه وأصلحه ثم أقدم على ما تريد بعد هذا الإصلاح والتهذيب يأتي عملك ممدوح محمود مأجور وعقلك وهو ينبوع كل عمله تعمله وكل قول تقوله فأحسن رعايته تنجو من كل المهالك والمرادي التي تخاف منها، وتنال ما تريده مع رضى الله تعالى عنك في الدنيا والآخرة.

[228] يريد أن يقول أن العبد في كل أموره مختار لا جبر عليه سواء وافق سعيه الخير أو الشر فهو مختار لهذا ولهذا، وأن ما يفعله إنما يجري وفق قدر الله تعالى ولا جبر عليه بل هو يفعل ما يريد وهذا الفعل الذي هو مختار له إنما قد علمه الله تعالى مسبقا فجعل الأقدار تجري بحسب إرادته وكأنه هو المسير لها لا هي المسيرة له.

أو بمعنى آخر أعطاه الله تعالى على الخير ما يعينه على قضائه ومن الشر ما يعينه على قضائه ولم يجعل الأقدار أو الأوامر أو النواميس الكونية تقف حائل بينه وبين ما يريد بل يسير له كل ما يريد وهو سبحانه يعلم ما يريد.

فالعبد يتحرك بكل حرية وكل اختيار والكون مسخر له ومع هذا فهو لا يخرج عن ناموس الكون الذي هو مرسوم مسبق في علم الله تعالى، وليس لهذا العلم تأثير على اختيار الإنسان للأمور التي يريدها بل هو مجرد علم سخر الله الكون لتنفيذه عندما يطلبه الإنسان.

والإنسان باختياره هذا يسعى إلى الجنة أو إلى النار وإن كان مسبقا في علم الله هو يعلم من أهل الجنة أو أهل النار هو لا إجبارا ولا اختيارا بل علما فقط لأنه علام الغيوب والإنسان هو المختار للطريقين أما إلى هذه وإما إلى هذه بمحض إرادته واختياره فإن وافق اختياره اختيار الله الذي هو

إرادة الخير والصلاح والهدى والرشاد كان من أهل الجنة وهو طريق ميسر له وإن كانت إرادته واختياره مخالفة لما أمر الله به فهو ميسر له هذا الطريق.
ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يتركهم هملا يتخبطون في هذه الحياة بل أرسل إليهم رسلا من عنده تدلهم على طريق الخير وتبعدهم عن طريق الشر تأخذ بأيديهم من الضلال إلى الهدى والغمي والغي إلى النور والصلاح.
فإن هم أطاعوهم فازوا ونالوا ما يرجون وإن هم عصوهم فقد أعذر من أنذر، وفعل هذا ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فلا يتعلق متعلق بالقدر فقد أوضح الله الحجة وبين المحجة رسله صلى الله عليه وسلم.
[229] زيادة من عمل المحقق للفصل بين الشعر والنثر.
[230] هذا قول صوفي بحت ولهم أقوال لا يقبلها غيرهم وتشمئز منها نفوس غيرهم ولا يعتدون بها بل يعتبرونها من مسالبهم.
والقول لمن أراد أن ينصح أو يأمر بالمعروف أو أن ينهي عن المنكر يجب أن يكون بما هو مفهوم ومباشر ورقيق وهادئ محبب مرغب أو مرهب مخوف مع شعور السامع بأن المتحدث معه أو الآمر الناهي له إنما هو خائف عليه لا مقرع له ولا فاضح لأسراره بل يريد أن يزيح عنه أوزاره ويمحو عنه آثامه ويعيده إلى رشده وصوابه في حنو ووداد ورأفة حتى يتقبل الدعوة ويستجيب للنداء ويقبل على الخير ويترك الشر ويأخذ الأجر.
[231] القول الأول مقبول وهو أن العقل له حد يفكر فيه في كل ما هو من قدرته كأن يعرف بالملاحظة أو المشاهدة أو الاستنباط أو النتائج أو المقدمات ما وراء المشاهدات وما إلى ذلك من الأمور التي قد يقف أمامها عقل حائر إلا أن عقل آخر أقوى منه يراه أمر سهل بسيط بديهي لا يحتاج إلى كثير عمل أو تفكير وهكذا تتفاوت العقول في درجة الفهم أو الوعي أو الإدراك أو التأمل فهناك العقل النشط والعقل الخامل والعقل المتوسط.
وأما القول الثاني وهو قوله: وليس لها حد من جهة القبول إلى ما هو فوق طور العقول.
فهذا ضرب من الخيال لا يعمل له حساب ولا يدخل في مجال المعقول فله أن يقول فيه ما يقول حيث خرج عن حد القبول بين العقول.
فمن ادعى ما لا يعقله الناس جميعا فلا يقبل منه كأن يقول أنه رأى الله أو خاطب هذه الأيام رسول الله أو دخل الجنة أو ذهب من بلاده ليصلي في الكعبة الظهر العصر في البيت المقدس والمغرب في الصين والعشاء في أمريكا والفجر في بلده فلهذا أن يقول ما يشاء فقد خرج عن طور المعقول أو المقبول وأصابه الخبل والجنون، وقد رفع عنه القلم فليقل ما يقول.
والإسلام قد أمرنا بأن نأخذ بالظواهر وأن نعمل بالشرائع وأن نحاسب على السرائر، ففي الدنيا نحاسب على ما ظهر منا وفي الآخرة نعاقب أو نثاب على سرائرنا التي لا يعلمها إلا باريها فهو وحده الذي يعلم سرها ونجواها. فعل كل مسلم أن يلزم نفسه بما ألزمه به الشرع في الظاهر والباطن وليعلم أن الله سبحانه يحاسب على الباطن والحاكم والناس يحاسبون على الظاهر دون الباطن فمن خرج عن الشرع حوسب على قدر ما انتهك منه في حق الله أو في حق الناس أما سره فهذا إلى مولاه، إن شاء عذب وإن شاء عفا وإن شاء أثاب فهو الأعلم وهو رب الأرباب.
[232] هو رجل يخاف من موت الفجأة لا خوفا من الموت في ذاته بل هو يخاف وهو ليس على استعداد تام للقاء الله تعالى فهو يريد أن يسبق موته مقدمات كالمرض الخفيف المنذر بأن العبد قد

يرحل في لحظة من اللحظات إلى ربه ليقف بين يديه ويحاسبه على ما كان منه فليس أقل من أن يقول استغفرك يا رب وأتوب إليك من كل ما جنيت من أعمال لا ترضيك وإني إن عدت إلى حياتي مرة أخرى فسوف اعتبر بهذا الإنذار فهذا نوع من أسباب خوفه من موت الفجأة فهو لا يمهل الإنسان ولا يعطيه إنذارًا بنهاية الحياة بل ينقله منها إلى الحياة الآخرة على غرة، فاللهم احفظنا وألهمنا دائما الذكر والفكر والدعاء والشكر.

فهو يقول أن خوفي من هذا الموت جعلني دائما اعتبر نفسي مع الموتى أني حتما ميت الآن، وهو أمر طيب يجعله دائم الذكر والفكر والاتصال بالله تعالى.

[233] يريد أن الإيمان بالغيب يقتضيه العقل ولا تدركه الحواس لأن الحواس تشهد ولا تعلم أما العقل فهو الذي يدرك ما لا تدركه الحواس ولا يعرف إلا بالتأمل والنظر والتفكر ومن ذلك الغيب كله من إله وجنة ونار وبعث ونشور وحساب وثواب وعقاب وهذا ما لا يمكن التدليل عليه بالمحسوس فهو من علوم العقل.

[234] اختصار لموضوع الجبرية وهم من الفرق الإسلامية القديمة تقول الدكتورة فاطمة محجوب في موسوعتها الذهبية في هذا الموضوع (12/22).

ويخوص ابن تيمية في الموضوع خوض العارف للأقوال المختلفة في الموضوع قولا قولا.

ويذكر مذهب الجبرية، فيفنده تفنيد الخبير العارف، ويقول في ذلك.

هؤلاء قوم من العلماء والعباد، وأهل الكلام، والتصوف، أثبتوا القدر وآمنوا بالله رب كل شيء ومليكه، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء وهذا حسن وصواب، ولكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد، وأفرطوا حتى غلا بعضهم إلى الإلحاد، فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾، فإن هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأن الله خالق السماوات والأرض وخالقهم، وبيده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر فإن العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عندهم في النظم والنثر.

ويذكر الذين قالوا: إن العبد يخلق أفعال نفسه بما أودعه من قوى هو خالقها، ويسمون القدرية ومنهم المعتزلة فيقول فيهم:

القدرية متفقون على أن العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة، والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا، بل أمر بهذا ونهى عن هذا، وليس عندهم لله نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين إلا وقد أنعم بمثلها على الكفار، فعندهم أن علي بن أبي طالب وأبا لهب مستويان في نعمة الله الدينية إذ كل منهما أرسل إليه الرسل وأجبر على الفعل بالأمر، وأزيحت علته، ولكن هذا فعل الإيمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن لأجلها.

وعندهم أن الله حبب الإيمان إلى الكفار كأبي لهب وأمثاله، كما حببه إلى المؤمنين كعلي رضي الله عنه وأمثاله، وزينه في قلوب الطائفين سواء، ولكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله بغير نعمة خصهم بها، وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه لهم.

وقدر ما هم مخالفوهم بأنهم قدرية لينطبق عليهم الأثر: "القدرية مجوس هذه الأمة" وذلك لأن المجوس قالوا: إن العالم فيه قوتان: قوة للخير، وأخرى للشر، ويقولون أن قوة الخير هو إله الخير، وقوة الشر إله الشر، فادعوا أن القدرية قالوا ذلك إذ حكموا بأن المعصية من العبد لا من الله.

فيرد ابن تيمية ذلك، وينفي عن القدرية ذلك القول ويقول: ومن نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم، فلم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله، فإن أصل قولهم: إن فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلتاهما فعله بقدرته تحصل له من غير أن يخصه بإرادة خلقها فيه مختص بأحدهما، ولا قدرة جعلها فيه تختص بأحدهما. وتذكر في نفس المصدر ص 12/20.

وعن الجبرية يقول الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله:

خاض المسلمون في آخر عهد الصحابة في حديث القدر، وقدرة الإنسان وإرادته بجوار قدرة الله سبحانه وإرادته وقضائه وقدره ولكنهم كانوا لا يتعمقون في بحث هذه المسائل وليس ثمة مذهب فكري يسيطر عليهم إلا كتاب الله وسنة رسوله، أما بعد عهدهم وانقراض أكثرهم واختلاط المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات القديمة، فقد كثر القول في هذه النواحي، وتعمقوا في دراستها تعمقا عقليا غير معتمد على نقل، ولذلك اختلفوا. ففريق من المسلمين قالوا: إن الإنسان لا يخلق أفعاله، وليس له مما ينسب إليه من الأفعال شيء فنفوا بهذا الفعل عن العبد وأضافوه إلى الرب وقرروا أن العبد لا يستطيع شيئا، وهو مجبر في أفعاله لا إرادة له ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال، كما تخلق في الجماد والنبات والجماد، وتنسب إليه كما تنسب إلى النبات والجماد أيضًا، كما يقال أثمرت الشجرة، أو جري الماء وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، وازدهرت الأرض إلى غير ذلك. والثواب والعقاب جبر وإذا ثبت الجبر فالتكليف جبر (الملل والنحل للشر سيان عند الكلام على الجهمية).

[235] يريد أن الإنسان مخير بمشيئة الله تعالى هكذا اقتضت مشيئته فليس في ذلك خروج عن مشيئة الله تعالى ولا تعطيل لها، ولا جبر على الإنسان.

[236] قال: خذ من القرآن ما شئت لما شئت. فمن شاء أن يأخذ من القرآن ما يستدل به على الهدى وجد: وإن أحب أن يأخذ نفس النص ليستدل به على الضد من ذلك وجد.

إذا سألت كيف هذا؟ قلت لك: بلى عنق النص والسفسطه في الكلام والجدل العقيم وحب الهوى والمغالطات اللفظية والخداع والباس الباطل ثياب الحق وما إلى ذلك من السبل التي يقبلها الشرع، ويكون هذا النص مذهب معين أو رأي معين أو سلطان معين أو لبلوغ غرض مريب.

والمؤلف يرى أن القلوب كالأرض تنبت ما يزرع فيها فإن زرع فيها الإيمان وجاءه ماء القرآن نمى وترعرع واستغلظ واستوى على سوقه فأعجب أهل الإيمان وكان زينة للإسلام وعونا للحق على الباطل وبلغ صاحبه من المراتب العلي ومن الله الرضا.

وكذا إن زرع في القلب النفاق أو الكفر والعياذ بالله تزرع المنافق أو الكافر يتأول آيات القرآن على غير وجهها لينصر رأيه وهو لا يريد الاستدلال بالقرآن بل يريد طمس الحقيقة عن أهل الإيمان، وهيهات هيهات أن يغف المؤمن عن مثل هذه الخدع، فقد كشف الله تعالى حيل هؤلاء لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده أصحابه ومن سار على نهجه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

فقد فضح القرآن الكريم كل وسائلهم ومخططاتهم لمن أراد أن يعرفهم وعرى كل غطاء جاءوا وراءه أو تحته.

[237] كلام صوفي غارق في الرمزية والإشارة والبعد كل البعد عن المباشرة وهو ما لا فائدة منه حيث كتب وإذا قرأه القارئ لا يكاد يفهمه إلا بعد أن يعيد قراءته أكثر من مرة فلما هذا؟ وإنما بعثنا ميسرين ولم نبعث معسرين.

[238] يريد أن يقول إنك إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر إلى أين تميل نفسك فما مالت إليه فإنما هو أنت، فإن رأيت أن ما مالت إليه حسن فنمي فيها هذا الجانب أو الباب، وإن رأيتها مالت إلى ما هو بالضد فاحرص على توجيهها إلى الخير بسرعة قبل أن تتشرب الضلال والزيغ ثم يصعب عليه إعادتها إلى الخير بعد إلا بجهد جهيد.

ويقول إن الجنين لا يمكنه إدراك ما في هذا العالم لأنه في حكم من ليس فيه أو شبه العدم كذلك من لم يدرك ما حوله كمن لا يكون فيه، وإنما هذا هو حال من ينظر إلى الجسم لا إلى الروح أو إلى النفس أو العقل إنما الإنسان بهذه الأشياء أكثر منه بهذا الجسم المرئي المشاهد الحال المرتحل فعلى العاقل أن يدرب عقله على إدراك ما هو وراء المشاهد ليسهل عليه معرفة ما وراء تلك الحياة إذ أن ما وراء تلك الحياة إنما هي الآخرة ولا يفصل بيننا وبينها سوى هذا الموت الذي يخرجنا في لحظة من الدنيا وفي ذات اللحظة يدخلنا في عالم الآخرة.

فمن لم يؤمن بها فقد ظلم نفسه واهلكها وحكم عليها بالعذاب الأدبي الدائم، وكذا من لم يعمل لها حسابها واستعد لها بالعمل الصالح إذ لا يكفي أن يعرف العقل أن وراء تلك الحياة حياة أخرى، بل لا بد وأن يعد لتلك الحياة عدتها ليؤكد أن ما يقوله إنما حق بدليل أنه يستعد له من الآن ولو لم يكن حق لما عمل له كل هذا الحساب ومحاولة إرضاء رب الأرباب.

[239] يريد أنه بالمثال يتضح المقال وقد ضرب القرآن الكريم الأمثال للناس ليقرب إليهم المعاني التي يريد أن يفهمها لهم ليكون الأمر أسهل وأيسر في الوصول إلى العقل وهو هنا يقول إذا كان أمر الدنيا وسرها الذي من أجله خلقها الله تعالى لم ندركه ونحن نعيش فيها ونعانيها لم نعرفه وكل يزعم أنه عرف كثيرا من شئونها إلا أن الكل أيضًا يقول لا يعلم حقيقة أمرها إلا باريها سبحانه فيكف بأمر الآخرة ونحن لم نشهدها بعد فكيف نعرف بعض حقائقها؟ اللهم إلا ما ابلغنا الله تعالى من أخبارها الإجمالية العامة كأنها تبدأ بيوم القيامة ثم الحساب ثم فريق في الجنة وفريق في السعير، وقد وصف بعضا من صفات يوم القيامة كما وصف بعضا من صفات الجنة وكذلك عرفنا طرفا من صفة النار أعاذنا الله منها، وأن هذه مآوى أهل رضاه، وهذه مأوى أهل سخطه أعاذنا الله من النار وأدخلنا مع الأبرار.

[240] هذه أمور مبنية على بعضها وضع أسسها وبناها المؤلف من عنده فليست ملزمة لأحد بل هو اجتهاد منه وتصور للذة والسعادة واللقاء والمعرفة، والحقيقة، والصفة.

وكلها من عنديات المؤلف فلا يعول على ذلك ولا يلام عليه بل هو تصور منه لحقائق تلك الأمور، وهو من أقوال أهل التصوف وأساليبهم التراكبية التراكمية هدانا الله وإياهم سواء السبيل.

[241] هذه وصية طيبة يوصي فيها المؤلف بأن يعود المرء نفسه دائما على تحمل الصعاب والمشاق في الأمور كلها وخصوصا أمور العبادة فإنه كلما أجهد المرء نفسه كلما ارتفعت درجته وتدربت نفسه على العبادة وسهل عليها أمرها فما دام الإنسان كذلك على تلك الحال فهو على جادة الطريق ومن لزم الطريق الصحيح وصل إلى باب الجنة الذي يبغيه وبلغ إلى رضا ربه الذي يرضيه.

ويحذرك المؤلف من الجنوح عن طريق الحق أو التماس رضى النفس أو الخلود إلى الراحات والملذات والشهوات أو التماس الرخص في الأمور الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة أولى إلا أن يكون في الرخصة نجاة النفس من الهلكة المحتومة فيجب عند ذلك اتباع الرخصة وتكون هي بمثابة العزيمة، وإياك وكثرة اتباع الرخص فإنها تجب المرء وتستدرجه إلى المحرمات فاحذر ذلك وعليك بالانتباه إلى حال نفسك.

[242] هذا رجل درب نفسه على تحمل المشاق فصار يلتذ بها كما يلتذ غيره بالراحة والدعة، والغريب أنه صار إذا عافاه الله يوما من البلاء والمصائب والمتاعب بحث لنفسه عن أمر يجهد فيه نفسه لينال القرب من الله تعالى فهو يرى راحته وسعادته في هذا التعب وهذه المشقة إذ يرى أنه بهذا يكون أقرب من ربه وأحظى برضاه في المشقة منه في الراحة فهو يتقرب إليه بذلك عند الواحد الأحد.

فهو يرى الصعب في سبيل رضاه سهلا يسيرا، ويشعر بأن أمر الأشياء لذيذا حلوا شهيا في فمه ما دام فيه رضا الله تعالى.

[243] هو: عدي بن مساهر (صخر) بن إسماعيل بن موس، أبو محمد، الشامي الصوفي، الزاهد، الهكاري.

توفي سنة: (557) يوم عاشوراء. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الشيخ، الإمام، الصالح، القدوة، زاهد وقته.. الشامي الهكاري مسكنا. قال الحافظ عبد القادر: ساح سنين كثيرة وصاحب المشايخ وجاهد أنواعا من المجاهدات، ثم إنه سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنيس ثم آنس الله تلك المواضع به وعمرها ببركاته حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، وارتد جماعة من مفسدي الأكرد ببركاته وعمر حتى انتفع به خلق، وانتشر ذكره، وكان معلما للخير، ناصحا متشرعا شديدا في الله لا تأخذه في الله لومة لائم، عاش قريبا من ثمانين سنة ما بلغنا أنه باع شيئا ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم في الجبل، ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن، ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئا، وكانت له أوقات لا يرى فيها محافظة على أوراده، وقد طفت معه أيامًا في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء، ثم لا نراه إلى الصبح، ورأيته إذا أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان فتلقانا منهم راهبان فكشفا رأسيهما وقبلا رجليه وقالا أدعو لنا فما نحن إلا في بركاتك، وأخرجا طبقا فيه خبز وعسل فأكل الجماعة، وخرجت إلى زيارة الشيخ أول مرة فأخذ يحادثنا ويسأل الجماعة، ويوانسهم، وقال: رأيت البارحة في النوم كأننا في الجنة، ونحن ينزل علينا شيء كالبرد ثم قال: الرحمة، فنظرت إلى فوق رأسي فرأيت ناسا، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: أهل السنة والصيت للحنابلة، وسمعت شخصا يقول له: يا شيخ لا بأس بمداراة الفاسق، فقال: لا يا أخي دين مكتوم دين مشؤوم، وكان يواصل الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه حتى أن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئا قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئا وأكله بحضرة الناس، واشتهر عنه من الرياضيات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في الزمان القديم لكان أحدوثة.

ورأيته قد جاء إلى الموصل في السنة التي مات فيها، فنزل في مشهد خارج الموصل، فخرج إليه السلطان، وأصحاب الولايات والمشايخ، والعوام حتى آذوه مما يقبلون يده، فاجلس في موضع بينه

وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رية فكانوا يسلمون عليه وينصرفون ثم رجع إلى زاويته.
وقال ابن خلكان: أصله من بيت فار من بعلبك، وتوجه إلى جبل الهكارية، وانقطع وبني له زاوية ومال إليه أهل البلد ميلا لم يسمع بمثله، وسار ذكره في الآفاق وتبعه خلق جاوز اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة.
صحب الشيخ عقيلا المنبجي، والشيخ حمادًا الدباس وعاش تسعين سنة وتوفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة. قال مظفر الدين صاحب إربل: رأيت الشيخ عدي بن مسافر وأنا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة أسمر اللون رحمه الله.
ومن مصادر ترجمته:
سير أعلام النبلاء (20/342)، الكامل في التاريخ (11/190)، تاريخ إربل (1/114)، وفيات الأعيان (3/254)، الحوادث الجامعة (271)، بهجة الأسرار (10/150)، المختصر (3/40)، دول الإسلام (2/72)، العبر (4/163)، تتمة المختصر (2/100)، مرآة الجنان (3/39)، البداية والنهاية (12/243)، روضة الناظر (12/68)، الكواكب الدرية (2/93)، النجوم الزاهرة (5/261)، طبقات الشعراني (1/81)، شذرات الذهب (4/189)، جامع كرامات الأولياء (2/147)، تاريخ العراق (3/36).
حتى يسمو عن عالم البشر إلى عالم الملائكة فيرى الخير بمنظاره والشر بمنظاره فيلتقط الخير ويدع الشر وتستمرئ نفسه الخير وتعتاده وتألف الطاعة وتشتاق إليها وترتاح إلى الذكر وتخلد إليه وتستمتع بالعبادة وترى فيها رياضتها وفي القرآن أنشودتها مما يجعل حالة الظاهر بشريا وحالة الباطن ملائكيا فيتقدم على ربه تقيا نقيا راضيا مرضيا.
[244] يريد أن يصير الإنسان إنسانًا ربانيا ذاكرا لله تعالى واصلا ليله بنهاره ونهاره بليله.
[245] هذا شاعر صوفي وهم كثيرا ما يرمزوا للمعرفة والفهم وهو ما يسمونه التجليات أو الفتوحات أو الفيوضات دائما ما يرمزوا لها بشرب الخمر ويريدون بها خمر الرمز لا خمر الحقيقة.
فيرون أن من فهم فهمهم فقد شرب خمر المعرفة فتجلت له الحقيقة وتجرد من نفسه وهام في دنيا العبادة والصفاء والإشراقات الربانية، والتجليات الإلهية وصار عبدًا ربانيا.
فهو يرى أنه كان كالأعمى فبصر لما عرف هذه المعاني التي كانت تخفي عليه فلاح له طريق الخير والهدى والصلاح الذي كان لا يبصره وهو منه قريب فرآه بالبصيرة لا بالبصر الذي هو محدود وإلى زوال فعرف ما لم يعرف وعرف أنه كان فيما مضى كمن يعيش بليل وغسق فطلع عليه نهار ونور الحقيقة فابصر كل شيء على حقيقته فاستراح وسلك الطريق وبسلوك الطريق إن شاء يصل إلى ما يريد.
[246] يريد أن ينبهك إلى أن تجعل على فكرك ضابط ولا تتركه يهيام في واد من حق وإلحاد، بل كن له ملاحظا وعن التردد ساحبا وعلى الانضباط ملازما وفي عجائب مخلوقات الله تعالى متأملا متفكرا وله تعالى مبجلا ومعظما.
ويرى المؤلف أنه جاسوس القلب المدلس عليه الأمور حتى يسرقه دون دراية منه مع التزين إلى الإلحاد من طرف خفي إلى أن يعتقد الإلحاد اعتقاد جلي.

فينصح بأنه على المرء أن يجاهد هذا الفكر جهادًا شديدًا قويا عنيدًا حتى يعيده إلى الصواب والطريق الحق ولا يسمح له بادئ ذي بدء من التجول في حقل الإلحاد بالمراعاة والمحافظ عليه أولا بأول.
ويقصد بطرده من البلاد أي من مواطن الشر والفتن والإلحاد والبدن الذي يسكنه يجب أن يطرد منه وساوس الشيطان الذي يأتي عن طريق هذا الفكر السيال الذي ليس هو منضبط بضابط أو الذي صاحبه عنه نام حتى أفاق بعد أن هام في المجال الحرام.
فانتبه قبل أن يدخل في هذا المجال، فإن كان قد دخل فجاهده وأعده واحرص على أن لا ينفلت منك مرة أخرى حتى لا يعتاد الترداد فلا تدري على أي حال يكون الختام، فقف له دائما بالمرصاد وينصح بأن تشغل فكرك بما هو خير لك حتى لا يشغلك هو بما هو شر عليك فإن لم تغلبه غلبك وكذا إن لم تقتله قتلك، فكن دائما على حذر وكن دائم النظر كثير الذكر مع إطالة الفكر والاعتبار بما مضى والانشغال بما هو آت حتى يرفعك الله أعلى الدرجات، ويسكنا وإياك الجنات.
[247] في المخطوط: "الدائم" وهو تحريف.
[248] يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ كلا الأمرين بلاء بل بلاء الخير أكبر من بلاء الشر لأن بلاء الشر ظاهر ويدركه الإنسان سريعا فيبادر إلى الدعاء وطلب النجدة والنصر والغوث من الله تعالى عند أول نزوله، أما الخير فإنه يغفل عن المراد منه وينساق وراء زهرته وحلاوته وينسى شكره أو ما يجب عليه فيه، ففرحة البشرى به كثيرا ما تنسى المنعم بها ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي الفرحين على غير وجه حق أو خير أو على غير إرجاع فضل النعمة على المنعم.
ومن هنا أراد المؤلف بأن الشيء الذي يؤذي الإنسان رحمة له لأنه منبه أي مذكر وداعي إلى اللجوء إلى الله وهذا في ذاته رحمة ونعمة عظيمة ربما بغير هذا الأذى لم تكن لتتوجه إلى الله بالدعاء أو الذكر.
ويريد بضرب المثل بالبراغيث والذباب بأن البراغيث توقظ في الليل إلى صلاة التهجد عن غير قصد فهذا أذى أدى إلى خير ونبه إلى صلاح وبركة وذكر.
وقرص الذباب بالنهار يوقظ من القيلولة إلى صلاة العصر أو إلى الذكر فهذا أيضًا كما فبراير هو الحال مع لدغ البراغيث. كذلك يذكر الفقر بنعمة الغني، والمرض بنعمة العز، والسجن بنعمة الحرية، والعطش بنعمة الري والرمد بنعمة النظر. ويدعوك المؤلف إلى أن تقلب النظر فيما أنعم الله به عليك من النعم وأنت في سعة من رحمته وبحبوحة من فضله وجوده وكرمه، وعفوه عنك.
وقوله إذا أحببت الخروج من السجن أي من الطاعة في الدنيا فقد دخلت إلى النار في الآخرة وأي سجن أشر من هذا. وإذا كرهت الموت فقد كرهت الحياة، حيث أن الموت هو الباب الذي تدخل منه إلى الآخرة التي هي الحيوان فحبك الحياة التي هي فانية فإنما هي حبك الموت، وحبك الموت هو حبك الحياة فافهم هذا جيدًا.
فإن من عرف أن الموت هو بداية الحياة الآخرة، فقد فهم مقصود الإيجاد في الدنيا، ومن ظن أن الحياة الدنيا هي الأولى بالحب وبالتمسك بها فإنه لم يفهم مراد الله من هذه الحياة ولم يفهم دعوة الأنبياء ولم يع ما ينادي به القرآن الكريم وما قبله من الكتب المنزلة. ولهذا تعجب المؤلف ممن يفكر بهذه الطريقة واعتبر أن عقله مقلوب يحب المكروه ويكره المحبوب.

[249] يريد أن ينصحك بأن تتخذ لسانك عونا لك على طاعتك وقضاء أمورك بالصدع بالحق في وجه أهل الباطن فلا يمر على منكر إلا نهى عنه، ولا على حق إلا أعان عليه.
فإن اللسان الذكر محبوب إلى الله مقبول الدعاء فلا يقرع باب طاعة إلا فتحه الله تعالى له وسهل عليه الولوج فيه وجعل مراده مقضيا لأنه لا يريد إلا الخير دائما لأنه موصول بربه سبحانه راضيا عنه وعن صاحبه.
[250] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ هكذا أراد الله منك كما أراده من نبيك صلى الله عليه وسلم ﴿إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ فصحبة الصالح تكسبك الصلاح، فإن كنت صالحا زادتك صلاحا ووثقت الإيمان في قلبك، وأنت إذا رأيته حببتك رؤياه إلى الطاعة وتجدد فيك النشاط إليها، فإن قمت إليها أعانك عليها، وإن رأيته وأنت على غير طاعة أو على غير معصيته تذكرت وخيركم من ذكرتكم رؤياه بالله، وإن كنت على معصية ذكرتكم رؤياه بالله، وإن كنت على معصية استحببت منه وتمنيت أن لو كان مكانها طاعة حتى لا تستحي منه فهذا النوع من البشر عليك أن تلزمه وأن تصحبه وأن تحرص عليه صحبته وعلى معاشرته معاشرة حسنة لا تغضبه ولا تقلوه، ولا تقسوه عليه ولا تكثر لومه أو معاتبته.
فإنه بمثل هذا النوع من الناس تسمو عن العالم الأرض السفلي وتكون من العالم العلوي الملائكي الرباني الحريص على الطاعة ورضى الله والحرص على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتستمرئ الحياة في كنفه على الرغم مما فيها من منغصات فيصير متاعبها راحة وصعبها سهل مرارتها حلاوة، وحنظلها اترج هم القوم لا يشقى بهم جليسهم رفقاء خير وشركاء عبادة وإخوان دين، وقراء جنة عند مليك مقتدر في جنات وأنهر، إنه وعدهم بذلك ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾.
[251] يريد أن يقول لك يا هذا كيف تقرأ القرآن وعلمت علومه وخبرت فنونه، وخضت عميق بحوره، وشربت من صفي ورده، وأنت حالك كما هي حالك لم يطرأ عليك تغيير فأين كل هذا العلم من العمل؟ الناظر إليك والمتأمل لحالك يرى أن علمك ما هو إلا ألفاظ عرفتها ووضعتها إلى جوار بعضها ترصها رصا للسامع وتعددها عدا للطالب، ولم نرعيك منها شيئا، فكل عملك يناقض ما تقول، وكأنك تكذب نفسك بنفسك أو لكأنك لا تصدق بما تقول أو أنك تظهر شيئا وتبطن غيره. ونراك تعظ ما نرى وعظك إلا مخادعة للناس لتنال منهم متاعا أو مدحا أو مكانا أو مصلحة. ونجدك عند أدائك العبادات الظاهرة تقوم إليها مجبرا كسلانا وكأنك تساق إلى الموت وأنت تنظر. ونراك جملة هباء في هباء لا حقيقة لك ولا حق معك ظاهرك براق وباطنك مفراق.
[252] ثم يتوجه المؤلف إلى الإنسان المتساهل في أمر نفسه المغني بالحياة الدنيا، المفرط في أمر الآخرة، بعدة أسئلة توبيخية، تعجبية، تفريعية، استفهامية عساه أن ينتبه أو يفيق إلى ما هو فيه ويتجه إلى ربه بالطاعة وإلى نفسه بالتهذيب، وإلى الآخرة بالعمل الصالح، فيقول: أراك سخيا بحياتك تجود بها إلى الشيطان فتسلمها له ليدعها في أسفل سافلين مع مرده الشياطين أفهذا هو السخاء وهل من يسخو يسخو برأس ما له كله حتى يمحق من كل ما معه فيصير أفقر الخلق. فأنت بهذا أقل الناس رحمة بروحه إذا تعرضها بهذا الإهمال أو التبذير إلى غضب الله عليك وتحوجها إلى أنذال الناس وأشرارهم فلا تجد عندهم إلا التوبيخ والشح والغلظة. وهو يدعوك إلى الرحيل عن هذه الدار التي أضعت أثمن ما فيها ولا زال مخلوق أهديتها، فما المكث فيها بعد هذا إلا زيادة في الخسارة ولوم وحسرة وندامة ويتوجه من شدة اللوم والتعجب والضيق من حالك عليك فيقول

فيساءل مرة أخرى:أما بك حزن منك عليك فيما أحدثته بنفسك من الدمار والخسارة؟ أليس لك قلب تشفق به على نفسك التي أوقعتها في أبعد المهاوي وسقتها ووضعتها في يد أشر خلق الله تعالى وألعنهم على الإطلاق؟ وإلى متى ستظل يا هذا لا تعرف قدر نفسك وقدر ما فعلته بها والمصيبة العظيمة التي أوقعتها فيها بتصرفك الأهوج؟

أو ليس تأتيك لحظة تحن فيها إلى أن تكون أنت الذي هو أنت الذي يحب نفسه ويحب أن تعرفها ويجب أن يهذبها ليتك تحن إلى ذلك يوما قبل الرحيل حتى تدري من يحبك ومن يبغضك؟ ومن يريد لك الخير ومن يريدك؟ ليتك تثوب وتعود إلى مأواك الذي خرجت منه لتتعرف على نفسك من جديد، قبل يوم الوعيد والبأس الشديد.

أما تدري بفعلك الذي فعلت وسخاياك الذي سخيت إلى من صرت تنتسب، صرت تنتسب إلى إبليس وأعوانه وانسلخت عن بني آدم وخلانه. يا هذا أما تفهم أو لك من آخرك؟ أما تعقل ما فعلت بنفسك؟ أما تدري أين وضعت روحك؟ أنسيت الآخرة التي يسعى إليها كل إنسان طائعا أو مجبرا لينال أجر ما جمع في هذه الحياة الدنيا إن خيرا وإن شرا، بادر وأنت هنا باسترجاع ما أضعت عساك تدرك إصلاح ما أفسدت.

فإن أمامك وحشة شديدة، ومقام طويل بالغربة فحاول أن توجد فيها من يؤنسك ويخفف عليك وحدتك وغربتك ويقطع عنك طولها.

يجب عليك أن تفيق فكما تكذب على نفسك عليك أن لا تغضب إذا كذبك الناس في دعواك الإيمان فقد كذب فعلك قولك إلا أن تبادر بالتوبة والندم والاعتراف بالخطأ، مالك تخالف العقل في هذه المرة وأنت الذي كنت تحتج به على الناس؟ مالك تغتر بهواك وقد أوقعك في أشر أعمالك بعد أن تخليت عن عقلك وهويتك وشخصيتك أين أنت منك انتبه واستيقظ من ثباتك العميق قبل أن تفيق على هول الحاقة والقارعة والطامة والصاخة والراجعة. مالك تذل لشهواتك وتنسى طيبات الآخرة فشهوتك قصيرة الأمد ليس لها عمد أما الآخرة فطويلة الأمد متينة العمد. يا أيها الغافل هل لك خير مما أدعوك إليه وأعيدك إليه. ثم يعود إلى تقريعه بعد أسئلته التوبيخية، فيقول: يا مسلوب الإخلاص في العبادة: إذ لو كانت عبادتك حقا مخلصة، لله ما آل حالك إلى ذلك وما كان تركك لنفس وشيطانك وهواك، يا قليل النشاط إلى اقتفاء أثر السادة أي الأنبياء والصالحين والنبلاء والفطناء من السلف الصالح. أتظن أن السعادة في اتباع الهوى وتسليم القياد إلى أهل الضلال والفسق والفجور والمجون إنما السعادة الحقيقية في أن لا تعصي فيه الله تعالى وتطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقرأ فيه آياته وتتأمل فيها وتتدبر معانيها.

ثم يذكره موعظا أيها الإنسان اعلم أنه قد تكون مصاعبك ومصائبك وهلاكك وخسارتك في مطالبك التي تطلبها وترجوها وتتمناها فإن الإنسان قريب النظر قليل الخبر لا يدري أين مكمن الخطر فهو يجري على قدر فكن أيها العاقل من أمرك على حذر وارض بما قسم الله لك وارع شئون نفسك من نفسك فإبليس لن يتركك وشأنك فأنت شغله فاجعله شغلك وكن دائما منه على حذر.

وقد يكون تقك إلى إلفك، أي أن ما نألفه أو من تألفه وتطمئن إليه قد يكون هو مصدر الخطر عليك، وقد يؤتي المرء من مأمنه، أو من حيث يضع ثقته.

فكن دائما على يقظة من أمرك مقبلا على ربك مهذبا لنفسك منتبها لشيطانك وهواك وشهواتك ودنياك حتى تفوز بآخرتك وتسعد بلقاء نبيك وتنال رضا مولاك ولكي تبلغ في الآخرة منتهاك فقم

للطبيعة عاصيا أي خالق هواك وطبيعتك وجبلتك التي ليست هي مستقيمة مجيبا لدعوة نبيك ملبيا نداء ربك مستجيبا له فادعوه وارجوه وتقرب ليه وترفق له وتذلل بين يديه قائلا: إلهي حل بيني وبين ما يحول بيني وبينك، فيعينك على أعدائك. وأعذني مني، فيجيرك من نفسك وينصرك عليها ويجعلها طيعة لك. وأعنى علي، فتتجرد من قوتك إلى قوته ومن حولك إلى حوله فيعطيك ويرضيك ويرضى عنك ويجزيك بكل جزاء خير أعده سبحانه للمتقين.

[253] هذه نصيحة طيبة ووصية موفقة حيث ينصح بأن لا يهتم المرء بخدمة جسمه الخدمة التي يزدهر بها ويتباهى بها أمام الناس ويستعين بها على ارتكاب المحرمات إنما يجب عليه أن يغذيه ليستعين به على الطاعات ويجعله مطية للخيرات وبلوغ أعلى الدرجات ورضا رب السماوات ليدخل به الجنات، ولله در من قال:

يا خادم الجسم كم تشقي أتطلب الريح مما فيه خسران

اقبل على النفس باستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ويقول لك فكما أنك تهتم بالدواب فتطعمنها من أجل غرضك لا من أجل عرضها فعامل نفسك كذلك فأنت لا تطعم الداية إلا لتنال منها الراحة بالركوب أو المنفعة في الحمل أو الاستعانة باللبن والسمن وهكذا، ولهذا فأنت لا تطعم سبعا ولا أسدًا ولا ذئبا لأنك تعلم أن في إطعام هؤلاء وتقويتهم هلاكك فاعلم أن بينك إن أطعمته لغير ما تقصد أخذك إلى غير ما تقصد فبدلا من أن تقوده يقودك، فانتبه لذلك وعمل بنصحته فقد أبلغ لك فيها.

[254] جاء بالهامش بعد هذا اللفظ لفظ "الموت" فربما كان من قول المؤلف وربما كان من استنتاجات الناسخ.

ولكن أرى أن الموت ليس من أمتعة إبليس أيا من كان صاحب هذا الرأي فالموت لا يملكه سواه سبحانه، فالموت هو ما يرجوه إبليس فهو يرجو أن يبلغ بالإنسان إليه على ضلال وبهذا يكون قد حقق أمله من كل إنسان إذ أقسم على ذلك أمام الله سبحانه ويريد أن يبر بهذا القسم الفاجر.

أما امتعة إبليس فهي الغواية، والضلال، والفساد، والغش، والخداع، والزيغ، والرزايلة والشر، وكل ما يضاد الخير، وكل ما يضاد ما جاء به الرسل، وما يضاد كل معروف فهذه هي أمتعة إبليس، ومن كان له متاع أودعه في مكان يأمن عليه فيه أو مأمون لديه وقد اختار إبليس بما لديه من خبرة في المكر والشر والفساد المكان المناسب لهذه الأمتعة المدمرة والذخيرة الفتاكة فلم يجد لها أنسب ولا أأمن من نس عدوه ومن عدوه الأول إنه ابن آدم إنه الأنسب إنه على وجه الخصوص المؤمن المسلم الذي أسلم قياده لله تعالى واتبع سنن الأنبياء ودعى إلى الحق إخوانه من بني الإنسان ولهذا ذكرك المؤلف بأن تنتبه لهذه النفس وأن تراعيها وأن لا تغفل عنها فإنك إن تغفل عنها لن تغفل عنك بما أودع فيها من أمتعته الفتاكة التي تتربص بك الغفلة أو السهو أن النسيان أو الإهمال أو التراخي فينفذ إليك سمه ويصيبك في مقتل مباشرة.

فاعمل بنصيحة المؤلف عسى الله أن يعصمنا وإياك من الشيطان ومن شروره ومن وساوسه وأن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بديننا ويرزقنا رضاه في الدنيا والآخرة.

[255] يقول لك المؤلف جرد نفسك منك وانظر إليك من خارجك وضعها في نعيم الجنة الدائم وما أعد الله تعالى فيها العبادة الصالحين والذي اختصره الأثر بقوله: "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" مع المعارف العامة عنها مما وصفه المؤلف من غني، ونعيم،

وصحة، وقوة، وجمال، وقدرة وبقاء، وخلود، وراحة، ولذة، وسرور، واستقرار ودوام وأمان.ثم يسأل متعجبا كيف ترضى أن تستبدل هذا بما هو ضده وعلى النقيض منه تماما؟ وما هو الثمن الذي تقبضه إن الإغراء، والغواء، والخداع، أيعقل أن يفعل هذا عاقل؟! ثم يعود فينصح مرة أخرى شفقة عليك وأملا في إفاقتك وإعادتك إلى صوابك فيقول عد عن هواك وزيغك فما غيرك يرضيك أي ما غيرك يعرف ما تريد، ولا فرصة لك إلا فيك ومنك فمنك يكون البدء في العودة إلى طريق الله تعالى والنجاة لك بك منك أي من نفسك مستعينا بالله تعالى.

[256] يريد أن يقول لك اعلم أيها الناظر المتأمل وأعرف أن أقرب شيء إليك تعيش به وتحرك به بين جنبيك غيب عليك لا تعلم من أمره شيء، ونفسك غيب عنك لا تعرف كنهها ولا ماهيتها ولا مرادها ولا طريقة تكونها ولا تأثيرها فيك ولا تأثيرك فيها وجسمك ونفسك معك إنما حللت ومع هذا فأنت لا تعرف نفسك فهي عنك غيب لا تدريه ولا تدري ما يفعل بها ولا لها ولا أين ستكون ولا أين هي الآن كائنة. ويستدل على قوله هذا بعجزك عن إدراك ذلك. ويقول لك إن أردت معرفة بعض نفسك على الحقيقة فاعرفها من آثارها ينكشف لك بعض سرها وهو بالتأمل فيما تأتي من أمور مشاهدة.

[257] هذا كالقول نقول الأول نثرا أحاله إلى نظم لطيف فيقول أن ذاتك غيب تحمله بين جنبيك والحق أنها هي عين الغيب، وأن تأثيرها ظاهر لا يحتاج إلى بيان أو برهان وإن كنت لا ترى هذا التأثير الظاهر من أثر الغيب فدليل ذلك عليك أنك ترى هذه الظواهر من أحدثها أو ما أحدثها؟ هل حدثت بذاتها أم لها محدث أحدثها؟

فهذا الظاهر يكون إدراك الباطن أو المغيب الذي لا يظهر لك مباشرًا ولكن يظهر لك أثره فيك أو فيما هو حولك، ومع كل هذا لا تراه نظرًا للهوك وغفلتك وعدم أعمال عقلك فيما يدور حولك ولك بها ومنها.

[258] جاء هذا الموضوع في هامش المخطوط. وهو موضوع خاص بالمتعبد صاحب الحالات الخاصة في العبادة فهم يرون أو يشعرون أن للعبادة لذة كبيرة عظيمة وهذه اللذة يكون في نفوسهم ويظهر لها أثر على سلوكهم في الصور الحسية تظهر لنا نحن المشاهدين للعابد ونسميها بحالة روحانية يجد فيها العابد حالة من الصفاء والهيام والراحة تظهر على كل خلجة من خلجاته.

[259] كذا جاء هذا الموضوع بالهامش وهو يذكر فيه هنا ملاحظة أن الموضوع إذا كان ثلاث مسائل أو فصول أو أبواب فإنه لا يغني عنه اثنان ولا واحد ولا يصح وضع واحد مكان الآخر أو مكان الآخرين ولا بد من تمييز كل واحد منهما عن الآخر.

[260] جاء هذا الباب بالهامش وجاء فوقه كلمة مكررة ثلاث مرات.

[261] جاء بعد هذه الحكاية التي هي بالهامش قول الناسخ ما نصه:

حكاية: هذه الوصية قد تكررت فإنها قد ذكرت قبل الباب الثاني، وكتبت هنا لسهو والسهو حصل في نسخة منقولة منها، فلا حاجة إليه هنا، فأظن أن هذا القول يخص حكاية لم يذكرها الناسخ في هذا الموضع.

أما بالنسبة للوصية التي نحن بصددها فهو يوحي أو ينصح بأن يضع المرء نفسه حيث وضعه الله تعالى وينزل حيث أنزله الناس الصالحون وأهل الحق والعدل الذين لا يمالئون ولا يجاملون ولا يراءون، وهو قوله:

صانوك، اعزوك، جدوا بك، آمنوك، أي لا تفعل ضد ما يظن بك الناس وكن عند حسن ظنهم بك حتى يتأس بك الصالحون أو طالبي القدوة والمثل والسالكين ضرب الهدى والخير.
وينصح باستخدام الفكر في كل حين وظرف وامنع نفسك من التراخي والتباطؤ والكسل والفتور، وحاول أن تتحكم في تصرفات عقلك تصرفا حكيما فإن ذلك يجعلك تملك زمام أمرك ما دام الأمر خارج إطار القدر أي خذ بالأسباب ودع رب الأسباب يفعل ما يشاء فإن إرادته نافذة ولكن كن دائما على حذر من انطلاق فكرك فيما لا يجلب عليك خيرا.
وعليك بالعلم الناتج عن إعمال هذا الفكر في ضمائر أو خفايا القلوب ومواقع الخطرات وما يتصل بكل خاطرة، وما ينقدح في القلب من نور وصفاء ناتج عن الإيمان الصحيح وما يبدر من ظلمة وكدر وشين ناتج عن وساوس وهلاوس وتخويفات الشياطين والتي قليلا ما ينجو منها بشر إلا من رحم الله تعالى من عبادة المخلصين وأنبيائه المصطفين. وبتمرين الفكر على الترقب لكل خطر ينشرح الصدر ويتدرج في مدار الإيمان والنور حتى يقبل على الله تعالى مطمئنا طيعا ويكون هذا بعد جهد جهيد ودأب شديد وتعب كثير.
ويحذر من وهبه الله تعالى العلم وهو لا يعمل به في عقله ولا ينتفع بما علمه الله وهو يتعجب من ذلك أيما تعجب فيجب أن يكون هو الدال الناس على أعمال الفكر فإذا به أعماهم عنه مع علمه به.
وهذا يجعل قلبه يمرض كما تمرض عينه أي تعمل بصيرته نظرا لإهمال العقل عما تعمى عينه الطبيعة لإهمال تتعرض له في الحياة أو يصيبها الضعف. فعلى العاقل أن يتعلم ما يصلح به باطنه ويعمل به لينجي نفسه ويدحض وساوس الشياطين عن قلبه ونفسه ويسير إلى طريق الله تعالى بإقدام ثابتة غير مضطربة. وينصح للحصول على ذلك العقل المفكر الذاكر والقلب النعي الشاكر بالدعاء الدائم فانه انفع علاج جربه العابدون ونالوا به ما كانوا يرجون ووصفه لهم النبيون، وهو متلو في كتاب الله المكنون ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.
[262] هذه تجربة شخصية مر بها صاحب الحكاية وهي مجربة من أكثر من شخص وأكثر من مرة وكل من جرب ذلك وجده صحيحا لا مرية فيه فهذا يحكي أنه دخل السجن أولا مظلوما وكان يبتهل إلى ربه سبحانه وتعالى فيستجيب له، ولما أراد أن يخرج خرج منه لأنه كان يرى أن السجن لا فائدة منه ولا مضرة بعد أن كان يشعر في أول أمره فيه بالظلم، فدعا الله أن يخرجه فخرج.
ثم يحكي تجربته الثانية والتي ربما كان فيها هذه المرة غير مظلوم وكان أن نظر في حال نفسه فوجد أنه لا يليق به أن يدعو الله لأنه قد ارتكب من الأخطاء ما يجعله يشعر بأن ذلك إنما هو عقاب لا فتنة ولا ابتلاء فسكت حتى عاقب نفسه واقتص منها واقبل على شئون آخرته فعاد إلى حالته الأولى فكان إذا دعا الله أجاب فكان يتجنب الدعاء بالخروج حتى يتم ما نسميه اليوم ببرنامج كان قد وضعه لنفسه ألزم نفسه بإتمامه قبل الخروج فكان يخاف الخروج قبل إنجاز ما ألزم نفسه فصار في نفسه يمثل النذر الذي يقطعه المرء على نفسه وهو يريد الوفاء به، فلما أن قضى وطره من السجن أو من البرنامج الذي وضعه لنفسه، وقد لاحظت ذلك كثيرا في مرات كنت فيها في السجن معي ومع أقراني حتى أن بعضهم آلى أن لا يخرج إلا بعد توقيت معين كان يرمي إليه مع نفسه فإن جاءت الإفراج بعده خرج وإن جاءه قلبه طلب البقاء، فقد تنقلب النقمة نعمة والعكس، وقد يكون الخير كامن في الشر وصدق من قال: لو اطلعتم على الغيب لتمنيتم الواقع- أو لاخترتم الواقع- وصدق الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ

لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وصدق من قال: رب ضارة نافعة. فعلى العاقل أن يغتنم وقته في أي حال كان قبل أن يدركه الموت الذي هو حبس عن فعل الخير مع تمنيه وقطع عن الشهوات والملذات المباحة والمحرمة، وقد قال تعالى ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

[263] يرى أن رأس مال المرء هو المعرفة التي بها يصير المرء محافظا على كيانه ضابطا لتصرفاته قائدًا لنفسه مروضا لها دافعا لها إلى الخير دالا لها إلى فعل الخيرات حاجرا لها عن المنكرات مقبلا بها إلى ربها فهذا كله نابع من معرفته لنفسه وحفظه لحالها التي تقسمه إلى شطرين خير وشر وإنما يأخذها إلى حال الخير دائما.

وهو يرى أن النقم إنما هي نعم من الله تعالى لما تطوي في داخلها من الأجر عليها حين الصبر عند نزولها فهو مشغول بالشكر دائما عن الصبر فهو مشغول دائما بالذكر الذي هو من أثقل الأعمال في الميزان. فالعالم يرى أن كل ما يأتي به الله للعبد إنما هو من قبيل العدل والرحمة له وأن مع كل عسر يسر رفيقا له لا يتخلف عنه قيد أنملة وهذا كله مما يجعله دائما في معراج ورقي في سلالم الخيرات والرضوان.

[264] كلامه في الصبر، والحلم، والصدق، والوفاء إنما هو من قبيل الاجتهاد وهذه الأربع التي تناولها لكل منها كتب كتبت فيها ودواوين دونت في هذه الموضوعات الأربعة وتكلم فيها المتكلمون كثيرا بما أغنى عن الإعادة هنا.

[265] اختلف العلماء بين أيهما أفضل الفقير الصابر أو الغني الشاكر وكل قد استدل على ما ذهب إليه من كون أن الفقر مع الصبر خير مع الفقر والآخرون استدلوا على أن الشكر أفضل مع الغني. والمؤلف هنا يذهب إلى ما ذهب إليه الذين قالوا بأن الفقر مع الغنى أفضل. وأقول: المراد أن يتوجه العبد إلى الله تعالى في السراء والضراء سواء كان فقيرا أم غنيا فهذا هو المقصود من العبادة والصبر والشكر ما هما إلا دليلان على التبتل والتعبد والخضوع والرضا بما قسم الله تعالى.

[266] يقول أنه شغل بالشكر عن الصبر معللا ذلك بأنه رأى أن هذا ا لعسر الذي نزل به إنما جاء معه اليسر، وهذا رجل رأى الأمور على حقيقتها فرأى أن الإنسان عليه أن يكون كثير الذكر دائم الشكر غير مبال بظاهر ما ينزل به فإن كان يسرا فإنه يلزمه الشكر ويلزمه للعبادة الصبر، وإذا نزل به العسر لم يبال به حيث أنه مع اليسر قرينا وإن لم يره وعليه أن يشكر ربه على ما لطف به في هذه المحنة، إذا رفق بها هذه النعمة.

وكذلك يرى أن العسر ليس انتقاما من الله ولا هو ابتلاء واختبار بل هو عدل الله تعالى في خلقه فلكم يسر الله تعالى على عبده ومع هذا عندما ينزله برفقه باليسر فهل هذا إلا عين العدل الوزن القسط، وكم من معصية يرتكبها الإنسان لو عاقبه الله تعالى بها لهلك فيكون ما ينزل به من العسر ما هو إلا تخفيف من ربكم ورحمة.

أما عن اليسر فهذا محض منحة من الله تعالى ونعمة يقدمها منه لعباده تكرما منه وتفضلا لا يستحقها أحد منهم، فعلى العالم أن يتوجه بالشكر الدائم الجزيل إذ أن العالم يقدر الله تعالى ويرى يده في كل شيء تحيط به أو ينزل به.

والمرء الذي يرى أن في العسر صلاحا لنفسه حتى ترتدع وتقف أو تكف عما هي فيه من اللهو والانشغال بما هو فاني فإن شكره في العسر كشكره في اليسر فهو لا يفرق بين الحالين حيث يرى

كلا من عند الله، وأن ما ينزل به هو أهل له لأن الله تعالى هو العدل وهو الحكم وهو الحكيم فيما يقضيه.
[267] موضع النقط كلمة لم أتبين قراءتها. يريد أن القلوب بين يدي الله يقلبها كيف يشاء، فيا مقلب القلوب قلب قلبي إلى دينك فإني عبدك فلا تجعل الشياطين تجتاحني ولا تتركني فهرب قلبي مني عنك إلا إليك، ولا تصرفه إلا إلى سواك، ولا تجعل فيه غيرك.
وأنا إن جعلت فيه غيرك فإنما اجعله من أجل أن يكون وسيلة إليك وإلى مزيد حبك ليحفزه ويحضه إليك. ومع هذا فأنت أقرب منه إلى ذلك القلب ومطلع عليه وتعرف قصدي من ذلك هو مساعدة قلبي نحو الإقبال إليك فساعدني على ذلك بعونك وقوتك يا من تحب من ناداك وناجاك وتوجه إليك. وأنت تعلم أني نزعت منه كل حبيب سواك حتى لا ينازعني أحدًا سواك حبك فلم يبق فيه غيرك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد. لأني علمت أن في مقاطعتي سواك هو تمام وصلي بك فقاطعت الجميع من مال ومن ولد ومن دنيا بما فيها لأنال قربك يا إلهي ويا خالقي ويا أملي وحتى الروح وإن تهجر هذا الجسد فليس لها سواك من قصد ورجاء.
[268] مبتهل إلى ربه شاكرا له حسن صنيعه معه مرجعا فضل حبه له إليه إذ هو الذي قطعه عن علائق الدنيا ووصله بالله والآخرة ففي هذا القطع وصل وفيه النجاة فقطعه عن الفاني وصله بالباقي وعن المخلوق ووصله بالخالق فأي قطع أحسن من هذا وأي وصل أوصل من هذا. وبهذا القطع والوصل ذاع سري واشتهر أمري وكنت حريص على أن لا يعرفه بشر غير أن إرادتك شاءت أن يكون معلونا معروفا متداولا في حديث الناس يسمع به القاص والداني فهذا لا يهمني ما دمت أن بهذا الفراق عنهم وعن علاقتهم قاطعي ثم إليك جامعي، وما أبالي سري ذاع أم لم يذع المهم أن سرك باقي في كل جزء مني حتى ألاقيك وأنت جامعي لا قاطعي.
كل يفخر بنفسه أو بنسبه أو بحبيبه لكني لا أفخر بسوى ربي صانعي، فإن حبه ود يعني وهو دوما رافعي وذكره على الدوام معي مرددًا وذائعا وشائعا.
[269] يريد أنك إن رأيت رجلا صالحا كما في نظرك دينه وأقبل على آخرته بكل جوارحه صحيح الفهم تقي العقيدة، ثابت الفؤاد، قوي في الدين قاطع اليقين لا يقبل أن يلين وقد قطع كل بالدنيا وشغل نفسه بالآخرة مع عقل سيال، وأحببت أن تقويه ومن هذا الخير تقويه وتكون له ناصرا ومعينا وسندا وأزيرا، فينصحك بأن تتوجه إليه مدة أو فترة من الزمان، ثم حله إليك دون أن يشعر، وإياك ثم إياك أن تضعه في اختبار لهواك تريد أن تفتش فيه عن أسراره أو تنزعه عن قصده ومراده أو أن تثبت لنفسك أنك قادر على ثنيه عن طريقه فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وضرب لكل مثلا بأن الإنسان لن يقدر أن يحول قشة عن موضعها بل كل لأخيك معاونا لا قاهرا، فانظر إلى نومك هل تستطيع أن ترفيه ما تريد أو أن تدفع عنك منام لست له مريد؟ فكذلك فكن معينا له لا عليه فإنك إن أردت فتنته فقد فتنت نفسك وأنقذته من الفتن.
ثم بعد أن تحيله إليك إن استمر في الطريق الذي كان يسلكه بخطى أوثق وأقوى وأثبت فاعلم أنه عرف الحق فاتبعه وسلك إلى ربه دون رجعة فاطمئن عليه، واحفظه من خصومه وأعدائه وهم النفس والشيطان والدنيا والهوى، وأهل الضلال والبغي الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله.
[270] هذا لا يصح ولا يستحسن، فإن المرء ليس يدري ما يحب المرء وما لا يحب وما يرتضيه الآن وما يرتضيه بعد قليل والنفس تتغير من آن إلى آن فهي الآن تحب أن تذكر الله تعالى بصفة

أو اسم أو دعاء أو ذكر ما أو أن تخمل قليلا، ولا يصح أن يلزم إنسانا ما بما تراه أنت وتجبره على ذكر أنت ترغب فيه أو ترى أنه مناسب له، فهذا نوع من الإطلاع على الغيب إذ لا يعلم حقيقة النفس إلا من أنفسها وفطرها وسواه وألهمها فجورها وتقواها سبحانه لا نصل إليه إلا بما شرع وبما أمر، وبالوقف عند ما نهى.

فالمعلم أو المربي له أن يرعى تلميذه بكل الطرق التي يرى أنها له نافعة مع ملاحظة أن لا يدخل في بعض خصوصياته حتى ينال من قلب تلميذه منزلة طيبة ولا يلزمه بما يراه أنه ينفعه بل ينصحه نصحا خفيفا مشاورا له في الأمر الذي يريد أن يسلك به في طريقه فإن وجد منه رغبة فيه سار به فيه بتؤدة فإن وجد بعد مدة بأن تلميذه لا يرغب فيه ووجد أن جهده فيه قليل رجع دون أن يشعره بالتقصير بل أوجد له البديل بحسن التدبير.

والذي أريد أن أقوله لا يلزم أحد أحدًا بما يرى أنه أنسب له وخصوصا أن يقول له مثلا قيل: يا رحمن أو يا جبار، أو يا حنان، أو يا ودود أو ما شابه ذلك فيلزمه بأن يذكر الله تعالى باسم معين لأنه ليس هناك دليل على ذلك فلا نلزم إنسان إلا بما ألزم الله تعالى، وقد أمر الله تعالى بالدعاء، ولم يحدد لنا صيغة بل كل يدعو بما شاء أو أراد.

[271] هذا قول غير مقبول أيضًا فلا يصح القول به ولا اعتقاده ولا يلح منهجا للتعليم أو الاختيار إذ أطلب من إنسان أن يعرف ما أتصور في نفسي من صور أو أعرف ما تصور هو في نفسه من صور استحضرها، فكل هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فهو وحده الذي يطلع على ما في القلوب ويخبر بما في الغيوب ويعلم ما في الصدور، ومن ادعى علم شيء من ذلك فقوله مردود كائنا من كان.

ولكن للمعلم أن يضع تلميذه في مناطق الاختيار التي هي من قدرة البشر وطبائعهم التي جبلهم الله تعالى عليهم، فله مثلا أن يطلب منه معرفة شيء بالاستنباط أو الاستنتاج مما هو من قبيل الفراسة أو سرعة البديهة أو قوة الملاحظة أو سرعة الاستنتاج ليدرب ذهنه على سرعة استخراج الباطن من الظاهر.

ويستطيع كل تلميذ نبيه أن يحدد ذلك بسرعة من نظرات العينيين ومن سرعة دق القلب أو تغير اللون أو قسمات الوجه أو برودة الجسم هذا مما يدور بالإنسان مثلا ولكل شيء دلالته عند الأطباء أو الحكماء. وكذلك يعرف ذلك في الجو والأرض والبحر استنتاجا من تغيرات تطرأ عليها ويعرف ذلك أهل الأرصاد والجيولوجيا وعلماء البحار، والنباتات، فكل هذه العلوم تعرف علما بالغيب ولكنها استنتاجات لمقدمات تحدث في الطبيعة فتغيرها فتعرف بها أنه سوف يكون بعدها كذا أو أن الذي أحدثها كذا وليس هذا من علم الغيب كما قلت هي علوم مكتسبة من تجارب سابقة سيحضرها الناظر بسرعة عندما ينظر إليها فمن عرفها أسرع كان أفطن وأتقن لمهنته أو وظيفته. فهذا مباح وهو علم وهو أسلوب جيد وطريقة تسهل على المعلم هل استوعب التلميذ جيدًا أم يريد زيادة.

[272] هل هذا قول يقبل من مثل هذا الرجل الذي هو من هو في العلم والفهم والاستنباط والاستنتاج وكلنا يعرف ما هو الزار، وما هو المندل وكلاهما مما يقول به أهل الدجل والشعوذة والجهل وما يحدث فيهما من ارتكاب الحرمات وزيوع الشهوات والاختلاط، ومخالفة الشرع بادعاء علم الغيب وما إلى ذلك من الكذب والدجل والافتراء والاستخفاف بعقول البسطاء والسذج

والإيهمات والإيحاءات التي يوحون بها إلى الواقعين في براثن القائمين بمثل هذه الأمور المخالفة للشرع وما يغوص فيه هؤلاء القائمين بهذا الأمر من الانحلال الخلقي فضلا عن الشرعي.

[273] أرى أن ما بني على باطل فلا يمكن أن ينتج عنه إلا باطلا ولن يقتني من القتاد إلا الشوك فكيف يدربه بهذه الطريقة التي سبق الكلام عنها ثم يطلب منه أن يكون سلك طريقا إلى الله تعالى مستقيما وكيف يوصه بأن يتحفظ من الغفلة وهو غارق فيها قولا وفعلا ويقظة ومناما سكون وحركة سبحانك هذا قول غريب متناقض.

[274] كيف يمحو موضع أستاذه من نفسه وقد شكل كل حرف فيه فمهما وصل الإنسان من النقاء في الفهم والإدراك الصحيح والسنة المطهرة ومن حفظ للقرآن وتلاوته لا يمكنه أن يمحو أستاذه من قلبه وذاكرته وأن وجوده في عقله ما هو إلا محفز دائم له يدفعه كلما خمل ويحضه كلما ترافي، وموضعه في قلبه ليس موضع عبادة إنما هو موضع تقدير لمن كان سببا في معرفة الحق الذي وصل إليه والنور الذي صار فيه وهذا لا يؤثر فيه إلا تأثير إيجابيًا دائمًا.

[275] نعم للنفس حالات وتصورات وتحولات وإلهامات وشطحات وفتوحات وفيوضات وظلمة ونورا وهي متنقلة دائما من حال إلى حال وهي في كل حال تكون كما يقول بصفة أقرب ما تكون إلى الصورة التي تكلم عنها ولكن لا يعني هذا أنها أخذت ذلك من تلك الصورة ولكن هي حالات سقوط تأخذ صورة الأدنى وحالات تجلي أو صفاء أو شفافية أو ارتقاء تأخذ صور علوية أو خيرة وذلك لأن الإنسان خلق بصورة بين الملك والشيطان فجمع من صفات هذا وذاك وهو يعدل بينهما بما أرسل الله عليه من الرسل وما أنزل عليهم من الكتب لتنتظم حياتهم فلا يصيروا شياطين ولا يطلب منهم أن يكونوا ملائكة فالكتب السماوية والرسل والأنبياء هم الذين يضعون الميزان والمعايير التي يجب أن يكون عليها البشر فإن هم أطاعوا الأنبياء والرسل وأذعنوا لما جاء وهم به من الكتب استقامة حياتهم وكانوا بشرًا فقط كما أرادهم الله تعالى، فإن الله تعالى حين خلقهم بشرا من طين لم يرد منهم أن يكونوا ملائكة وإلا لخلقهم ملائكة، ولم يرد منهم أن يكون جنا أو شياطين وإلا لخلقهم هكذا، ولكن اقتضت حكمته أن يخلقهم بشرا بين المنزلتين وركب فيهم ما يؤهلهم لأن يكونوا بشرا وأرسل إليهم الرسل من بينهم ومن جنسهم لتقوم عليهم الحجة فلا يلزمهم إلا بما يقدرون على أدائه أو تنفيذه من الأوامر والنواهي. فليلاحظ ذلك جيدًا القارئ ولا يغتر بأقوال القائلين بالناري والترابي والمائي والهوائي فالبشر بشر، والجن جن، والملائكة ملائكة ولكل ناموسه الذي رسمه الله تعالى له لا يخرج عنه ولا يكلف سواه.

[276] إذا كان المراد هنا هو ضرب الله تعالى الأمثال للناس ببعض صفات الحيوانات كقوله سبحانه عن الكافر ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وقوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإنما ضرب الله تعالى المثال للناس لأنه كما يقولوا بالمثال يتضح المثال فهذه الصور الحيوانية الدنيا يوصف بها البشر حينما يتركون ما يجب عليهم من التكاليف مع علمهم بأنهم مكلفون بها فكيف يكون ذا عقل ولا يفعل ما كلف به إلا أن يكون قد اكتسب صفة هذه الحيوانات معنا لا حسا كالبلادة والبلة والسماحة والجهل والصلافة والكبر والجور والبطش والله سبحانه وتعالى يحذر الناس من مثل هذه الصفات التي لا تليق بهم حتى يكون الناس في الصفات التي تضادها ليسير موكب الحياة في الاتجاه الذي يجب أن يكون عليه ويعيشوا حياة البشر لا حياة الغاب ولا حياة الحيوان.

[277] كلمة يتطلبها السياق واحسبها سقطت سهوا من الناسخ.

[278] يريد أن الله تعالى خلق الإنسان من عدم وجعله باقيا أي مرة في عالم الذر ومرة في عالم الدنيا ومرة في عالم الآخرة الأبدية فهو باق على المدى منذ خلق وإلى المنتهي، وأما ما يمر به فإنها مراحل أو أطوار يأخذ في كل طور منها شكلا يناسب ذلك الطور ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ فهو في عالم الذر له شكل يناسب تلك المرحلة أو الفترة أو الطور وفي عالم الدنيا ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ له شكل أو طور أو مرحلة تناسب تلك الفترة و﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وفي هذه المرحلة أو الطور أو الفترة له شكل معين يناسب تلك الفترة أو المرحلة و﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ وهي مرحلة له فيها شكل أو طور أو مرحلة معينة تناسب تلك الفترة التي ليس بعدها تحول فهم ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ فأهل الجنة لهم شكل خلقوا عليه يناسب ما يكونون فيه من النعيم المقيم، وأهل النار أو أهل السعير يكونون على شكل يناسب تلك النار ويتلاءم مع ما ينالهم فيها من هذا العذاب الأليم السرمدى الأبدي.

[279] ثم يعدد نعم الله تعالى على بني آدم والتي من أهمها أنه ميزه على سائر المخلوقات الدنيوية بالعقل الذي جعله له زينة فيه يخاطب ويكلف ويتعامل مع الأشياء من موقع السيادة على المخلوقات الكونية وسخرها جميعا له بأمر من سبحانه وتعالى لها، وأطاعت أمر ربها ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

ثم ميزه سبحانه بالحواس الخمس التي تظهر له ما خفي جسمه وظهرت رائحته كالروائح الطيبة والكريهة فيحدد بها نوع ما هو خفي عنه دون أن يكلف نفسه عناء البحث عنه أو النظر إليه. وكذا ما خفى رائحته وظهر جسمه ولم يدر ما هو حاله فباللمس يدري ما إذا كان حارا أو باردا أو ناعما أم خشنا، لينا أم صلبا.

وكذا ما ظهر جسمه وخفي لونه كالماء فيعرف بالنظر ما إذا كان سائلا أم متجمدًا عكرا أم نقيا وما شابه ذلك مما يدرك بالنظر ما إذا كان الظهر قد حان أم العصر غابت الشمس أم لا والمطعومات عن طريق التذوق ما إذا كانت حلوه أم مرة، حامضة أم مالحة. والصوتيات فهو يميز عن طريق السمع بين الديك والحصان والهدهد والغراب دون أن يراه.

فهذه من عظيم نعم الله التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان مما أوجب على الإنسان أن يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئا ويسبحه ويحمده على ما أسداه إليه من النعم التي جعلت ما هو خفي باديا جليا.

[280] يريد أنه جعل هذا العالم الذي نعيش فيها بالنسبة للآخرة مثال يتعلم منه المرء نماذج للآخرة فيضرب له مثل الآخرة بشيء مما في الدنيا فيقرب إلى ذهن ابن آدم ماهية الآخرة وما فيها من نعيم ونعم ومراقي من فضة وذهب وانهار من لبن وخمر، وأشجار من عنب وزيتون وتين وموز وكل ما هو زين.

[281] يريد أن الله تعالى قبل القبل، وقبل الظهور، وقبل الانحصار وقبل البسط، وقبل الوجود فلزم عقلا أن لا يقاس ولا يضرب مثل بمثل ذلك لأنه مبدع أو موجد كل هذا من عدم، فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، وهو الظاهر وهو الباطن وهو البديع الخالق.

[282] يريد أن يقول لك بما أن الله تعالى خالق الكل ومالك الكل ملحوظا كان أو غير ملحوظ داخلا كان أو خارجا فعليك أن تكون قوى اليقين عندما تطلب منه ما تريد فإنه لا يعجزه شيء إذ كيف يعجزه ما يملكه وليس بملكه فقط بل هو أوجده من عدم وكونه وأمره وسخره وأمره فأطاعه ونهاه فانتهى فادعوه واضعا نصب عينيك عظيم قدرة الإله على فعل ما تظنه وما لا تظنه تدريه أو لا

تدريه تعرفه أو تجهله فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يكافؤه أحد فإنك لا تطلب من معدوم، ولا من عاجز ومن محدود القدرة ولا من فقير، ولا من ضعيف، ولا من محتاج، ولا من مسؤول.
فعندما تضطر إليه ارفع يديك وقل له يا رب تجده تجاهك ملبيا لعبده إذا دعاه فهو الكريم الحليم، الرؤوف الرحيم، الرحمن الودود، المعطي الباسط الحنان المنان، الجواد الأرفق بالعبد من العبد على نفسه، المعطي بغير سؤال فكيف إذا سألته سبحانه وتعالى جل ربنا وعلا.
[283] سبق أن ذكر هذا الباب قبل قليل، وقال الناسخ أنه سبق ذكره في أبواب قبل هذا وأنه نقل من موضعه إلى هنا أو إلى هناك نظر لأن أحد النساخ نقل عن نسخة فيها سهو فاستمر السهو وقد أشار ناسخ النسخة التي اعتمدت عليها إلى ذلك.
[284] أي انظر دائما إلى ما وراء هذه العوالم انظر إلى مبدع العوالم ومعولمها ومكونها وموجدها وخالقها والقادر على إزاحتها من هذا الوجود وفانيها ومزيلها وهو يوما ما فاعل هذا. فإن لم تنظر بهذه العين فأنت لم تنظر ولست مستخدما لنعمة العقل ولم تدرب النفس على فهم ما أنت فيه فإذا لم تفعل ذلك فافعل وإن لم تفعله فقد فشلت رحلتك في هذا العالم ولن تستطيع الوصول إلى العالم الآخر في أمان. فمقام العبودية هو النظر إلى من أوجد هذه العوالم وتلقي الأمر منه وطاعته بكل الجهد وقدر الطاقة.
[285] أي كل ما يدركه الإنسان، وكل ما يفهمه، وكل ما هو داخل في كسب الفهم والإحاطة بمكنونه فهو علم أو معلوم بنسبة له وقد أعمل فيه العقل فعرف حقيقته، فهم في الغالب مغزاه، وكل ما لم يدركه فهو فوقه وما هو فوقه بعد إعماله عملا كاملا فهو الكمال الذي أحاط الله به ذاته اختص به وبان به دلالة حدودية العقل وعظمة الخالق من ذلك ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، فهو يحيط ولا يحاط به سبحان، ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.
[286] وإن كنت لا أقر مثل هذه العبارات ولا أخوض في مثل هذا الكلام لكني أتكلم بإيجاز شديد لتوضيح بعض المعاني إيضاحًا سريعا حتى لا يفهم القول فهما كفريا أو شركيا على غير قصد المؤلف. فهو يقول إن الجسم لا بد أن يتخذ له من يسخره فإذا اتخذ النفس مسخرة له فكل تصرف تتصرفه النفس يتبعه الجسم طاعة لها وتنفيذا لأوامرها وليس معنى هذه الطاعة وتنفيذ الأوامر أنه قد صار جزءًا منها أوحل فيها أوحلت فيه بل هو اتباع خضوع وإذعان وطاعة والتزام تام لا يستطيع الحيد عنه كما يجذب المغناطيس برادة الحديد إليه لا تملك تجاهه إلا ذلك، فليس معنى ذلك أن البرادة صارت جزءًا من المغناطيس، وكذلك الحال بالنسبة للنفس فهي خاضعة للعقل متعبدة له لازمة لأوامره في غير اتحاد أو اتصاف أو تشكل بشكل من أشكاله. وكذلك الحال بين العقل والحق. فالمراد أن الإنسان إذا عرف ربه حق معرفته فإنه يرى وينتهي بما ينهاه فلا يسمعه ويتحرك بما يأمره وينتهي بما ينهاه فلا يتحول ولا يسكن إلا به وليس في ذلك حلول ولا شبه ذلك، فما هي إلا أمر وطاعة من رب لعبد.
[287] موضع النقط عنون غير اهر بالمخطوط لأنه كتب بالمداد الأحمر قد قارب على الانمحاء.
[288] وقوله يريد به أن العباد سواء كانوا من المسلمين أو من النصارى وإنما هو في حالات كشف وتجلي للمعبود يهيمون في عالم العبادة بكل كيانهم وجوارحهم غير أن أهل الإسلام أهل صفاء ونقاء وترقي فهم يعبدون الواحد الأحد دون أن يشركوا معه غيره بخلاف الرهبان الذين يجعلون مع حبه حب السيدة العذراء مريم وابنها عيسى عليه السلام، وربما قصد بالرهبان هنا

الذين كانوا على النصرانية الصحيحة التي جاء بها عيسي بن مريم عليه السلام، وربما قصد بهم هؤلاء الذين يخرون يبكون عندما يسمعون آيات الله، وربما قصد بهم الذين قال الله فيهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ* عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ* تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾.
والذي أظنه يريدهم هم الذين كانوا على النصرانية الحقة التي كانت قبل ظهور نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بعده نسخ دين النصرانية بالإسلام، والله أعلم بما أرد أو ما ذهب إليه.

[289] الخلق لا يكون في زمن إذ أن الله تعالى أبدع العالم وخلقه قبل أن يخلق الزمن فالزمن جاء بعد خلق الخلق وتكون الكون وإبداع المبدعات فجاء بعد خلق الكون الزمن نتيجة للخلق، فكذلك العقل لا يدرك إلا ما هو مخلوق أو مشاهد أو محسوس أو ملموس وهكذا فكل ما هو مخلوق فهو كالصنم أي كالتمثال، ويصير صنم بمعنى المعبود أن عظمة الإنسان ومال إليه أيا كان هذا الميل.

[290] ما بين المعقوفين زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

[291] هذا قول حكيم موحد فاهم مسلم مؤمن لا يرض سوى الله إلها ولا غير إياه يعبد ويعلم أن أي ميل أو زيغ عن هذا الطريق أو هذا الفهم إنما هو زيغ عن الحق والإسلام وبعد عن التوحيد الذي يتركه يصيب الإنسان يوم القيامة العذاب الشديد، ومن اتجه إلى سواه في أي طلب مهما كان هذا الشيء فإنه صنم عبده بطلبه منه ما يجب أن يطلب من الله تعالى. هذه المواهب الظاهرة التي نعرفها وغيرها التي هي بواطن وعيوب إنما هي من إبداعك وإنما هي نعم منك علينا ومن لم يفهم فهي فتن له وأحلام يظن أنه قد أدركها واكسبها والواقع أنه يعيش في وهم الخداع والفتن والحقيقة أنك أنت الموهبة للظاهر والباطن لمن علم الحق والحقيقة. والعلم بالمعلوم جهل شاغل أي أنك إن يتحدث في الأمور المفهوم والمعروفة والمدركة والمشاهدة والتي يعرفها الصغير والكبير والجاهل والعالم فإنما أنت مضيع للوقت ومبذور للجهد وعامي عن الجد، فعليك أن تشغل نفسك بما لا تعلم حتى تعلم فإذا علمت علمت إما طاعة تطيعها وإما نهي فتنتهي عنه فهذا هو العلم النافع المفيد الذي لا يشغل فلا فائدة. ولله سجد كل من في السماوات والأرض طوعا وكرها لمعرفتهم بالحق وبما يجب عليهم.

[292] يريد أن النظر إذا تبعه البصر الذي هو البصيرة جيدا فلا بد أن يصل إلى حقيقة هذا المنظور التي هي عين الشريعة، وإذا دقق النظر والفكر فيه مرات أخرى ترقي في مراتب الفهم حتى لكأنه غائب عن عالم الوجود أو عالم الحس أو الإدراك وكأنه النائم يرفع عنه القلم حتى ينتبه، مع ملاحظة أنه إذا كان المؤلف أراد أن من فعل فعلا يدعي فيه أنه إنما فعله عن أمر رباني فليس لنا إلا ظواهر الأعمال فإن كان موافقا للشرع قبلناه منه ولا ضرر في ذلك ولا عيب أما إذا أتي أمر يخالف الشرع رفضناه مهما ادعى أما إذا فعل فعلا يعاقب عليه الشرع عاقبناه بما يساويه من الشرع سواء كان قتلا أو جلدًا أو تعزيزا أو حبسا لأننا ليس لنا إلا ظواهر الأمور والتي أمرنا بها. وأما من ادعى بأنه فعل ما فعله الخضر عليه السلام أو رحمه الله تعالى فقوله مرفوض والخضر حالة خاصة أخبرنا الله تعالى بها ويسميها العلماء بأحداث الأعيان أي أنها حالات لا تنجز أو لا تنسحب إلى غيرهم ولا يقاس عليها فانتبه لمثل ذلك هدانا الله وإياك.

[293] المراد إذا كان الغاية من أي شيء موجودة فلا حاجة إلى هذا الشيء وليس معنى هذا أن هذه الوسيلة الموصلة إليه لا قيمة لها ولكن أنا أو هو ليس في حالة لها لكون الغاية مدركة مثلا إذا كان الغاية من القطار هو الوصول إلى بلد ما وأنا في هذه البلد فما فائدة القطار في هذه الحالة لا شيء طبعا ولكن إذا كنت في مكان بعيد وأردت بلوغ هذه البلد صارت الحاجة إلى القطار ملحة جدا

وضرورية ولقامة بالنسبة إلى أوله، فالقطار لا تظهر فائدة إلا عند الحاجة إليه وعندما لا تحتاجه ليس معنى هذا أنه لا فائدة له بل نحن الذين في غنى عنه، كما ضرب هو المثل بالماء والطهر.
فكذلك الشرع غايته الوصول إلى الآخرة بأمان وسلامة وبدون الشرع لن نصل فحاجتنا إلى الشرع ملحة جدًا إذ هي الوسيلة الوحيدة إلى تلك الغاية، فإذا انقضت الدنيا فلا حاجة لنا إلى الشرع وليس معنى هذا أن الشرع لا قيمة له إذ لا حاجة لنا فيه في هذا الوقت ولولاه لما بلغنا ما نحن فيه.
أما إذا كان قصد المؤلف هو أن إنسانا ما إذا بلغ منزلة ما أو درجة ما أو حقيقة ما فهو في غنى عن الشرع وهو من أهل الحقيقة الذين رفع عنهم القلم والكتاب والحجاب، فهذا قول مرفوض شرعا وعقلا ونقلا، ولا نقبله منه ولا من سواه ولا ممن ادعاه.
إذ لو كان الأمر كذلك لكان أولى به النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان هو أعبد الناس وأرقاهم وأحرصهم على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والتصدق والبكاء والخوف والرجاء وكذا سائر الأنبياء فالشرع لا يسقط إلا عمن سقط عقله أو فقد حياته.
[294] هو يريد هنا أن لا يسقط عن الإنسان التكليف مهما أوتى من رقي في العبادة أو الطاعة أو الفهم أو الإدراك مجال الأحوال، فيقول أنه ربما صور العلم الوعي أو الفهم للعقل صورة في حالة طيبة ورتبة عالية من البهاء والحسن والرقي في الزهد والتعبد وأفهمه أن هذه هي هو وأنه نال رتبة عالية لا يضره بعدها عمل خيرا أم لا فقد وصل إلى المنزلة التي يرجو من أجلها العبادة فإذ وقد حصلت فما قيمة التعبد، إذ فقد سقط عندك القلم أو التكليف فلا يغتر بها أحد.
فإنه لو تأمل أكثر وأكثر وجدًا أنه في هذه الحالة صار أكثر تكليفا من ذي قبل إذ قبل الفهم يراد منك أن تفهم لتعلم لتعمل، وإذ قد فهمت وعلمت فقد صار لزاما عليك العمل بعد أن قامت عليك الحجة وبان لك الحق من الباطل، والحلال من الحرام على جلية تامة. والتكليف لا يكون إلا من الشرع أو الشارع سبحانه أو ممن نزل عليه الشرع، فافهم ذلك جيدًا.
[295] هذا قول غير مقبول صراحة حيث نصت الشرائع أن الشرع يسقط عن النائم ولا يكلف شيئا وهو نائم ويسقط عنه كل ما قاله أو فعله في ساعة نومه أو فقده عقله كالموت تماما. وهذا قول صوفي غارق في التشدد حيث يزعم أن أحدهم تنام عيناه ولا ينام قبله لهذا هو لم يسقط عنه التكليف وهو في حالة ذكر ووعي دون جسمه، فهل هذا أمر يقبل، ولا أقول بعقل فإن العقل يرفضه قطعا، فهو يسقط التكليف عن الميت فقد والموت أخو النوم.
[296] يريد أنه من أمات نفسه عن المعصية فقد أحياها بالطاعة، ومن أمات نفسه عن الدنيا فقد أحياها بالآخرة، وقول بعضهم أحرص على الموت توهب لك الحياة، وهكذا في كل أمر من خاف من شيء على غير الحقيقة كان عقابه بنفس ما خاف منه.
فإن كان المراد هو هذا فهو قول مقبول، وإن كان المراد غيره أوقف عند حده ورد عليه بما رد به عليه المؤلف من قوله: أن للعقل حد محدود لا يتعداه وناموس يعيش فيه وإدراك لن يتمادى بعده قدر أنملة فإن الغيب له، فإن تجاوز هذا فإما أنه قد كفر بالرحمن، وإما أنه فقد هذا العقل وصار في حالة خبل، وإما أنه قد مات وفارق العقلاء والمتيقظين والمنتهين.
فاعمل عقلك في إطار ما شرع لك حتى تنال ما يرجى لك بما رسم لك، ولا تتجاوز فتقع في الحمى ومن وقع في الحمى هلك.

[297] ما دام الإنسان لا يملك أو يمكنه التحكم في كثير من الأمور التي هي حوله ولا حتى التي هي في وسعه أو في ملكه والتي هي نفسه بين جبينه فإنه لا يمكنه دفع الموت عنها فمعنى هذا أنه لا يملك من أمر نفسه شيئا، فكيف بما هو حوله، ثم كيف الحال بمن هو في مثل حاله. فعليه أن يسلم القياد إلى من بيده الأمر من قبل ومن بعد الملك الظاهر الباطن الذي ليس كمثله شيء والذي لا يعجزه شيء سبحانه.

[298] هناك نفس تميت حظها من الدنيا اكتفاء بما ترجوه من الله تعالى في الآخرة فأملها في ذلك كبير وجهاده إليه حثيث فهي لا تلفت إلى حظ من حظوظ الدنيا فهي بهذا حية ما دامت الحياة، وما بعد الحياة.

ومن أراد أن يكون ممن يميتون حظوظهم من الدنيا فعليه بالجد والهمة والهروب مما حوله من الزينة والفتن والمشاغل والملاهي وهو أمر صعب نواله صعب السيطرة عليه إلا لمن وفقه الله تعالى من أصحاب الهمم العالية، ومن لم يمت هذا الحظ في نفسه وزاد أهلكه بما لا شك فيه. ومن أمات بعضا من حظها وأبقى البعض فبقدر ما أمات أحيا في الآخرة وبقدر ما أحي أمات في الآخرة ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[299] يضرب مثل بمن أراد أن يهرب من حظوظه فهو يخاف منها وهو يريد أن يتعامل معها على حذر، فشبهه بمن يريد أن يستخرج من الحيات والثعابين ما فيها من درياقا لعلاج الأمراض والأوجاع فإنه مضطر لذلك وهو يعرض نفسه للسع تلك الحياة وهو يعلم ذلك مسبقا فإن شاء تقدم وإن شاء تأخر.

[300] هناك أناس أكرمهم الله تعالى فصاروا ربانيين لا يبالون ما وقع لهم ولا بهم فهم دائما ناظرين إلى يد الله تعالى في كلا الحالين، فلا هم يفرحون ولا هم يحزنون لأنهم يعلمون أنهم في كلا الحالين مكلفون إما بالصبر وإما بالشكر لهذا تراهم يرون الأمر متساويا لا فضيلة لهذا ولا مذمة في هذا.

وهؤلاء الناس لا فيتهم في حياتي كثيرا وإن كانوا قلة إلا أن عاشرتهم وصاحبتهم وسعدت بصحبتهم ونالني بعضا من صفاتهم.

وهناك من لا يفهمهم أو لا يفهم مرادهم فيظنهم من البلداء أو البلهاء أو الذين لا يحسنون وزن الأمور ويقولون عنه أنه متبلد الإحساس، وهذا عكس ما أراه أنا، فأنا أراه إنسان أحسن وزن الأمور وعرف موضعها وعرف خصائصها وسلم الأمر فيها لمدبرها ورجي خيرها الكامل وتجنب شرها أو كثيرا من شرها خيرا كانت أو غيره.

وهذا مراد المؤلف من قوله: من حيث هو بل من حيثنا نحن لنعرفه بها، فنحن الذين ننظر إليه متعجبين أما هو فالأمر عنده طبيعي وسهل ولا يستحق منا نحن هذا الاهتمام به وهو يتعجب منا كما نحن متعجبين منه.

[301] رجال لا يستطيع الواصف أن يصفهم لما نالوا من درجات الكمال في العبادة والتبتل والدعاء والرجاء والحب الإلهي النقي الصافي الذي لا يخالطه شيء هم الأحرار من عبودية المعصية ومن استذلال الشيطان، ومن معرة الخضوع من أجل الرزق، ومن فتنة الجري وراء زينة الدنيا، رضوا بما عند الله تعالى من الذي أخبرهم عنه في آخرته فسعوا إليه ورفضوا سواه رغبة في ما عنده وحبا له وأملا في النجاة.

منذ أن عرفوا الحق من الباطل فما قدموا على الحق شيئا بل قبضوا عليه وعضوا عليه بالنواجذ وساروا في طريقه المرسوم وهذا عند أهل هذه الصفات سنة متبعة لا يشذ عنها أحد ممن عرف الحق ورضي به. واكتفوا بأخبار الجنة متخذين هذه الأعمال جنة يتقون بها المعاصي وغضب الرب. وهم قوم يتمنون الموت عاجلا لا آجلا لتقع أعينهم على ما وعدهم الله ورسوله من النظر إلى وجه الكريم والتمتع برؤية النبي العظيم، والفوز بالجنات والروضات.

[302] هكذا جاءت هذه الفقرة بغير عنوان على ما هي عادة المؤلف فربما سقط سهوا من الناسخ والله أعلم وسقط معه بداية الكلام وهو كلام في التوحيد وتنزيه الله تعالى.

[303] كثيرة هذه المتناقضات في هذا الكون العجيب فتجد المحروم والموثر والمحتاج والمستغني والغني والفقير والمريض والسليم أو الصحيح، ثم تجد من كان يتمنى أن لو كان يملك كذا لكان يفعل كذا فيملك فلا يستطيع أن يفعل ما كان يريد أن يفعل لحائل يعرض له بعد الملك فسبحان المدبر للكون والذي يعطي ويمنح سبحانه يفعل كل شيء بقدر ولحكمة. ولقد رأيت في حياتي من كان معدما ويتمنى أن يلوك رغيف الخبز، فصار يملك أموالا لا تكاد تحصى وسلطانا عظيما وخدما وحشما وسمعته يوما يقول: نفسي أن آكل قرص طعمية، والطب يمنعه والمرض يحول بينه وبين ذلك، والطعمية هذه التي يتكلم عنها ويتمناها هي أرخص طعام في مصر الذي هو منها والتي كانت ليس له غذاء سواها قبل أن يغنيه الله، ثم لما أن أغناه صارت لا تحضر إلى مائدته لأنها لا تليق بأن توضع على مثل هذه الموائد، فإذا به تدور به الأيام دورتها ثانيا ويتمناها فيحرمها ومعه ليس ثمنها بل ثمن ليس محل بل محلات كثيرة مما يباع فيها هذا الطعام.

ذكرت هذا بمناسبة هذا البيت، وتعجب الشاعر من أن الإنسان يتمنى الشيء فلما يوجده يحرمه فسبحانه مدبر الأكوان بحكمته.

[304] يريد أن الله سبحانه وتعالى جليل وعزيز ومقدس ومجيد وواحد، وهو ليس في حاجة لا جلال ولا تعزيز ولا تقديس ولا تمجيد ولا توحيد من مخلوق فهو هكذا بذلك بذاته سبحانه ولكن من فعل ذلك بحق الله تعالى فإنما وقع نفسه مكانا عليا وتقرب من ربه قربا جليا.

[305] هذا هو ما يعتقده كل مسلم من أن الله تعالى ليس في جهة معينة حيث لو كان في جهة لخلا من الجهة الأخرى ولحده الاتجاه ولأمكن أن يقال أنه هنا وليس هناك وأنه هذا وليس ذاك، وسبحانه وتعالى جل عن المكان والجهة وتنزه عن الند وشيبة والمثال سبحانه كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سبحانه.

[306] ولابن عربي في النفس أقوال منها:

النفس ما كان معاوما من أوصاف العبد.

ويقول: النفس بحر لا ساحل له لا يتناهى النظر فيها دنيا وآخرة، وهي الدليل الأقرب، فكلما إزداد نظر إزداد علما بها وكلما إزداد علما بربه، ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ويقول: أشرقت أرض الأجسام بالنفوس كما أشرقت الأرض بأنوار الشموس.

ويقول: اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه: أن الجهل بالله إنما كان من جهلك بك، فإن الله ما جعل دليلا على العلم به إلا علمك به فجعل الآية في نفسك وقال النبي صلى الله عليه وسلم المترجم عنه من عرف نفسه عرف ربه.

ويقول في التدبيرات: النفس بنت الروح ويضرب مثلا لعلاقة الروح بالنفس فيقول: مثل أن تنظر إلى الشمس والقمر فتجعل الشمس للروح والقمر للنفس، وذاك أن النفس ذات كمال ونقص على

حسب ما يراد في داخل الكتاب، فكمالها بالعقل والعلم ونقصها بالجهل والشهوات، وكما أن نقص القمر قد يكون سببا في الكسوف للأرض وهو الأسفل من العالم كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب الشهوات، ومحلها أسفل سافلين، وكما أشرقت الأرض بنور الشمس كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح.

ويقول عن علاقة العقل بالنفس:

اعلم أن للإنسان حالتين حالة عقلية نفسية مجردة عن المادة، وحالة عقلية نفسية مدبرة للمادة، فإذا كان في حال تجريده عن نفسه -وإن كان متلبسا بها حسا- فهو على حالته في أحسن تقويم، وإذا كان في حال لباسه للمادة في نفسه كما هو في حسه فهو على حالته في خسر لا ربح في تجارته فيه، وهو قوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

ثم يقول عن النفس: من عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه فإنه على صورته خلقه بل هو عين هويته وحقيقته ولهذا ما عثر أحد من العلماء على معرفة النفس وحقيقتها إلا الإلهيون من الرسل، والصوفية، وأما أصحاب النظر، وأرباب الفكر من القدماء والمتكلمين في كلامهم في النفس وماهيتها فما منهم من عثر على حقيقتها.

[307] يريد إن كنت أشير إليك بالتلميح في القول أو بضرب المثال فليس معنى ذلك إشارة حسية وإنما هو لتقريب المعنى ليفهم الناس مقصودي من تعظيمك وتبجيلك في نفوسهم وكذلك عباراتي التي استخدمها ليس مقصودا بها ألفاظها وإنما معانيها وما مرمي إليه من التعظيم وكل مقام أو مقال أو مشهد إنما هو من قبيل ذلك فليس مراد به إلا التبجيل والتنزيه والتوحيد لك سبحانك، وتعاليت عن كل ند ومثال.

[308] يريد أن ليست كل الأسماء على سبيل الحقيقة ولكنها على سبيل المجاز ليعبر بها عن تقريب الفهم إلى عقل الإنسان ليستوعب المراد أو المقصود بصيغة أكثر وضوحا وأقرب إلى المعنى كما هو الحال في تعبيره سبحانه عن نفسه باليد والعين وغير ذلك ومعلوم أنه سبحانه ليس كمثله شيء وليست اليد في تعبير الإنسان قاصرة على اليد البشرية إذ اليد لها معاني كثيرة منها اليد التي هي للإنسان وكذلك العين له ولغيره أيضًا وفي كل مخلوق أو شيء آخر تختلف منها لغيره ولكن ذكرت لتعبير أو تقريب المعنى أو الرعاية أو المراقبة أو الرؤية وما شابه ذلك.

وكذلك التعبير بالمعية (التي هي أو هو معكم)، والأين التي هي (أينما كنتم) و(فثم وجه الله) وهكذا من الألفاظ المعبرة تعبيرا يفهمه البشر على المعنى الحقيقي أو الاستعارتي.

فمن نقي الله قلبه فهم بصر وعرف المراد التقاء سريرته وصفاء ذهنه وعدم اقترافه المعاصي وتنزيهه سبحانه عما سواه.

[309] يقول أن ذات الله تعالى لا تدرك ولا تعلم للمخلوق ولا تمثل بمثل وكذلك لا تعلم صفاته على الوجه الحقيقي لأنه ليس له مثل أو قريب مثل أو شبيه أو قريب شبيه وهكذا. والبشر لا يعرف ما لا يعرف إلا أن يضرب له المثل بما يعرف كما قالوا: بالمثل يتضح المقال.

ونحن لا نعرف من صفاته إلا ما نعرف في حياتنا ومن عارض مثل هذه الصفات إنما يعارض أن تكون مماثلة لها ومعلوم أنها ليست مماثلة لها ولكن لنفهم المقصود من الرحمة أو القوة أو الكرم أو الانتقام وهكذا لا هو الكرم ولا هي الرحمة ولا هو الانتقام إنما معاني تقرب من الأذهان المقاصد.

ثم يقول لا شك أن لنا قدرة وعلما وسمعا وبصرا وصفاتا كلها مخلوقة فنظن بمشاركة الأسمية أننا فهمنا ومع هذا نفهم كمسلمين أنها ليست إلا أسماء ولكن ليست لما هو في حقيقته التي عندنا في

الدنيا نحن المخلوقين فبصره غيره البصر، وسمعه غير السمع وعلمه غير العلم فبصرنا يحتاج إلى عين وهذا لا يلزمه، وسمعنا يحتاج إلى أذن وهذا لا يلزمه، وعلمنا يحتاج إلى عقل وهذا لا يلزمه.
كما أن أدواتنا الحسية هذه يصيبها العطب وتطرأ عليها الأحداث والأغيار ويؤثر فيها الزمن وما يحيط بها من عوامل بيئة أو أجواء، ويحيل بينها وبين ما تبصره الحوائل ويحون بينها وبين السمع الحوائل، ويحول بينها وبين العلوم الحوائل وهكذا، وهذا كله لا يكون له سبحانه جلا وعلا وعز.
[310] كما بدأ قوله انتهى فهو كالمعرف الماء الماء أي لم يأت بجديد يريد أن يقول لك لا تجهد نفسك في محاولة التعرف الذاتي على ذاته فإنك لم ولن تدرك ما تريد وكل ما تقوله إنما تبدئ وتعيد، لأنك تعرف إلا ما أنت عارف عن نفسك والتي لا تعرفها فكيف تعرف خالقها وباريها فكل علومك إنما هي عنك، فقولك لن يغني عنك وعن غيرك شيئا. وكيف يكون ذلك وهو سبحانه أقرب إلى مني فلما دنا سبحانه مني أصبحت لا أعرفه عنه شيئا غير أن أكنى أي أشبه بما يمكنني أن أفهم ما أفهمه عني لا عنه، وهذا غاية ما يمكنني أن أقوله أو أفهمه. فرأيت أن أولى شيء بي هو السكوت حيث وجدت أني قولي وسكوتي كلاهما لا يغني.
[311] هذه حقيقة لا مهرب منها فلا يكون السر سرا إذا عرف أو إذا فشي أو إذا زاد عن اثنين فلهذا كان السر كالغيب لا يعرفه إلا صاحبه أو من حفظه.
والغيوب كلها أسرار حفظ الله تعالى بها لما يطلع عليها لا ملك ولا نبي والكل عن غيب الله جهال لا عرفونه بحال من الأحوال إلا أن يشاء سبحانه صاحب الأسرار.
ويرى أن ما نحتفظ نحن به ولا تطلع عليه غيرها من أسرارنا ليس بسر لأنه معلوم لنا أو لصاحبه، ولكن نحن نستعير الكلمة فقط وهي كلمة: سر إذا أردنا أن نبين أن هذا الخبر أو الأمر عظيم لا يجب أن يعلمه أحد.
والأسرار بيننا نحن البشر درجات فمنها ما هو هام ومنها ما هو ليس كذلك حتى في الجيوش يقسمون الأسرار إلى ثلاثة: سري، سري جدًا، وسري للغاية، فأبسطها الأول وأخطرها الأخير،وهو الذي يحتوى على مصائر الأمة والشعب أو الجيش.
هذا بيننا نحن البشر الذين خلقنا الله وعلمنا ما هو السر، فكيف نسر معلم السر صاحب الغيب؟ وإذا كان القول في السر أو في الغيب فكيف به سبحانه الذي هو يعلم السر وأخفى، ترى ما هو أخفى من السر؟ سبحانك ما قدرناك حق قدرك، وما عرفناك حق معرفتك، فاعف عنا فأنت تعلم جهلنا وضعفنا يا عليم.
[312] ما بين المعقوفين هو عنوان غاب أو انمحى لأنه كتب بالمداد الأحمر الخفيف.
[313] يريد أن أهل التقوى يخافون من الجهل حتى لا يقعون في المعاصي والشرك وحتى يفعلون ما يؤمرون ولن يتحقق لهم ذلك إلا بالعلم الذي ينور لهم طريق الخير والصلاح.
ويرى هو أن المقربون وهم عنده فوق الأبرار فقد ترقوا وجاوزوا مرحلة الأبرار فهم يخافون من العلم لأن تكاليفه ثقيلة ومن علم لزمه العمل والعمل قد لا يطاق فأحبوا أن لا يعرفوا حتى يسلموا بما قد علموا.
[314] ما بين المعقوفين انمحى من عوامل الزمن لكون المداد الأحمر أخف من المداد الأسود وهو عنوان لهذه الفقرة.

[315] الظل محبوس داخل الإنسان لا يظهر إلا بتسليط الفوز على جسم الإنسان فيظهر ظل الإنسان ولكن لا يظهر الإنسان لأن الإنسان محبوس في نفسه أو في كتلته.
[316] إذا أردت أن تعرف من أنت فاعرف من تعبد فإن كنت تعبد هواك أو عبد مثلك أو شيطانا أو جمادًا أو مادة فأنت في هذا المحل وفي هذا القدر وفي هذه الدرجة وهذا مدى طموحك ولن تعدوه. أما إذا كنت تعبد من خلقك وصورك وأحياك ويميتك ويبعثك ويحاسبك ويجازيك على أفعالك فأنت عبد قد عرفت فالزم.
[317] يريد أنه تحول إلى إنسان خامل كالميت فلا أنس ولا وحشة فما يكون لا حركة ولا انتقال، يصيب الإنسان شيئا مما يميل أو يتجه إليه فإن كان هذا حال من وقف سره معه، فكيف يكون حاله هو إلا ذاك.
[318] هذا من أقوال أهل الصوفية المحض فهم القائلون بالكشف والتجلي وما إلى ذلك.
وهو قول يترتب بعضه على بعض في تسلسل وضعه أو وضعوه ما أرى له أصلا وإن كان قد يصلح أن يكون منهجا تعليميا أو تعريفيا لا إلزاميا ولا حقيقيا ولا حتميا بل هي مجرد ملاحظات لبعض الحالات أو الأحوال لبعض العباد.
[319] يريد أن العبد الحق هو الذي يطلب من ربه شيئا ويدع الله يفعل به ما يشاء دون طلب فإن أعطاه قبل ورضي وإن منعه صبر ورضي إذ أن من شروط العبودية الإذعان وعدم الطلب بل الطاعة والخضوع، فإن طلب منه شيئا وقضى له حاجته فقط اختار لنفسه وهذا من وجهة نظره تدخل وطلب تسيير الأمور على رغبته وهواه وإن كان قد استجاب له الله. ويرى أن الصمت أولى بالعبد من الطلب حيث أن الله أدرى بما يصلح عبده فيفعله دون حاجة منه إلى سؤال. هذا رأيه، والله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فليس الداعي لربه بناقض العبودية بل من أتم عباد الله عبودية وأكثرهم خضوعا حيث رأى أن لا مجيب له سواه فطلب منه وتذلل له ولو كان هذا ينقص من عبوديته لمستجاب الله تعالى له لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.
[320] إذا حجب الشمس حاجب فليست بشيء أما الحقيقة فإن للشمس على سائر المرئيات فضل فمنها تستمد المرئيات إشراقها وكذلك الإنسان إنما يستمد كله من الله تعالى الخالق البارئ المصور وبحسب تعلق العبد بربه يكون إيمانه وإشراقه وصفاؤه وتقواه.
[321] كل طالب عزيمة تكون له همة غير همة الناس فإنما يطلب عاليا غاليا بعيدا منيعا فعادة لا يرضى بسوى ما يبغيه فهو طالب لما ليس له طالب إلا أمثاله من ذوي الهمم والنبل والعزيمة القوية، والناس يطلبون السهل القريب فدائما هو في حالة عطش دائم وجوع مستمر إلى المعرفة ويرجو البلوغ وهذا سوف يصل في نهاية الأمر ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.
[322] موضع العنوان بياض بالأصل نظرا لأنه كتب بالمداد الأحمر.
[323] الكون دليل عليه سبحانه كذا كل ما فيه فالكون نتج عن فعل الله تعالى به من أمره الذي أصدره إليه.
وكذا الإنسان تظهر فاعليته بالعمل الصالح فإن كان كذلك كان عبدًا ربانيا وإن عمل غير ذلك كان عبدًا لغيره، إذ لم تأت أفعاله نابعة من نفس الفعل.
[324] هذا كالقول السابق كل يستمد حركته أو فاعليته مما يؤثر فيه مع كونه ليس كمثله فإن كانت الحركة إيجابية كان فاعلا إيجابيا وإن كانت الحركة سلبية كان فاعلا سلبيا ولو طبقنا على الإنسان

كان خيرًا أو شريرًا مسلما أو كافرًا.
[325] لكل صنعة صانع والكون مصنوع وصانعه هو الله تعالى عرف بوجود هذا الموجود الذي هو الله لكن أراد أن يظل محجوبا عن الخلق لحكمة أرادها فتنزه بما أراد أن ينزه نفسه به من هذا الاحتجاب، وعلم علمه وكماله بما أبدع من صنعه وأحكم من خلق وأفهم من علم.
[326] توقفت عقول العقلاء عن التفكر في ذات الله تعالى لما علمت أنه سبحانه: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. فكان هذا كافيا لها بأن تكف عن مجرد التفكير في ذلك لما عرفت ذلك من صفاته سبحانه. وقد تيقن لكل ذي لب أن للعقول مدى وحدود وأنه فوق المدى والحدود فلماذا يجهد العاقل عقله فيما لن يدرك ومن هو موقن بأنه قاصر عن إدراك ذلك.
وعلمت أن غاية ما تصل إليه هو الحجاب وفي هذا الإطار هي عائشة أو كائنة فالحجاب تنزه به رب الحجاب عن العباد والمخلوقات جميعا سبحانه.
[327] الداعي المحدث يجب أن يسمي من يدعوه ولابد أن يشهده هذا في المحدثات من خلق الله تعالى ليسمي داعي ومدعو، ولكن فيما بين العبد وربه فليس الأمر كذلك بل عليه أن يدعو بيقين أنه السميع العليم الذي ليس كمثله شيء فيجيبه عما سأله وهذا وعده به سبحانه.
[328] يريدكما أسلفنا القول أن الصفات إنما ذكرت على حسب إدراكنا نحن لهذه الموصوفات التي هي محدثات نعرفها لكنها لا تعبر حقيقة عن تلك الصفة ولكن تعطينا ما يفهما المعنى المراد من اسم الصفة المذكورة لا الصفة نفسها وبحقيقتها هذا من وجه.
ومن وجه آخر أن لهذه الصفة حقيقة لنا لكنها لنا نحن غير مدركة وهي أيضًا من عالم الحجاب.
[329] يريد أنه أهل العز المطلق هو العزيز القاهر لما سواه إذ هو خالق ما سواه.
وهو أهل الذل المطلق فهو المذل لكل من سواه إذ هو خالق هؤلاء المذلين فهو القادر على الذل المطلق فهو المعز المذل على الإطلاق الأبدي السرمدي.
[330] هو يعيد ويكرر أن الصفات إنما هي مستعارة من المحدثات لا من حقيقة الصفة حتى نفهم كما هو القول في الأزل والأبد فكذلك هما محدثات مستعارة للتعبير عن القدم والدوام. وهذا ربما كان تكرار منه للتأكيد وللاطمئنان على أن ما يريد أن يوصله من فهم قد وصل، والله أعلم.
[331] يريد أن يقول لكل طالب طريق النجاة والفلاح ارح نفسك ودع طلب معرفة الحقيقة في الصفات والأسماء والذات فإنك لن تدرك ذلك ما حييت وقد خاض قبلك من هم أقوى منك عقلا فغرقوا في هذا البحر فمنهم من لم ينج فهلك هلاكا لا نجاة منه هنا ولا هناك، ومنهم من أدركتهم عنايته فانقذتهم من بحر الضلال إلى الهدى ففهموا فوقفوا ثم رعوا ثم حمدوا وشكروا، ثم اعترفوا بعجزهم ونصحوا بالوقوف على حدود ما أعلم وفهم ما أفهم وعمل ما أمر والبعد عما نهي فهذه هي طريق النجاة الحقيقية لمن أراد الحق والتقط الحقيقة.
[332] يريد أنه طلب المستحيل وكابر فيما لا يكون وأبعد النجعة، واتخذ الطريق المشقة الوعرة التي تنتهي من حيث تبدأ كما يقولون، ادخل نفسه في دائرة مفرغة فكلما أنهى بدأ وهو في كل هذا لا يحصل أو لا يجني ثمرة غير الحسرة مع الجهد الجهيد والسفر البعيد والعود الكسير الحسير.
فنصحه بالكف والاكتفاء بما ورد في القرآن أو صح عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.
[333] وقد تحدى الله تعالى الخلق بأن يخلقوا ذبابة لا شيئا كبيرا ولا واسعا ولا عظيما وإنما ذلك لبيان عجزهم المطلقة وقدرته المطلقة ولم يقتصر في طلبه منهم على خلق الذبابة بل بين لهم أنهم أضعف من ذلك فقال ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فكان في

ذلك بيانا شافيا لضعف الإنسان وعجزه المطلق أمام قدرة الله تعالى وجهله أمام علم الله تعالى وضعفه أمام قوة الله تعالى المبدع الخالق البارئ المصور سبحانه، ومن حاول فهم أو إدراك ذلك فقد أضاع وقته وجهده فليقبل كل إلى عبادته مقرًا ومعترفا بعبوديته وضعفه وذله وحاجته إليه سبحانه في الدنيا والآخرة سائلا إياه العون على الطاعة راجيا منه القبول آملا في الأجر والثواب من رب الأرباب.

[334] يناجي ربه بأنه لا تدركه الأفكار ولكن تناجيه تقربا وإيمانا منها به وبما تشير إليه مخلوقاته وبما تكنه له المخلوقات من هيبة وإجلال وخوف وخشوع.

يقول أنه ناجى فكر نفسه عن ربه فناجاه فكره بأن ربه مطهر ومنزه عما سواه وأنه صاحب الجلال والإكرام وأنه البر الرحيم القريب المجيب فاستقرت نفسه واطمأن فكره ودب فيه الأمل بالاستجابة. وهو يخاطب فكره دائما بل يخاطبه في كل مخلوق يراه من جميع مخلوقاته ولكنه في حقيقة الأمر لا يخاطب سوى مولاه وإن كان الخطاب موجه في ظاهره إلى المخلوق. فهذا إيمان قوى وتوحيد نقي ينجي صاحبه من فتن الدنيا وينقذه من الحساب في الآخرة ويضمن له العفو والغفران.

[335] من قصائد العشق الإلهي والشاعر هنا يهيم بحب الله تعالى مع الهائمين من بني البشر الطيبين القاصدين رضا الرحمن فيطير في موكب عبق بروائح الإيمان الزكية الطاهرة وقد لهجت ألسنتهم بالذكر وخشعت قلوبهم من التقوى وزرفت عيونهم من الخوف والشوق سائرين من ربع إلى طل قاطعين الطريق إلى الرحمن ما بين عسر ويسر ولين وشدة صابرين قاطعين العزم على المضي إلى أن يصلوا.

وليسوا هم وحدهم السالكين الدرب بل معهم توجهت كل الكائنات وغدت قاصدة إليه سبحانه وتعالى راجين ما يرجو.

فيك يا الله كل الوجود متيم محب هيمان وكله يقول لكله عن فضلك وجودك وإحسانك وحقك عليهم ورجاءهم في بلوغ مرضاتك وشكرك وحمدك.

ومن محبتك استمد المحبوب حبهم ومن عشقك استمد العاشقون عشقهم ومن كل صفاتك وأسمائك استمد الخلق حياتهم وسكونهم وحركتهم سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

[336] موضع النقط عنوان غير ظاهر وموضعه بيان لعيب في مداد المخطوط الأحمر.

[337] بياض نتج عن محو بالمخطوط بسبب الحبر الذي كتب به وهو الأحمر.

[338] أطراف هذا الخبر عند:

الزبيدي في الإتحاف (2/105)، السيوطي في الأسرار المرفوعة (263)، العجلوني في كشف الخفا (2/189)، البخاري في الصحيح (4/129)، (9/152)، البيهقي في الكبرى (9/3)، الطبراني في الكبير (18/205)، والمتقي الهندي في الكنز (29850)، البداية والنهاية (1/9)، الحاكم في المستدرك (2/341)، السيوطي في الدر المنثور (3/322)، الطبري في التفسير (12/4).

وقد ذكر البيهقي الخبر في السنن الكبرى بتمامه: عن عمران بن هيني قال: إن الجالس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه قوم من بني تميم فقال: "اقبلوا البشرى يا بني تميم". قالوا: قد بشرتنا فاعطنا يا رسول الله، قال: فدخل عليه أناس من أهل اليمن، فقال:

"اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم". قالوا: قد قبلنا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال:
"كان الله عز وجل ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء".
قال: وأتاه رجل فقال يا عمران بن حصمين راحلتك، أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت في طلبها، فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها ذهبت وأني لم أقم، ثم ذكر خبر آخر فقال: عن عمران بن حصين قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقال فيه: قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وعرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض".
رواه البخاري في الصحيح عن عمر بن حفص بن غياث، والمراد به والله اعلم:
ثم خلق الماء وخلق العشر على الماء، وخلق القلم وأمره، فكتب في الذكر كل شيء.
[339] موضع النقط كلمة لم اتبين معناها أو لم استطع قراءتها جاء على هذا الرسم في المخطوط: "فلنحر".
[340] كلمة مختلطة المداد لم أتبين من قراءتها.
[341] يضرب مثل بالعين وعجزها عن إدراك كثير من الموجودات التي لم تهيأ للتعامل معه، وكذلك الأذن وكل عضو في جسم الإنسان بالنسبة للموجودات لا علاقة له به سوى أنه يتعامل مع ما خلق له بكل كفاءة أما ما لم يخلق له فهو موجود وهو لا يدركه.
وكذلك العقل فإنه لا يدرك إلا ما هو مخلوق من أجله وفي الحدود التي أعطيها للتعامل مع الموجودات، وأما ما وراء قدرته فلا يمكنه إدراكه ولا فهمه مهما حاول ذلك أو مهما أدعى المدعون.
[342] عيب في مداد الحبر أثر في ظهور العنوان.
[343] نعم العقل عاجز عن إدراك عجز لكن المسلم يعلم بما علمه الله تعالى بأن له حدود يجب عليه أن يدور في إطارها، ولا يحاول التفكير في غيرها حتى لا يجهد فيما لا قيمة له، وما لن يصل إليه حتما فعلم المسلم بحدود العقل جعله يستريح أما غير المسلم فإنه لا يدرك هذه الحقيقة فهو طامح بلا قيد ولا إدراك لأن إدراكه محدود.
[344] لا أرى من المجدي الكلام عن العرش أو الكرسي أو القلم أو الكون أو سدرة المنتهى أو ما شابه ذلك فإنما هو كله كما اتفقنا من علوم الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فالعرش هل هو عظيم هل هو دقيق هل هو كالروح والنفس هل هو شيء محسوس أم ملموس أم شيء معنوي كل هذا لا يجب الخوص فيه ولا في صفاته ولا في وظائفه ولا نتكلم عنه إلا بما ذكر الله تعالى أو ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة صحيحة.
وليت كل مسلم يكف عن الحديث في مثل هذه الأمور لا يكون الكف إلا إذا بدأ العلماء بالكف عن الخوض في هذه الأمور التي لا تدرك بما أعطانا الله من قدرات وأهمها العقل فكيف يتحدث عنها ونقول أن العقل محدود فما دام العقل محدود فيجب أن لا يتكلم فيما لا يدرك ولا نقول إلا بما علمنا من القرآن والسنة.
[345] عيب في المخطوط أخفي العنوان.

[346] الكلام الذي بصدر هذا الموضوع سبق الكلام عنه وعرف وعرفنا بأنه أن هذه الأسماء والصفات إنما هي معاني لتقريب الفهم وليست على الحقائق التي نعرفها نحن.
أما قوله عن أن الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام هي شجرة المعرفة، فهذا قول ليس عليه دليل يستند إليه فلا نقبله أما إذا أراد هو أن يسميها بهذا الاسم مجازا ولا يلزم بها أحدًا فهذا شيء خاص به وهو حر فيما يفهم أو يسمي ويختار من صفات لها.
[347] قال غيره أن الألفاظ قوالب تصب فيها المعاني، وهذا أبلغ من مما قال وأوضح منه وأقرب إلى المعنى الصحيح.
وهو يريد هنا أن يقول أن هناك قلب وقشر أو صدق ولب ومداره على اللب أو القلب.
فهذا الذي يدور حوله بأنه إنما يهتم بجوهر الكلام لا بالأصادف التي تحويه أو القشور التي تغلفه.
فهو يرى أن خير الكلام الحكم ومستودع هذه الحكم إنما هي القلوب.
وعلى العاقل عندما يفتح الله عليه وتسكن الحكمة قلبه أن يتتبع ما في الحكمة حتى يعم عليه الخير ولا يصير قلبه مجرد وعاء لا يستفيد بما وضع فيه أو خرج منه بل يدخله بسرور ويخرجه بعد أن يستفيد منه ويخرجه ليفيد به آخرين.
[348] يريد بهذا اللفظ أثره أو بديع صنعه دافعا له يسوقه نحو ما خلق له.
[349] هذا تقسيم اخترعه ليس له عليه دليل وإنما رفع الله تعالى الذين أتوا العلم درجات ومدح العلم والعلماء وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فأرق خلق الله تعالى درجة بعد الأنبياء هم إنما هم العلماء، العاملون بعلمهم فهم في مكانة عظيمة لا يعلمها إلا الله تعالى. فهم أهل العلم وأهل الاستنباط وأهل الإدراك والوعي والعمل ودعاة الخير وهم ورثة الأنبياء أما من يسميهم بالعارفين فهؤلاء لا مقياس لهم إذ ما هو مقياسهم فالناس إما عالم وإما عامي أما مسألة الأفضلية فهي معلقة بالتقوى الأتقى هو الأفضل سواء كان عالما أما عاميا، أما العارف هذه فلا أدري كيف تقاس.
وهذا العارف إنما هو من تقسيمات الصوفي، كالفقير، والولي، والعارف، والقطب، والنقيب وشيخ السجادة، وشيخ الطريق، وشيخ الطرق وما إلى ذلك من التقسيمات التي وضعها تنظيما إداريا لجماعتهم، أو تسلسلا قياديا حتى يتم السيطرة عليهم.
[350] هذه مغالطة فالعلم كما جاء في الأثر بالتعلم وقوله: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فهذا لا بد أن يأخذ صاحبه بأسباب العلم وهو الطلب وهو الطريق المألوف الذي أمر الله تعالى به في كتابه المبين في قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فعرفنا أن العلم يكون من معلم وبأداة هي القلم وأقسم بأدوات العلم فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.
أما الأنبياء فهؤلاء لهم خصوصية لا يصل إليها غيرهم ومن ادعى علم لدني فهو آفاق دعي، ومن تزرع بالخضر فهذه أو لقمان فهذه تسمى بأحداث الأعيان ولا يقاس عليها لأنها حالات تخصهم وقد عرف بها الله تعالى فمن قتل قتلناه ومن أفسد عزرناه ومن أحسن كافأناه ولا نعرف إلا ما عرفناه الله تعالى ورسوله ظاهرا أما البواطن فأمرها إلى ربي إن شاء عاقب وإن شاء عفا ولنا نحن من الكل العالم والعامي موافقة الشرع ظاهرا.
ومن ادعى أمرًا ليس من ظاهر الشرع حكمنا عليه بالابتداع أو الادعاء وبقدر ما أظهر من المخالفة تكون العقوبة، والله الهادي إلى سواء السبيل وهو يقول الحق.

[351] ينهي كلامه بالدفاع عن رأيه وعدم إهمال مصادر العلم الطبيعية ويعول قوله على قوله سبحانه وتعالى العام ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ نعم كيف يكتسب العلم إن لم يكن هناك عون من الله تعالى وسعي من العبد نحو التقي والصلاح، وفي الخبر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له به طريقا إلى الجنة.

اللهم علمنا ما لا نعلم واجعلنا نعمل بما نعلم.

[352] عيب في مداد المخطوط أدى إلى محو عنوان الفقرة.

[353] نعم الإيمان بالنبوة إيمان بالغيب ولو كان إيمان بشيء ملموس أو محسوس أو مشاهد لما جاد لهم أقوالهم ولما عارضوهم وآذوهم بل وقتلوهم فالإيمان بالنبي أو بما جاء به محض غيب يؤمن به كل مسلم أو مؤمن متبع للنبي الذي أرسل إليه وقد ورد ذلك صريحا، في القرآن الكريم ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾، فالإيمان بالرسل أو الأنبياء هو إيمان بالغيب ويقول من لم يعرف هذا فيجب عليه أن يعاقب نفسه بحرمانها من الأكل والشرب والنوم حتى تعرف ذلك، وهذا قول من قبيل التوبيخ لا الحقيقة.

[354] هذا قول ينفي عن ابن عربي قوله بالقدم الذي وصف به بل هو رجل مقر بما يقر به كل مسلم مؤمن عارف بحقيقة ما جاء به الأنبياء والرسل.

[355] كما بدأ ختم بأن شيئا ألم بقلبه وبروحه يجعله يطمئن له ألا وهو الإيمان بك وأنك مالكه وسيده ومدبر شؤونه الرفيق بحاله الحريص على منافعه الذي قربتني إليك وكأني أنا الوحيد في هذا الكون الذي ترعاني فلا أشعر منك سوى بأني أنا المدلل والمعزز والمقرب وجعلتني أشعر بأن هذا الكون ملكا ملكته لي وحدي فكله لي وأنا المقصود من كل شيء وأنت سبحانك أعلى عن إدراك أو أقدر قدرك سبحانك.

[356] هذا نوع من التجريد الجميل والاعتقاد النقي والصفاء الوافي بأن تتخلع عنك وتتجرد للقاء ربك من كل المحسوسات، والمتعلقات العلائق القلبية والبدنية وتصفو ثم تقبل بقلبك إليه فتكون عبدًا ربانيا تدعو فتجاب وتطلب فيلبي فليس بينك وبينه سواك حتى سواك فقد نحيته، فصرت روحا بلا جسد تخاطب ربها فيرضيها.

[357] يدعوك الشاعر أن تكون حاضر القلب دائما في معية المولى في كل وقت وإياك، ثم إياك أن تقف بين يديه وأنت منشغل بغيره، وإياك ثم إياك أن تدعوه وأنت لاه ساه متحرك اللسان ساكن الجنان فهذا ليس من صفات المحب لمحبوبه بل المحب دائما غارق في بحور حبه خصوصا إذا كان حبيبه أنيسة.

[358] هذا كلام طيب عين التوحيد والتجرد والتنزيه الكامل من العبد للرب سبحانه فهو ينفي عنه سبحانه كل ما يكمن أن يتصف به البشر وإن كان هذا الوصف قد ذكر في أسماء الله تعالى وصفاته إلا في إطار ما يفهم منه التنزيه حيث الصفات لدينا معقولة ومعلومة ولا يجوز في حقه المعقول المعلوم إذ كل معلوم محاط وكل محاط مضمحل منتهي وهذا محال في جانبه سبحانه.

[359] يريد أن يقول ليس معنى أنك تعلم أن الله تعالى خلق هذا الوجود أنك عرفت الله تعالى، إذ لو أنك عرفته لاحظت به ولو أحطت به لجعلت له حدًا ولو جعلت له حدًا لتناهى واضمحل ولكنك تعلم أن الله موجود بإيجاد هذه الموجودات فهو مجرد علم مما أحاط بك.

[360] لا يصح أن يعرف عن الله بعضا ويجهل بعضا كما لا يجوز أن تعرف ذاته العقول فكلاهما في جانبه محالا لأنه لا ينبغي ولا يحاط به. وأنت في ذاتك عالم بذلك معلوم كلك لله لأنه هو موجدك من العدم، وأنت أجهل بنفسك عن نفسك فكيف تحيط به وأنت ما تحيط بنفسك. أما ما ظننت أنك علمته من أسماء أو صفات وصف بها إنما هي نعوتك أنت لتعرف المعاني على التقريب لعقلك القاصر المحدود.

ثم يقول لك لو علمته لم يكن هو إذا كيف يدرك وهو الذي لا تدركه الأبصار، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ فكيف به فلو جاز معرفتك له لصار محدودا معلوما ناقصا وحاشاه. ولو جهلك هو لهلكت إنما أنت به فلو تخلى عنك لحظك لهلكت فأنت به لا يكون العكس بحال، ولهذا صرت عبدا دائما وهو معبود أبدًا. فأنت أبدا محتاج إليه وهو أبدًا في غنى عن العالمين.

والخير هو الوجود وعكسه الشر العدم، ولا يكون إطلاق الوجود إلا له أبدًا أزليا وسرمديا وأبدًا.

[361] يريد أن الله تعالى خلق لك كل ما في الكون وحباك به وإهداه إليك وسخره لك ولم يسخرك له فلما تسخر نفسك لما سخره الله لك.

فإن أردت أن تعدل الأوضاع وتقترب من المكون للكون هو أن تبعد نفسك عن الكون لا بمعنى أن تخرج منه ولكن تخرجه منك فلا يكون فيك إلا هو سبحانه وإذ لم يكن فيك إلا هو كنت عبده ترى بنوره وتسير على هداه وتعمل بما شرع لك فسوف تصل إلى مرادك من رضاه والقرب منه سبحانه.

[362] زيادة يتطلبها السياق من عمل المحقق غفر الله له.

[363] يريد إذا أردت إخفاء شيء فاظهر ضده وهكذا في كل الأمور، والعكس في ذلك صحيح أيضا.

[364] يريد أن المنتهى في خلق الله تعالى إلى الإنسان إذ الكل خلق للإنسان ويرى أن الوجود هو الإنسان والإنسان هو الوجود كأنه يرى أن كل جزء من الإنسان له نظير في الكون وكذا كل جزء في الكون له نظير في الإنسان هكذا يرى. فيدعوه لأن يتوحد مع الكون في العبادة ولا يشذ ويتجه إلى ربه طائعا كما أتته كل الكائنات طوعا وهذه هي أسلم الطرق وأقربها إلى الحق سبحانه متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم في المنهج.

[365] يريد أن يخرج من هذه الحياة مقبلا على ربه خارجا من حبس البدن الذي يقله عن هذا اللقاء الذي يرتقبه منذ عقل أموره ليخرج من الخوف والرجاء إلى جنة المأوى ورضى المولى.

إنه يرى روحه عبارة عن طائر حبس داخل قفص بال هذيل القيمة يرجو في كل لحظة أن ينفك أسره من ظلمة إلى نور ومن وحشة إلى أنس وسرور وفرح وحبور وهو لا يبالي بما في هذه الدنيا من متاع وملك وأملاك وارتفاع فيها وانحطاط إذ يرى كل هذا على حقيقته فيراه إلى زوال ويرى حقيقة الأمر أنها تتجلى في الآخرة فهو يريدها؛ لأن الرفعة الحقة والقمة والعلا هناك حيث جنة المأوى التي إليها المنتهى في عالم العقل والحس الحقيقي.

[366] زيادة من عمل المحقق غفر الله له آمين.

[367] حيرهم ربهم بالبحث في أنفسهم وشغلهم بأنفسهم عما سواهم هؤلاء فريق وفريق آخر هذا هم إليه فعرفهم فعرفوا وهداهم فاهتدوا وقادهم فانقادوا وناداهم فأجابوا، ودعاهم فلبوا فاهتدوا إليه ومن سواهم ما زال وسيظل حائر.

وقد رأوه في آثاره التي رأوه بها على أنه الباطن الظاهر في موجوداته ومبدوعاته ومن اجتباهم سيرهم بعقول فطنة إليه سبحانه فهم وقوف في حضرته سائرين إليها بإرادته فالواقف سائر إلى المصير المحتوم والسائر كذلك والفلاح لمن عرف وأطاع.

واحضر قلوبهم وألسنتهم ووجدانهم وعقولهم معه دائما وتعلقوا به بكل متعلق وخلت قلوبهم بهم وأنفسهم من سواه، ويعلق آخرون بما يتعلق به من بهارج الدنيا فغابوا عنه وإن حضرت جسومهم وألسنتهم في العبادة الظاهرة. وهذا غاية ما يبذله العابد الصافي الصادق المتعلق فيمضي ويبقي أثره في كتاب ربه الذي سطره ليتلوه يوم يحضره الحضرة التي فيها فصل الخطاب وإعظام الثواب وطي الكتاب وفتح الباب والدخول دار المآب والملائكة يخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. يوم يرفع الزمان فلا زمان والمكان فلا مكان فليس إلا الله والخلق بين يديه والحكم ليس إلا إليه ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ فيرفع ويخفض بالحق والعدل والرحمة والحنان والقسطاس المستقيم ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ سبحانه، نسأله أن تكون ممن يدخلون الجنة بغير مناقشة حساب ولا سابقة عذاب إنه هو رب الأرباب الكريم الوهاب.

[368] ما يلي ذلك من كلام هو تعليق بهامش الصفحة أضعه في متن الكتاب بعد هذا الختام وهي أدعية وأشعار وحكم ومدائح وتقريظات لبعض قراء الكتاب رأيت من المفيد أثباتها تحت عنوان تعليقات بآخر الكتاب والله الهادي إلى سواء السبيل.

[369] قال محققه أبو إسلام سيد كسروى حسن، وقع الفراغ من تحقيق هذا الكتاب آذان العشاء من ليلة الجمعة الموافق 24 جماد أول سنة 1426 من الهجرة الأول من شهر سبعة سنة 2005 من الميلاد سائلا الله تعالى لي ولزوجتي ولسائر المسلمين حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين ربنا رب العالمين.